

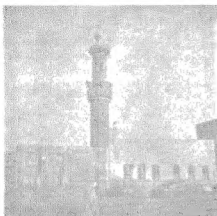
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

الطبعة التاسعة — العدد ٩٨ — غرة صفر ١٣٩٢ هـ — ٥ مارس ١٩٧٢ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَا لَكَ يَوْمَ الدِّينِ أَنَا لِي عَبْدُ وَأَنَا
لَسْتُ عَزِيزٌ هَذَا الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ
صِرَاطُ الَّذِي أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ
غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ



مسجد الخليفة

أحد مساجد الكويت الجامعة ،
ويمتاز ببساطته وموقعه على شارع
الخليج العربي .

الثلث :

٥ فلسا	الكويت
١ ريال	السعودية
٧٥ فلسا	المراق
٥ فلسا	الأردن
١٠ قروش	ليبيا
١٢٥ مليا	تونس
دينار وربع	الجزائر
درهم وربع	المغرب
٧٥ فلسا	الخليج العربي
٧٥ فلسا	اليمن وعمان
٥٠ قرشا	لبنان وسوريا
٤٠ مليا	مصر والسودان

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة التاسعة

المعدد (٩٨)

غرة صفر ١٣٩٢ هـ

٥ مارس ١٩٧٣ م

هدفها : المزيد من الوعي ، وإيقاظ
الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية
والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
بالكويت في غرة كل شهر عربي
الاشتراك السنوي للهيئات فقط
أما الأفراد فيشتركون رأسا
مع تمهيد التوزيع كل في قطر

عنوان المراسلات :

مجلة الوعي الإسلامي - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
صندوق بريد : ١٣ - الكويت - هاتف : ٤٢٨٩٣٤ - ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكرى الجهاد العظيم

احتفلت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بذكرى الهجرة النبوية الشريفة - على صاحبها أفضل الصلاة والسلام - وذلك في مسجد السوق الكبير ، وقد ألقى معالي الوزير الأستاذ راشد عبد الله النورحان الكلمة التالية في الحفل :

أيها السادة إنه ليسعدني أن أتحدث إليكم في هذه المناسبة الكريمة مناسبة هجرة محمد صلوات الله وسلامه عليه من مكة إلى المدينة ، وأنا إذ نحتفل بهذه الذكرى إنما نحتفل ببينا محمد وزعيمنا وقائدنا وباني نهضتنا .. فأعظم به من نبي رسول وأكرم به من مناضل شريف عظيم .

أيها الأخوة :

لقد أودى محمد صلى الله عليه وسلم هو أصحابه في مكة فحصر وقت ، وناضل بشجاعة وشرف وصدق ، ولكم قاسي من الحرب النفسية الوانا وصنوغا ، وهذه قصة الصحيفة يذكرها التاريخ فممنذما أحسست قريش بأن اصديقاء محمد بدأوا يكتثرون وبأن دعوة محمد بدأت تنتشر في الأرض فما كان منهم بعد أن أسلم عمر وحمنة إلا أن اهتموا واثتمروا على محاصرة بني هاشم فأبروهم بالخروج من مكة فخرجوا إلى شعيب أبي طالب في جبل من جبال مكة ، وهناك تم الحصار عليهم مدة من الزمن ، وبلغ بهم الجهد والنبي صلى الله عليه وسلم معهم ، ولكن الله مع الصابرين فأخير النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بأن الصحيفة التي كتبت فيها المؤامرة والتي ذكرت فيها المعاهدة اكلتها الأرضة ، اكلت الظلم والجور منها ولم يبق فيها إلا



باسمك اللهم فقط ، فعليت قرش بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وأهله وصحابه وعشيرته من هذا الحصار وكان قد واجه الوانا وصنوعا شتى من الأذى والمذاب ولكنه كان يقابل كل ذلك بصبر وحزم ، وكان يقول دائما : اللهم أهد قومي فانهم لا يملكون ، ثم سار إلى المدينة ووصلها فوجد الجبهة مفككة مفرقة ووجد الاختلاف ، وجد قبيلتي الأوس والخزرج يتقاتلان . ووجد مشكلة إيواء المهاجرين ، ووجد الفقر في الأنصار ، ووجد الفتن ، فمن اليهود ومؤامراتهم ضد الدولة ، وكانت الحرب النفسية على أشدها : « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاختسوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فلتقبوا بنعمة من الله وتفضل لم يمسسهم سوء » .

فكان أول عمل قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اوجد الوحدة بين الأوس والخزرج ، وأخى بين المهاجرين والأنصار ، وعقد بينهم اخوة ثبتت أركان الدولة على أساس من الحرية ، حرية العقيدة وحرمة الحياة ، وحرمة المال ، وتحريم الجريمة ، وبذلك قضى على فتن اليهود ومؤامراتهم ضد الدولة عندما تحققت الوحدة ، لأن بالوحدة يمكن أن يعمل القائد ، وبالوحدة يمكن للأمة أن تنضرب ، وتم له النصر على المشركين فاقام الدولة ونشر الرسالة .

أيها السادة :

إن الإسلام عقيدة وشريعة وطريقة وفكرة .

أما الفكرة فهي ذلك النظام العظيم وتلك الحضارة التي وصلت إلى المشرق والمغرب وأثارت الدنيا بأسرها .

إن رسالة محمد التي نحتفل بفكرى مؤسسها هي خلق جديد للعالم ، هي خلق جديد للإنسانية ، خلقت انسانا كاملا ، أعلى شأن الحضارة الإنسانية والحضارة العربية . . أنها لم تأت بطقوس وأمور مفككة مفرقة لا أساس لها ، وإنما جاءت بأسس وarkan وفكر عظيم غاؤل ما خاطب الإنسان بالفكر والعقل والقلب فقال لهم القرآن : « أفلا تذكرون » ، « أفلا تعقلون » « أفلا يتدبرون القرآن » وبلغ عدد الآيات التي تخاطب القلب والفكر مائتين وخمسا وسبعين مرة في القرآن ، ثم دعاهم إلى العلم : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » . « إنما يخشى الله من عباده العلماء » . ووردت كلمة العلم في القرآن نحو سبعمائة وستين مرة ، وجاء بعد ذلك النظر في السموات والأرض بعد أن يعمل الفكر والقلب يجب أن يتحرك النظر « قل انظروا ماذا في السموات والأرض » وليس النظر المقصود في الآية هو مجرد العين وإنما يجب أن ينظر إلى ما في السموات من كواكب وما فيها من نجوم وما فيها من طبقات وما فيها من علم . يجب أن نعرف الفلك ويجب أن نتعلم ما في الفضاء حتى نعرف ما معنى « انظروا ماذا في السموات » وانظروا ماذا في الأرض انظروا إلى طبقات الأرض ، اخرجوا من الأرض المعادن التي فيها حياتكم وفيها معاشكم . وبلغ العدد في هذا الخصوص مائتي مرة في القرآن . ويوجه القرآن الناس إلى دراسة أحوال الأمم السابقة : « قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق » . ادرسوا علم التاريخ ، ادرسوا علم الآثار ، انظروا « قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » « قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل » ووردت في هذا الخصوص اثنا عشر مرة تحت على النظر . والسير المقصود والنظر هنا ليس المقصود به هو السياحة لأن آيات السياحة وردت في غير هذا المقام ، ثم بعد النظر وبعد قلب الفكر والعلم يكون العمل : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله » وردت في هذا الخصوص — أي العمل — ثلاثمائة وثمانون مرة تحت على العمل .

إن رسالة الاسلام لم تأت للعبادة فقط . ولم تأت للرهبة .
وبإنها جاءت للعلم والعمل والتفكر والنظر .

هكذا يراد للمسلمين ، وهكذا يراد لأمة الاسلام أن تتحرك ،
لأن الاسلام دين وعمل ، فكان العلماء من رسالة الاسلام ، كان
الاطباء وكان المهندسون وكان الصيادلة وكان المؤرخون ، وقامت
المساجد ، وقامت المدارس ، وقامت المستشفيات وقامت الدولة
العربية الاسلامية التي هزت المشرق والمغرب ولا يزال المستشرقون
يترجمون كتب العرب والمسلمين الى وقتنا الحاضر .

والآن ايها المسلمون اصبحت حالنا غير حالنا بالأمس فقد
تفرقنا وبعدنا عن رسالة الاسلام ، وصرنا نذهب الى المشرق
والمغرب نلتهمس العلم ، ولا بأس في ذلك ، ان نلتهمس العلم « اطلبوا
العلم ولو في الصين » ولكننا يجب ان نلتهمس العلم النافع
والعمل الصالح .

وفي هذه المناسبة أود ان أقول في هذه الذكرى ذكرى الجهاد
العظيم والنضال المرير يجب ان يتعلم اصحاب الأفكار والاتجاهات
اليسارية المتطرفة واصحاب الأفكار والاتجاهات اليمينية الرجعية ،
يجب ان يتعلموا كيف يكون النضال وكيف يكون الجهاد وكيف تكون
خدمة الأوطان والاخلاص للأمة ، يجب ان يسلكوا طريقا شريفا ،
ويجب ان يصدقوا في أقوالهم وأعمالهم حتى يكونوا قدوة لغيرهم .

وأود ان يتذكر الذين انعم الله عليهم بالمال من الدول والأفراد
يجب ان يتذكروا بان لهم اخوانا مسلمين في المشرق والمغرب وفي
جنوب آسيا وفي أفريقيا وفي أوروبا وفي جميع انحاء العالم هم في
حاجة لمساعدتهم المادية والمعنوية ، فيجب ان يسهم من انعم الله عليهم
بالمال في الدعوة الاسلامية بأموالهم وان يوظفوا رعاوس أموالهم في
البلاد الاسلامية بدلا من ان يوظفوها في البلاد الكافرة الاجنبية فان
لهم في ذلك خيرا في الدنيا وأجرا في الآخرة .

واني اسأل الله سبحانه وتعالى ان يعيد علينا هذه الذكرى وقد
اجتمعت كلمتنا وتوحدت صفوفنا وناسي زعمائنا ورؤسائنا خلافاتهم
فأنا بتوحيد الصف نتغلب على اعدائنا ، نسال الله سبحانه وتعالى
العزة والنصر والوحدة ، وحدة الكلمة ، ووحدة الصف ، والله
سبحانه وتعالى هو مجيب الدعوات وهو خير الناصرين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



درس من النسبوة

للدكتور : على عبد المنعم عبد الحميد

« أخرج أبو داود عن جابر بن عبد الله قال : خرجنا في سفر فاصاب رجلا منا حجر فشججه في راسه ، ثم احتلم ، فسأل أصحابه : فقال : هل تجدون لي رخصة في التيمم .. ؟ فقالوا : ما نجد لك رخصة وانت تقدر على الماء ، فاغتسل فمات ، فلما قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم اخبر(١) بذلك فقال : « قتلوه قتلهم الله ، الا سألوا اذا لم يعلموا ، فانما شفاء العي(٢) السؤال ، انما كان يكفيهم ان يتيمم ويعصب على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويفسل سائر جسده » .
وفي مسند الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما : ان رجلا اصابه جرح في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصابه احتلام ، فابر بالافتسال فمات ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « قتلوه قتلهم الله ، لم يكن شفاء العي السؤال » (٣) .

١ - درس نعم هو ، وإرشاد كريم ما اقومه ، فكم قتل الجهل اقواما ، وكم احيا العلم آخرين ، ومصدر التوجيه هنا هو من كانت حركاته وسكناته ، ونومه ويقظته ، وسيره وتوقفه ، وجهاد وسلحه ، وجده ومزجه ، سنة وهداية وقدوة واسوة ، فما حظيت الانسانية قمة الكائنات بمثل يشابهه او يقاربه في حبه عليها ورغفه بها ، وعطفه على مسيئها ، وحبه لحسنها ، وقف عليه افضل الصلاة وازكى السلام جهوده على تعليم البشرية وإرشادها صادعا بامر ربه

الذي اصطفاه وختم برسالته رسالات السماء ، وما تركها الا على المحجة البيضاء ، حين جاء نصر الله والفتح ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، واكمل الله الدين واتم نعمته ، ورضى للبشرية الاسلام ديناً ، حاطه بالعلم وأوجب التعمق في النظر ، والزم متابعة الدرس ومواصلة البحث ، والنهوض الى أغوار الانشاء والخلوص الى اسبابها ومسبباتها ، ومداخلها ومخارجها ، ففي كل شيء له آية ، وفي كل اثر برهان يفتح الأذهان ويزيد الإيمان ويجلي للعيان آثار قدرة الرحمن وما عليك لكى تدرك مدى حرص سيد الرسل صلى الله عليه وسلم على إرشاد اصحابه وحملهم على المعرفة حملاً قوياً إلا ان تراجع قليلاً احواله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام في مجالسه معهم وأقواله الملقاة اليهم ، وطيب الكلام الذي صدر عنه في أسلوب سهل واعجاز ما غاقه إلا إعجاز القرآن ، حيث تجد العبارة المنتقاة التي تأخذ طريقها الى القلوب في يسر ورفق ، فتعمل عملها المتقضى ، ويظهر أثرها المرتجى انعكاس خير على المجتمع الذي تسيطر عليه والقوم تحميمهم من غائلة انفسهم وعاديات الخصم الالاد الا وهو الجهل وما الجهل إلا (مكروب) خناك وداء قتال وعودة الى مسارى الغابات وعيش في دياجير ظلام ، وسد حائل دون كل كريمة ، ودافع قوى ضد كل رقى ، استمع الى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : فيما رواه الإمام احمد وأخرجه البخارى وغيرهما : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » . ودين دون فقه غباء وبلاء وتخط في عيما مجهل .

ويروى ابن ماجه والترمذى قوله عليه الصلاة والسلام : « فقيه واحد اشد على الشيطان من ألف عابد » فالعابد لنفسه عمل وربما ضل الطريق لأنه لم يدرس معالمها قبل الولوج فيها ، وأما الفقيه الفاعل للدين فشمس نبعت الحياة في الوجود ، وتفتش غياهب الظلام ، وتوضح للسالك دروب سبيله ، والفقيه ناج يأخذ بيد غيره الى النجاة ، ويحجبه مهاوى الهلاك ، وقد جعل سيد الخلق طلب العلم فريضة على كل مسلم في خلاصة حديث رواه انس وأورده ابن ماجه في سننه ، ولم يكن فيما أوجبه من العلم على المسلم اقتصار قط على علوم الدين البحتة ، بل ألزم عملياً بعض اصحابه بتعلم ما يوصل الى كل معرفة كونية ، وما يبين عن علوم الآخرين في ثقة وأمانة ، ولو كان هذا في غير لغة القرآن وبعيداً عن مسالك يعرب ولسان قحطان وفصاحة قريش ، فما هو ذا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يعجب ويسر يزيد بن ثابت ويرى عليه دلائل النبوغ واضحة في حفظه لبعض سور التنزيل ، وهو لا يزال في سن مبكرة يقول له : « يا زيد تعلم لى كتاب يهود ، فأبى والله ما آمن يهود على كتابي » وفي وجه آخر من الرواية يقول له : « إني أكتب الى قوم فأخاف ان يزيدوا على او ينقصوا ، فتعلم السريانية » قال زيد : « فتعلمتها في سبعة عشر يوماً » ويرد هذا الخبر وأكثر منه في طبقات ابن سعد وتاريخ دمشق لابن عساکر .

٢ - وأول مكان نستطيع ان نطلق عليه اسم مدرسة هو المكان الذي قامت فيه دار الأرقم بن الأرقم باعتبار المدرسة هي المكان الذي تنلقى فيه دروس محدودة المعالم واضحة الأهداف بينة المناهج يقوم عليها معلم أو معلمون يحسنون التوجيه ، ويجيدون الأداء ، ويفقهون كل ما يلقون الى تلاميذهم ويحرصون على استيعابهم لكل ما تحتوى عليه مناهج دراساتهم ، فقد كانت

تلك الدار مكان اجتماع الرسول صلى الله عليه وسلم بأصحابه الأوائل حين كانت الدعوة تدب في مكة ذبيح البرء في السقم فتشفي عقولا مستعدة من امراضها الجاهلية ، وكانت تتلقى الدروس سرا ، حيث كان الحواريون الأول يتذكرون ما ينزل من كتاب الله ، ورسول الله يعلمهم مبادئ الاسلام ، ويأمرهم بحفظ ما يستطيعون حفظه عن ظهر قلب غيب ، ومن هذه الدار دار الأرقم خرج رسول الله بين صفين من المسلمين ، يتصدر أحدهما حمزة بن عبد المطلب ، والثاني عمر بن الخطاب ، وكان لهما كديد ككديد الطحين « اي غبار متصاعد يشبه ما يتصاعد من الطحين » وبعدها صارت الدعوة جهارا نهارا ، واصبح بيت رسول الله هو الندوة التي يتلاقى فيها المسلمون ، وظلت كذلك حتى هاجر الجميع الهجرة الكبرى الى المدينة المنورة (يثرب) وهناك بنى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقامت دور نسائه امهات المؤمنين الى جواره ، فكان من اثره في حياة المسلمين ما جعل كل احوالهم عبادة وطاعة يتلقون الكتاب والحكمة ، ويطبقون ما اشتهلوا عليه من تشريعات واحكام تطبيقا دقيقا بكل ما اشتهلت عليه الدقة من معان ، وكان جوابهم على كل ما يسمعون من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سمعنا واطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » ، وما كان تعليم الرسول لأصحابه ليتحدد بمكان أو زمان ، فقد حفلت دور المهاجرين بلقاءات معه صلى الله عليه وسلم ومجالسهم الخاصة وطرق المدينة وحوادثها ، فكلما التقى فرد برسول الله وجهه الى الخير ودعاه الى اجادة العمل ، وأوضح له ما اغلق عليه ، وبين له ما أشكل ، تستوقفه عجوز فيتحدث اليها ، ويلقى غيرها فلا يفاديه حتى يبدأ بالمسير ، ويهد يده مصافحا ، وتبدي قسيمات وجهه التشریف نوراً يجذب الناس إليه ويكاثرهم عليه ، وهو دائماً صابر محتسب مبتسم لا ينقل على أصحابه ، وإنما يتخولهم بالموعظة ليستطيعوا استيعاب ما يلقي اليهم فمن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السامة علينا » كما ورد في مسند الإمام أحمد ، كما كان سيد الخلق يتحدث الى كل فئة من الناس بما يناسبهم ، وبما يستطيعون إدراكه إدراكا تاما ، فله صلى الله عليه وسلم مع البدوي أسلوب بغير أسلوبه مع الحضري ، كما كان يضرب الأمثال شرحا لغامض أو جلاء لخاف أو فتحا لمستغلق أو تفهما لمن حال استعدادة دون إدراك ما يلقي اليه بادية ذي بدء ، فقد جاء في صحيح مسلم ما نصه : عن ابي هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل من بني فزارة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن امرأتى ولدت غلاما أسود وإني أنكرته ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « هل لك من إيل ؟ » قال : نعم ، قال : « فما ألوانها ؟ » قال : حمر . قال : « هل فيهما أورك » (٤) ؟ قال : إن فيها لورقا . قال « فاني أتاها ذلك ؟ » قال : عسى أن يكون نزع عرق . قال : « وهذا عسى أن يكون نزع عرق » .

وكان هذا جوابا شافيا حاسما في موضوع السؤال لا يمكن للسائل أن يعقب عليه بنفي أو إنكار ، فقد حاوره المصطفى محاوره تركزت على ما يجري في بيئته ، ويتحرك أمام عينيه وتلمسه حواسه ، فهل له بعد ذلك أن يكرر « وإني أنكرته » ؟ .

ذلك لعبر الحق برهان واضح على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى ، وأن ما يلقي إليه إن هو إلا وحى يوحى ، وإلا فبأى شيء يوصف ما يصدر عنه من قول حكيم ، وتطبيق مستقيم ، وتوجيه ما له نظير ، أنك عبقريه ، أنك سلامة فطرة ، وإن كانت فمن وهبها ومن فطرها ومن هداها في تلك الحقب القفرء من العلم والمعلم ، من الكتاب والسكاتب ، من التضجج العقلى وفقه العقلاء لا محيص أن نقول مصدر كل ذلك هو العليم الخبير الذى اصطفى وعلم واختار وأرشد ، وأرسل رسوله وآتاه الحجة البالغة ، ومنحه الحكمة وفصل الخطاب ، ولجبال ذلك الأسلوب فى التعليم والتوجيه نسوق مثالا آخر أورده الطبرانى فى الكبير : « قال الراوى : أتى النبى صلى الله عليه وسلم فى من قريش فقال : يا رسول الله ائذن لى فى أنزنا فاقبل القوم عليه وزجروه ، فقالوا : مه مه !! (لكن سيدنا الحبيب المصطفى) قال : ادنه فدنا منه قريبا ، ففسال : « اتحبه لأمك ؟ » قال : لا والله ، جعلنى الله فداك . قال : « ولا التماس يحبونه لأمهاتهم » قال : « اتحبه لابنتك ؟ » قال : لا .. والله .. يا رسول الله جعلنى الله فداك .. قال : « ولا الناس يحبونه لبناتهم » — ثم ذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم اخته وعمته وخالته ، وفى كل ذلك يقول الفتى مقالته : لا والله يا رسول الله جعلنى الله فداك — قال : فوضع يده عليه وقال : « اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وحسن فرجه » قال الراوى : فلم يكن هذا الفتى يلتفت بعد ذلك الى شيء) كما ورد عن البخارى أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا تكلم يكرر القول ثلاثا لئلا ينفك عنه ، وعن عائشة رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يسرد الكلام كسر دكم ولكن كان إذا نطق تكلم بكلام فصل (هـ) يحفظه من سمعه ..

وفى رواية أخرى : إنما كان النبى يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه ، ولم يقبل أبدا عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام أن يطريه أصحابه أو يطيلوا الفناء عليه « إلا بالصيغ التى صحت عنه » ففى مسند أحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال لبعض أصحابه يوما : « لا تطرونى كما اطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله » .. وأنه — وإن كان كل توجيه وحكم وتعليم وارد فى الكتاب والسنة منه ما يعم النساء والرجال جميعا ، وإن ورد الخطاب للمذكر وخاصة فى العقائد وأصول الدين — فمع هذا نجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خص النساء بمجالس خاصة حين قلن له : يا رسول الله ما نقدر عليك فى مجلسك من الرجال فواعدنا منك يوما نأتيك فيه ؟ قال : « مودعكن بيت فلان » وهناك لقيهن وتحدث اليهن مجيبا عن كل ما وجهن من أسئلة ، كما حكى ذلك البخارى ومسلم وغيرها ، وقد قالت عائشة رضى الله عنها : « نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين » فقد كن لا يتخرجن فى الأسئلة مهما كانت ما دامت ترمى الى فهم ما استفتى عليهن من أمور دينهن رضى الله عنهن جميعا ، روى البخارى أن امرأة (٦) جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : « يا رسول الله ، إن الله لا يستحي من الحق ، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت ؟ » فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إذا رأت الماء » ففطت أم سلمة — تعنى وجهها — وقالت : يا رسول الله ، أوتحتم المرأة ؟ قال : « نعم تربت يمينك فم يشبهها ولدها ؟ » . ٣ — والحديث الشريف موضوع البحث يكشف عن خبيثة نفس المتطاول الى مستوى لم يهيا له ، ولا تسمو به مؤهلاته اليه ، فهو يريد الصدارة وما تليق

به إلا المؤخرة ، وتلك صورة تمر كثيرا في حقب الزمان المتباعدة ، وبين كل أرباب الوظائف والحرف المختلفة ، فكم من صريع على يد مسمى القنطاسة ، وكم من جاهل يبدى للامة انه نفريس (٧) ، وما أكثر ما يتصدرون للفتيا وهم من الجهالة بمكان ، ورحم الله امرا عرف قدر نفسه ، وهذه احوال يجب ان يتعد عنها وينفر منها من ينتسب الى الاسلام دين الحق الواضح والعلم النافع ، ولهذا نجد ونلاحظ هنا في حديث سيدنا الحبيب رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء بالموت والهلاك لأولئك الذين اغتوا بغير علم فاماتوا صاحبهم ، ويقول في جلاء واشراق ما معناه : هلا استعملوا من غيرهم ممن هو ادرى منهم بالحسك ان جهلوا وحين اغلق عليهم الامر ، ويشرح حالهم المتناهت ، وانهم لا يستحقون الحياة ، لانهم هم مرضى وجهلة ، ومع هذا لم يحاولوا شفاء عيهم ويتفلبوا على قصور معارفهم بسؤال من يعلم : « قتلوه ، قتلهم الله ، الا سألوا إذا لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال » ولعل الذين يتجسرون على الله ، ويفتون بما لا يعلمون ان ينخلوا عن كبريائهم المتكلف حتى لا يكونوا وقودا للنار ، فقد ورد في الآثار : ان سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنه كان إذا سئل أحال المسائل على سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فيقال له في ذلك فيقول : « أتريدون ان تجعلوا ظهورنا جسورا يوم القيامة تقولون اغتانا بها ابن عمر » ولن يفنى من قيمة المسئول حتى العالم ان يقول لا ادرى ، فقد روى عن مالك بن انس رضى الله عنه انه قال : « من قال لا ادرى فقد أغنى واستنبرا لدينه » وهذا إذا لم يتعين الانقضاء على هيئة او شخص فحينئذ يستعين الله ويتحرى الصواب ، ويتقى الله ويعطيه الله إنه سبحانه نعم الهادي الى سواء السبيل ..

- (١) بالبناء للمجهول ..
- (٢) في الامر عيا وهو عبي : مجز عنه ولم يطق إكماله .. والرجل بتكلف عملا فبعيا به وعنه اذا لم يهتد لوجه عمله .. وعييت فلانا اعياء أى جهلته .. الخ « نراجع مادة : عيا » في لسان العرب ..
- (٣) ورد هذا النص في مسند الامام احمد باسناد صحيح ، والنص السابق رواه ابو داود في سننه والفاية في التصني واحدة وان اختلفت الرواية .
- (٤) الاورق من الابل الذى فى لونه بياض الى سواد ، والورقة (بضم الواو وسكون الراء) سواد فى غيرة (بضم الغين المحمية) وقيل سواد وبياض كدخان الرمث يكون ذلك فى انواع البهائم واكثر ذلك الابل - « لسان العرب مادة : ورق » .
- (٥) في لسان العرب مادة (فصل) : وفى صفة كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : فصل لا نزر ولا هذر : أى فاصل قاطع .
- (٦) فى فتح البارى بشرح البخارى تأليف : الحافظ شهاب الدين أبى الفضل المصطفى المعروف بابن حجر : ان المسألة هى : أم سليم بنت ملحان والدة انس بن مالك وان أم سلمة رضى الله عنها زوج الرسول صلى الله عليه وسلم كانت حاضرة المجلس .
- (٧) يقال : نطاس للطبيب الحاذق بالطلب المصالح بفنونه ، كما يطلق نفريس : على اللطن للامور الفاتحة لها - « لسان العرب مادة : نطس » .

نظرة فاحصة حول

الإباحة

عند الأصوليين والفقهائ

د. محمد سلام مذكور

الترك دون ترتب ثواب أو عقاب على
الفعل أو على الترك ..
وعلى هذا التعريف يكون المناط
في الإباحة أن يخير الشارع بين
الفعل والترك بقطع النظر عما يترتب
على ذلك من مصلحة أو مفسدة لأن
التشريع في جميع الأحكام مرتبط
بالادلة الشرعية ومسايير لدالاتها
فما دل الدليل على وجوبه فواجب ،
وما دل على تحريمه محرام ، وما دل
على إباحته فمباح من غير نظر لما
يترتب على ذلك من مصلحة في
اعتبارنا أو مفسدة ..
وفي التقييد بأن ذلك يكون عن
طريق الدليل السمي - نصا أو
استنباطا عن طريق الامارات التي
وضعها الشارع لبيان أحكامه لأهل
الذكر - احتراسا أيضا عن مذهب

الإباحة من باح بمعنى ظهر ..
يقول الأمدى : إن المباح مشتق من
الإباحة وهي الإظهار والإعلان ، وقد
ترد بمعنى الإطلاق والإذن (١) . وقد
ذكر الأصوليون عدة تعريفات لها ،
وللمباح والذي انتهينا إلى اختياره (٢)
هو ما ذهب إليه الأمدى من أن
المباح : ما دل الدليل السمي على
خطاب الشارع بالتخيير فيه بين
الفعل وتركه من غير بدل .. وأن
الإباحة على هذا دلالة خطاب
الشارع على التخيير بين فعل الشيء
وتركه من غير بدل .. وبذا يخرج
عن دائرة الإباحة هنا تخيير العباد
في الكفارات عن حقيقة الإباحة لأنه
تخيير بين أمور يجب فعل واحد منها
أي تخيير إلى بدل .. لأن التخيير في
الإباحة تخيير بين مطلق الفعل ومطلق

مقابلة الخطر الذي هو المنع . الفقيه الحنفى الميى (هـ) ، وقاضى زاده (٦) . وشيخ زاده (٧) وغيرهم ، فقال هؤلاء : هي الإطلاق في مقابل الخطر . ولفظ الإطلاق يفنل الإطلاق من جانب الله والإطلاق من جانب العباد بعضهم مع بعض . والإباحة على هذا تكون بمعنى الإذن . ولذا نجد الجرجاني في تعريفاته يقول : الإباحة الإذن بإتيان الفعل كيف شاء الفاعل (٨) .

والإذن من الشارع يكون في الاستيلاء على المال المباح وهو كل ما خلقه الله لينتفع به الناس على وجه معتاد وليس في حيازة أحد مع إمكان حيازته ، والمال المباح بإذن من الشارع قد يكون حيوانا برياً وبحرياً وطيراً ويكون نباتاً حشائش وأعشاباً حطباً ، ويكون جماداً وأرضاً مواتاً وناراً وماء وهواء ، وفي هذا يقول الرسول عليه السلام : « الناس شركاء في ثلاث : الماء ، والكلا والنار » وبالإستيلاء على المال المباح تنشأ عليه ملكية تامة دون اعتبار للأهلية في شخص من استولى عليه لأنه سبب فعلى للملكية .

وكذلك فإن إذن الشارع يكون في مجرد الانتفاع دون تملك لرغبة الشيء المنتفع به كالإذن في الانتفاع بالمساجد والطرقات العامة ، ونحوها وكذا الرباطات على الوجه الذي شرعت له ، ويدخل في ذلك إباحة الانتفاع بأشعة الشمس وضوء القمر .. ونحو ذلك ..

والإذن من الأفراد بعضهم لبعض على سبيل الاستهلاك كمن ينثر النقود والحلوى في الأفراح ، ويقدم الشراب والطعام للأضياف .. فإن ملكيته للمأثون له لا تكون إلا بالتناول .. بل ذهب البعض إلى أنه يستهلكها وهي على ملك صاحبها ، ويكون إذن العباد بعضهم لبعض على سبيل

المعتزلة في التحسين والتتبيح العقلين ، ودعوى أن الأحكام تدرك بالعقل من غير توقف على دليل الشرع ، وأن الشرع إنما يجيء مؤيذا لها ..

والإباحة الشرعية داخلة في الحكم الشرعي وقسم من أقسامه .. لأن الحكم الشرعي هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين على سبيل الطلب أو التخيير أو الوضع (٣) ، ويندرج تحت الطلب الواجب والمنسحب والحرام والمكروه مما يطلق عليه الحكم التكليفي ، ويندرج تحت الوضع السبب والمانع والشرط مما يطلق عليه الحكم الوضعي .. أما الحكم التخييري فهو الإباحة الشرعية ..

وإنما قيدنا الإباحة هنا بأنها شرعية لنخرج الإباحة الأصلية ، التي لم يرد في شأنها حكم شرعي وقرر الفقهاء أن الأصل في الأشياء الإباحة وإن كانوا قد اختلفوا حول ذلك تبعاً لاختلاف الموضوع ، ومع هذا فيمكن القول بأن الإباحة الأصلية أيضاً تدخل تحت نطاق الأحكام الشرعية باعتبار أنها مستتادة من بعض النصوص كقوله تعالى : « خلق لكم ما في الأرض جميعاً » .

ويستعمل الفقهاء لفظ الإباحة كثيراً في مقابلة الخطر ، فقالوا : إن المباح ما أجز للكلف فعله وتركه بلا استحقاق ثواب ولا عقاب أو مأخذ فيه ، ويذكر بعض الفقهاء الإباحة بمعنى ما يقابل التحريم فتكون شاملة على هذا المكروه ، وتكون على هذا قريبة من الجواز إذ قالوا : جائز مع الكراهة . وقال ابن قدامة الحنبلي في شأن النثار - أي نثر الحلوى ومثلها في الأفراح والموائد - : إن الخلاف إنما هو في كراهيته وأما إباحته فلا خلاف فيها (٤) ، فهو صريح في أن الإباحة لا تنافي الكراهة ، ومن جعل الإباحة في

الانتفاع فقط مع بقاء الرقبة على ملك صاحبها كمن يدعوك لركوب سيارته أو السماع من مذياعه أو مشاهدة مسرحية عنده ، أو التفرج بصور في معرضه الى غير ذلك من صور إباحة المنافع ..

ويشترط في الإذن من العباد لبيع الإباحة أن لا يكون على وجه يفيد التملك إذ أن الإباحة بطبيعتها لا تفيد تملكاً على ما سنينه في مقال آخر ، كما يشترط أن يكون الإذن على وجه لا يباه الشرع ، فلو أذن شخص غير مسلم لصديق له مسلم في تناول قدح عنده من الخمر كان هذا الإذن غير معتبر ، وكذا لو أباحت امرأة نفسها أو أباحت زوجها فإن ذلك الإذن لا يبيع عرضها للغير وإنما هو منكر وإثم ولا يعفيه إذنه أو إذنها أو إذن زوجها من استحقاق العقاب إذا ما شرب الخمر أو فعل الفاحشة .. فإذا العبد دائماً متوقف على إذن الشرع .. فهو وحده لا يحقق الإباحة الشرعية ..

مع أن القوانين الوضعية غير الإسلامية تجعل إذن المرأة البالغة المعاتلة الرشيدة غير المتزوجة محققاً للإباحة ومائناً من المسئولية ما دام الفعل غير خارج على النظام العام ، ولا مخالف له .

والواقع أن ربط الأعمال جيماً بإذن الشارع وترخيصه ولا سيما في مثل هذه الجزئية أمر له مزيته وخطره في تحقيق سعادة الفرد والمجتمع . ولعل ما حدث في أوروبا والبلاد الغربية يؤيد نظرية الشريعة الإسلامية في هذه الجزئية .. فقد تحللت الجماعات الأوروبية والأمريكية ومن على ساكنتها بشيوع الفاحشة والإباحة فيها .. وما كان ذلك إلا لإباحة الجنس واعتباره حقاً شخصياً لا يمس صالح الجماعة .. ومن الغريب أن القوانين الوضعية

لا تعتبر كل وطء محرم زناً ، وأغلبها يعاقب بصفة خاصة على الزنا الحاصل من الزوجة ، ويعتبر إتيان من عدا الزوجة وقاعاً أو هتك عرض ، ولا يعاقبون على الوقوع إلا في حال الاغتصاب ، فإن كان بالتراضي - أي بإذن منها بأن أباحت له نفسها - فلا عقاب عليه ما لم يكن الرضا معيياً ..

ولعلك يا أخى القارىء أدركت ما في التشريع الإسلامى من أصالة ، وما لفتقاء المسلمين من عمق في البحث وبعد نظر حينما اشترطوا لإعتبار إذن العباد بعضهم لبعض أن يكون على مرقق الشرع غير خارج على قواعد وآداب العامة ..

وأما إذن الشارع وحده فإنه لا يتوقف على إذن العباد إلا بالقدر الذى يحفظ النظام ويمنع التشاحن ، ومع هذا فإن من حق المأذون له من الشارع أن يستوفى ما أذن له فيه سواء أذن الناس أم أبوا ، فالمضطّر لأخذ الفاضل من طعمام غيره أو شرابه لينقذ به حياة نفسه أو حياة من يعمل حق له الأخذ ولو جبراً عن صاحبه دفعا للاضطرار لقوله تعالى « من اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه » ومع هذا فإن حق العبد في الضمان لا يسقط بإذن الشرع .

ومع توقف الإباحة في إذن العباد على إذن الشارع فإننا جعلنا إذن العباد تسبباً مقابل لإذن الشارع باعتبار أن إذن العباد فيه هو الأساس ، وأن الشارع جعله كذلك ، وجعل إذنه فيه متوقفاً على إباحة صاحبه وإذنه ، ولهذا وجدت جزئيات كثيرة يتحقق فيها الإذنان ، وينفصل بعض تلك الجزئيات عن بعض انفعالاتها نوعياً بناء على هذا التقسيم . وهو أنه وإن كان الممول فيها على إذن الله وحده كما في نوم المعتكف في المسجد وأكله وشربه فإننا نعتبره من

هذا والإباحة التي مصدرها إذن العباد بعضهم لبعض ، قد تكون إما لا وجوب فيه على العبد كما في التبرع بدعوة شخص إلى طعام أو شراب أو مبيت وغير ذلك ، وقد تكون إسقاطا لواجب أو خروجا من عهدة كما في النذر ونحوه من الكفارات ، وكما في الضيافة الواجبة ، عند بعض الفقهاء ، ولا منافاة بين كون الفعل إباحة وكونه خروجا من عهدة ، فإن الإباحة هنا يكون معناها الإخلاء بين الفقير وبين تناول الطعام من غير تمليك إياه وغرق بين الأمرين . . . والخروج من العهدة كما يتحقق بالتملك يتحقق بالإباحة في الجملة ، وهذا في الحقيقة من قبيل الواجب المخير الذي يسقط فيه الواجب ويخرج عن العهدة بفعل البعض . يقول الفقهاء : إن من عجز عن الصوم في كثرة الظواهر أطعم مستين مسكينا إما على سبيل التملك يدفع الطعام الذي هو نصف صاع من بر أو صاع من شعير أو دقيق ، وإما على سبيل الإباحة بأن يقدمهم ويمشيهم ، وإما على سبيل الجمع بين الإباحة والتمليك بأن يقدمهم ويمطيهم قيمة المشاء أو بالعكس لأنه جمع بين شيئين جائزين على الأفراد ، وقالوا : إنه لو أباح واحد أكل الطعام في يوم واحد دفعة واحدة أجزاء عن يوم واحد فقط . جاء في التوير وشرحه وحاشيته : « تصح الإباحة بشرط الشبع في طعام الكفارات سوى القتل فإنه لا إطعام فيه فلا إباحة » (١٢) والاضابط فيها نرى أن ما شرع بلفظ إطعام وطعام جاز فيه الإباحة ، وما شرع بلفظ إيتاء أو أراد شرط فيه التملك وقد يكون ذلك الإذن في صمنور منا نذب إليه الشارع وحث عليه كما في الولاثم والمقاتل والتفسييف ، ومما نذب إليه الشارع وحث عليه

قبيل إذن الله لأننا لا نبالي بأن يوافق العبد أو لا يوافق ، بخلاف مثل تناول من طعام الغير إذا أذن فيه صاحبه كما لا يخفى ، وكذلك استئصال البضع بكلمة الله فإن الله سبحانه أحل الزواج وأذن فيه ، ولا يتم ذلك إلا بالاعتقاد والرضا من الزوجين . فحق الله (٩) ليس مجالا لإذن العبد ولا ترخيصه ، وبناء على هذا لم يعتبر الترخيص بالزنا وإن كان الحق فيه قد يلتبس بما هو حق العبد وملكه بنساء على ما يقولون من أن منفعة البضع ملك الزوج ، كما يصرحون في شريف النكاح بأنه عقد يرد على ملك المتعة . . . وهذا يلتقي مع ما قلناه في شأن إذن العبد ولا يختلف عنه لأن كل تصرف لا بد أن يكون في حدود ما أباح الشارع وأذن به . فملك المتعة من المرأة لا يقضى بحرية التصرف فيه مطلقا بل لا بد أن يكون ذلك التصرف في حدود ما أذن الشارع به . فالزوج حين كان مملكا للانتفاع بالبضع إلا أن التصرف فيه مقيد بلئن الشارع . . . لأن ملك المتعة من قبيل ملك الانتفاع لا ملك المتعة ، وملك الانتفاع يقتصر التصرف فيه على المالك بخصوصه بخلاف ملك المتعة . . . ولهذا جسرده الحسكي في الدر بقوله (١٠) : ملك المتعة وهو انفصال الزوج بمنافع نفسها ومساكن أعضائها على سبيل الاستمتاع الشخصي ، وفي حاشية قلوبى وعيمره على شرح منهاج الطالبين « إن النكاح شرعا عقد يتضمن إباحة ربط ، بلفظ نكاح أو تزويج فهو ملك انتفاع لا ملك منفعة » وفي الإقناع (١١) : « هل النكاح مفيد ملكا أم إباحة ؟ وجهان : أوجهها الثاني . على أن القول بأنه ملك يمكن أن يفسر بأنه ملك انتفاع لا ملك منفعة ، وملك الانتفاع عينا يعدو مرادف للإباحة .

يواسيه ييذل ما عنده ويجود به ،
ولهذا شبهه صاحب المفتى الحنبلي
بالنثار ، وقرق بينهما بأن النثار نبهة
وتساليا وتجاوزا بخلاف هذا فإنه عن
رضى وطمانينة . فهو عفدنا اقرب الى
معنى الضيافة وهى لا خلاف فى انها
إباحة ..

هذا وقد يتصف إذن العباد بعضهم
لبعض بالكراهة كما فى الضيافة
المستتلة على الاسراف أو التى
أساسها التفاخر والمباهاة ، أو
الخروج بها عن حدود الآداب دون أن
تصل الى مرتبة الحرمة ، وإلا كانت
خارجة عما نحن بصددده وهو ما كان
على وجه لا يباه الشارع .

ومقتضى مسلك الأصوليين فى
الجملة — ما عدا الحنفية — أن
المكروه ليس على وجه يباه الشارع ،
على أنهم يختلفون فى كونه منها عنة
أو غير منهي عنه ، وكونه من الأحكام
التكليفية .. أو من غيرها (١٦) ،
والتحديد بين المكروه والمحرم فى مثل
هذا أمر يختلف باختلاف ما يشتدل
عليه الفعل من المفسدة والضرر
واختلاف المنفق ، ويسكن لفتيه أن
يدركه بالنظر فى الجزئيات واختلاف
بعضها عن بعض فى هذه الناحية .
يقول الشاطبى فى الموافقات (١٧) :
ليس فى الإسراف حد يوقف دونه ،
وأن الإنسان يرى بعض المباحات
بالنسبة الى حاله وأخلا تحت
الإسراف فيتركه ، وأن التنفكة فى
المباح بالنسبة الى الإسراف وعده
والعمل على ذلك مطلوب .

ومما أوردها يتبين أن المأثور فيه
من العباد بعضهم لبعض تتوارد عليه
جميع الأحكام الشرعية عدا الحرام
لأن ما عداه هو الذى يكون لا يباه
الشارع . أما الحرام فلا كلام فى أنه
لا يعرض للمباح بهذا المعنى .

وينبى قبل أن نختم هذا المقال
أن نقول : إن الإباحة ليست إجراء

خط المسافرين أزوادهم فى السفر ،
ولا سيما إذا نفذ زاد بعضهم وقد
ورد هذا فى حديث الصحيحين (١٣)
عن أبى موسى الأشعرى ونصه أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن
الأسمرين إذا أرملوا — أى فى
طعامهم — فى الغزو ، أو قل طعام
عيالهم فى المدينة ، جبعوا ما كان
عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه
بينهم فى إناء واحد بالسوية . فهم
منى وأنا منهم » . قال النووي فى
شرح مسلم : وليس المراد القسمة
المعروضة فى كتب الفقه ، وإنما المراد
إباحة بعضهم بعضا ومواساتهم
بالوجود . ويقول الكرماني فى شرحه
لصحيح البخارى إن هذا من باب
الإباحة ..

وقد ورد هذا فى الفتاوى الهندية
فى باب الكراهية فى الأكل
ومباراتها (١٤) « المسافرون إذا
خلطوا أزوادهم أو أخرج كل واحد
منهم درهما واشتروا طعاما واكلوا
فإنه يجوز وإن تناوتوا فى الأكل » .
ونقله عن الوجيز ، كما أورده أيضا
ابن قدامة الحنبلى فى كتابه المفتى
فقال (١٥) : « ولا بأس أن يخلط
المسافرون أزوادهم ويأكلوا جميعا ،
وإن أكل بعضهم من بعض فلا بأس ،
وقد كان السلف يتعاهدون فى الغزو
والحج .. أى يرمى بعضهم بعضا .
وما اعتبره كل من النسوى
والكرماني ومن ذكرنا من الفقهاء من
كون هذا من قبيل الإباحة شرح نفهى
دقيق وهو المتفدح لأنه إذن عرمى
دارج فى الاستعمال فيعد أن خلطوا
الزاد بعضه بعضا وجلسوا للأكل كان
ذلك إفتنا من كل واحد منهم الآخرين
ولا معنى لهذا إلا أن كلا منهم أباح
ما خلطه من طعام الآخرين .

ولا فرق بين هذا وبين مسورة
الضيافة لأن كلا من المضيف والمسافر
مع زميله ، أو المواسى مع من

ابن حزم الظاهري في المجهول (١٨)
بخلاف العطية والهبة والصدقة
والعمري والرقبي والحبس الموقوف
وغيره ، وكذلك كطعام يدعى اليه
توم يباح لهم اكله ولا يدرى كم يأكل
منهم .

وإني أعد القارئ أن أقدم له في
المقال التالي « أساليب الإباحة
والصلة بينها وبين التخيير والحل
والجواز » ثم اختتم الموضوع بمقال
عن « أسباب الإباحة وانرها في
التملك والضمان » .. والله الموفق .

تعاقدنا لمهي لا تحتاج الى الإيجاب
والقبول ، وإنما توجد بمجرد وجود
الإذن التولي أو العملي ، كما أنه
لا يشترط فيها أن يكون المأذون له
معيناً معلوماً للأذن وقت الإذن
لا بشخصه ولا بأبائه ، فمن يضع
الماء في الجوابي والأباريق ويضعها
على قارعة الطريق ، ومن يخصصون
سبيل ماء للشرب يلحقونه بدورهم .
لأنهم يبيعون بذلك لكل من يمر أن
يشرب منها دون تعيين للمأذون لهم
لا بالاسم ولا بالوصف .
وكذلك فإن الإباحة جائزة كما يقرر

- (١) الأحكام في أصول الأحكام هـ ١٢١ .
- (٢) راجع تفصيل عموم الموضوع في كتابنا « الإباحة عند الأصوليين والفقهاء » .
- (٣) انظر لنا في موضوع الحكم كتاب « مباحث الحكم عند الأصوليين » .
- (٤) المغني هـ ٧ ص ١٣ .
- (٥) في كتابه رمز الحقائق هـ ٢ ص ٢٦٥ .
- (٦) في كتابه نتائج الأفكار هـ ٨ ص ٧٩ .
- (٧) في كتابه جميع الأنهر هـ ٢ ص ٥٢٢ .
- (٨) التعريفات للرجائي ص ٢ .
- (٩) يرى الحنفية ومن تابعهم أن حق الله هو ما يتعلق به النفع العام للعالم وحفظ النظام العام فيه ، فهو شامل للمصلحة الدنيوية والمصلحة الآخروية فلا يختص به أحد إنما نسب الى الله تعظيماً ولتشريف ما تولى نفعه وعظم خطره ومثلوا لذلك بحرمه الزنا التي تتعلق بها عموم النفع من سلامة الأنساب وصيانة الفرائض ومنع الصفات بين الناس كما عرفوا حق العبد بأنه ما يتعلق به مصلحة خاصة دنيوية كحرمة مال الغير فإنه حق العبد لتعلق صيانة ماله ولهذا فإنه يستباح بإباحة المالك .. وعلى هذا فالراعي في الحنتين هو مصالح العباد عامة وخاصة ..
- لكن الشاطبي يرى أن كل حكم شرعي فيه حق الله وهو جهة التحديد بالفعل ، وبغيره حق العبد وهو ما رويته فيه مصلحة دنيوية كانت أو آخروية ..
- (١٠) هـ ٢ ص ٢٨٠ .
- (١١) هـ ٤ ص ٢٠٦ .
- (١٢) شرح الدرر بحاشية ابن عابدين هـ ٢ ص ٦٣٢ .
- (١٣) البخاري في باب الشركة في الطعام والنفد هـ ١١ ص ٥٠ ، مسلم في باب فضائل
- الاشعرين هـ ١٦ ص ٦١ .
- (١٤) هـ ٥ ص ٢٤١ .
- (١٥) هـ ٧ ص ١٤ .
- (١٦) انظر الأحكام للتمدي هـ ١ ص ١٧٤ وانظر لنا كتاب مباحث الحكم عند الأصوليين
- ص ٩٢ ، ١٠٦ .
- (١٧) هـ ١ ص ٧٨ .
- (١٨) المعلى هـ ٩ ص ١٢٤ .

المركز الثقافي الاسلامي في إسكندنافيا

* تأسس المركز الثقافي الاسلامي بكونهاجن في الدنمارك لخدمة المسلمين الموجودين في هذه المنطقة ومساعدتهم وتغذية الروابط بالاضافة الى تعميق المفاهيم الاسلامية لديهم لانهم في أمس الحاجة الى تفهم الاسلام وسط الظروف الروحية السيئة التي يعيشون فيها .

* ان عدد المسلمين في الدنمارك حوالي (١٢) ألف مسلم وهم يحتاجون الى مكان تقام فيه الصلاة والاحتفال بالمناسبات الدينية التي تمر بهم دون ان يشعروا بها وقد يضطر بعضهم الى مطالبة الجهات المسؤولة لاعتارتهم صالات الالعاب الرياضية لاقامة الصلوات الدينية بها ، وهذه الجهات لا توافق إلا على اعطاء الأماكن البعيدة أو غير المناسبة على الأقل في اوقات غير مناسبة .

* في عيد الاضحى الماضي لم تقم صلاة العيد المشروعة لعدم الحصول على مكان تقام فيه الصلاة ويسهل الوصول اليه بحجة شغل كل الأماكن .

* وتوجد مشكلة الأطفال الذين يفقدون لغتهم نظرا لدراساتهم باللغة الدنماركية ، ولا يجدون اى جهة تدرس لهم اللغة العربية ، ويتلقون منها شيئا من الاسلام . الأمر الذي يفقدهم كل ارتباط بالاسلام .
* لقد تأسس المركز الثقافي الاسلامي تحت رعاية سفراء الدول الاسلامية ليقوم بالواجبات المحددة به ، ومقره الحالي غرفة صغيرة في الدور الثالث لا تزيد مساحتها عن عشرين مترا يجتمع فيها الاعضاء وتستعمل للصلاة ، وأخيرا افتتحت حانة في الدور الأرضي من البناية .
* ان واقع المسلمين في هذه المنطقة سيء وهم في حاجة الى من يساعدهم ويشد أزركم فغالبيتهم عمال تنقسم أجورهم الضرائب الباهظة والاسعار المرتفعة بالاضافة الى التزاماتهم المالية نحو اهليهم ببلدانهم الأصلية .

* والمركز في كتابه الى المجلة يطلب العون من المسلمين ، ويناشدهم أن يؤدوا حق الله عليهم .. ان رحمة الله قريب من المحسنين .

الحدود في الإسلام

الأستاذ عبد الكريم الخطيب

(١)

تعتبر الحدود التي رصدها الإسلام قصاصا من الخارجين على احكام شريعته ، والمعتدين على حرمة الجماعة ، من دماء واموال ، واعراض - تعتبر هذه الحدود منخلا واسما الى محاولات محومة مستمينة ، من المستترقين ، والمتلذذين منا عليهم ، للثيل من الاسلام ، والتشويش عليه ، وتمكين موارده الصافية ، وذلك باصطناع اساليب خبيثة ملكرة ، تستتر بستار خادع ، يدخل على عقول السذج ولوى الفظة ، تحت اسم التحرر العقلي ، او التفكير الوجودي ، الذي يطلق فيه المرء عقله من كل عرف ، او قانون وضمي او سموى ، لينى وجوده من ذات نفسه ، ومما تفرزه مشاعره ، ووجداناته ، ومخازنه ، كما يفرز المنكبوت من لعله الخيوط التي بينى منها عاله الذي يعيش فيه .. !!

وبكلمات محفوظة مرددة يقلب هولاء المستشرقون واتباعهم بين تعاليم الاسلام ، وبين حياة البادية التي ظهر فيها ، وما فيها من جفاف ، وجفاء ، وجذب ، وخشونة ، وجهل ، وبدائية لا تبتعد حدود الانسان فيها كثيرا عن عالم الحيوان الذي يعيش معه في تلك المواطن !! هكذا يقولون .. !
فالقرآن في اساليبه ومصانيه ، وفي احكامه وآدابه ، وفي اخباره وتقصيه ، هو صورة لحياة البادية ، وما يجري في تفكير سكانها ، وما يدور في احيائهم ، او بداعب احلامهم ..
وعلى هذا ، فإن التجاح الذي صانفته الدعوة الاسلامية في اول امرها ، إنما هو - حسب هذا الفهم المفلوط - نتيجة للامامة الدعوة لحياة المجتمع الذي اتقت به في الجزيرة العربية ، وتجاوبها معه ، ووقوعها عند حدوده ، مكتفا وزمانا ، بحيث لو خرجت هذه الدعوة عن حدود هذا الزمان وذلك المكان ، لما تقبلتها النفوس ، ولما استجابت لها العقول ، ولما قامت لها قاتبة بين الناس !
وقد كان لهذه المقولات الخادمة المضللة دور كبير في التسلط على عقول شعبنا ، وفي خلق هذا الشعور القلق ، المجاني للدين ، والمستخف بتعاليمه ، وخاصة عند اولئك الذين تلقوا دراساتهم في الجامعات الاوروبية والأمريكية ، والذين خدعتهم الحياة هناك ببهرجها المادي ، وزيفها ، فانطلى عليهم هذا الزور ، فلم يأخذوه مأخذ الشك والحذر ، ولم يراجعوه على حقائق الاسلام ، وبعرضوه على احكامه وتعاليمه ، إذ اعجلهم حب اللحاق بموكب المدنية الغربية

الصاخب ، عن النظر في شيء من هذا الذي تحمله الشريعة الإسلامية من حقائق عليا ، ترفع أبناء هذه الأرض عن عالم التراب ، الى عالم الحق والنور ، عالم الملأ الأعلى ، فإذا هم بشر يخلقون في السماء ، أو ملائكة يمشون على الأرض ! ولكن حب العاجلة قد أخذ بالباب المفتوحين منا بيبريق المدينة الغربية ، ولحان بروقتها الخلب ، فقصروا نظرم القاصر على واقع الحال منا اليوم ، في مواجهة المدينة الغربية ، وما يملك أهلها من أساليبها ووسائلها ، التي خلت أيدينا منها ، غبان من خلال هذه النظرة بعد ما بيننا وبين القوم هناك ، حيث يملكون من مظاهر الحياة المادية ما لا نملك ، ويأخذون من متع الحياة كل ما يشاؤون ، في حين أننا لم نأخذ من الحياة إلا الفئات من فضل ما يلقون به إلينا .. !! وقد وجد المخدوعون منا في هذه الموازنة بين حياتنا وحياة القوم ، شاهدا محسوسا لا ترد شهادته في تخلفنا وتقدمهم ، وشقاؤنا وسعادتهم ، فقبلوا هذه الشهادة ، على الإسلام ، وعلى المسلمين معا ، وأقاموا حساب الإسلام في أحكامه وتعاليمه على الميزان الذي أقاموا عليه المسلمين في تخلفهم ، وضعفهم .. ومن هنا كان منهم هذا الموقف المجاني للإسلام ، المستخف بتعاليمه ، الخارج على حدوده ..

(٢)

ويكفي في هذا المقام أن نسوق مقولة من تلك المقولات المضللة لأحد المستشرقين ، وهو المستشرق النرويجي (جولد تسيهر) الذي يجد في نظرنا أكثر المستشرقين اعتدالا واتزاناً .. وأقلمهم تعصبا على الإسلام ، وأصدقهم نية في البحث عن الحقيقة ، وإن يكن تصر به عليه عن إدراك حقائق الإسلام العليا بعقله المادي المشبع بمادية الحياة التي رضع من ثديها صغيراً ، وتربى في حجرها كبيراً .. !

يقول (جولد تسيهر) في حديثه عن القرآن ، وفي التعريض به كدستور يحكم مجتمعا يدين به :

« من الخطأ أن ينسب إلى القرآن أكبر القيم في بيان طابع الإسلام بوجه عام ، كما أننا من باب أولى لا نستطيع أن نؤسس حكما على الإسلام مستندين في ذلك على هذا الكتاب وحده لدى الأمة الإسلامية .. » !!

ثم يقول : « وهكذا يظهر أنه غير صحيح ما يقال من أن الإسلام في كل العلاقات جاء إلى الناس بطريقة كاملة ! بل على العكس ، فإن الإسلام والقرآن لم يتما كل شيء ، وكان الإكمال نتيجة لعمل الأجيال اللاحقة » !!

ويتدرج (جولد تسيهر) من هذا الطبع إلى التصريح فيقول :

« والقرآن نفسه لم يعط من الأحكام إلا القليل ، ولا يمكن أن تكون أحكامه شاملة لهذه العلاقات غير المنتظرة كلها ، مما جاء من الفتوح .. فقد كان — أي القرآن — مقصوراً على حالات العرب المساذجة ، ومعناها بها ، بحيث لا يكفي لهذا الوضع الجديد !!

« والواقع أن هذا الكتاب لم يحكم المسلمين إلا في خلال العشرين سنة الأولى من نموه !!

« ففي خلال حياة الإسلام التاريخية كلها ، ظل القرآن في رأى أتباع دين محمد (كذا) عملاً أساسياً محترماً باعتباره موحى به من عند الله ، كما ظل كذلك موضع إعجاب عظيم إلى حد لم يظفر به أي عمل من الأعمال الأدبية » !!

ثم يفتى قائلا :

« ولكن بالرغم من أن الإسلام في أطوار نموه التسالية قد اتخذ القرآن أساسا ، وهو أمر طبيعي ، وبالرغم من أنه كان يوزن به جميع منتجات العصور المتأخرة ، وبالرغم من أن كل شيء قد تصوّر على أنه يتفق معه ، أو حاول تصور ذلك ، بالرغم من هذا كله فإنه لا يمكن أن نتناسى أن القرآن بعيد كل البعد عن أن يكفي وحده لمواجهة عقلية الإسلام التاريخية » !!
ثم يضرب الكاتب لهذا مثلا فيقول : « إن الرسول نفسه قد اضطر لتطوره الداخلي (كذا) وبحكم الظروف التي أحاطت به ، إلى تجاوز بعض الوحي القرآني إلى وحي جديد في الحقيقة ، كما اضطر إلى أن يعترف أنه ينسخ بأمر الله ما سبق أن أوجاه الله إليه » !!

ثم يقول معقبا على هذا : « فإذا كان الأمر كذلك في عصر (محمد) فمن باب أولى أن يكون كذلك ، بل وأكثر من ذلك عندما تجاوز الإسلام حدود البلاد العربية ، وتامع لكى يكون قوة دولية » (العقيدة والشريعة لجولد تسيهر) ص ١٤ وما بعدها ..

وهذا كلام واضح صريح في القول بأن القرآن عمل أدبي ، من عمل محمد أشبه بالملفات مثلا ، وأنه حين يتطور محمد في آرائه ومنازعه من خلال نظرته إلى الحياة ، تتطور آراؤه وأفكاره ، ومنازعه ، فيضطر إلى تنقيح هذا العمل الأدبي بالحذف والإضافة ، شأنه في هذا شأن كل أديب حيال أعماله الفنية ! حيث تظهر بصمات الزمن عليها ، كما تظهر بصماتها على قسمات وجهه ، ولون شعره .. !!

بهذه العقلية ينظر (جولد تسيهر) إلى القرآن الكريم ، ولا يستسيغ عقله أن ينهم معنى النسخ في القرآن ، ولا أن يعد الآيات القرآنية التي قيل بنسخها قرآنا متعبدا به ، وعابلا في بناء الشريعة الإسلامية ، كما لا يستسيغ عقله أن يقبل أن محمدا كان رسولا من عند الله إلى الناس ، يبلغ ما ينطق من آيات الله وكلماته ، فلا يتحرك حركة في مجال الرسالة ، ولا ينطق بكلمة في محيطها إلا عن وحي ، وعن أمر من رب العالمين : « وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى » (٣ و ٤ : سورة النجم) وأنه ، وهو رسول الله ما كان له أن يكذب على الله ، وأن يقول من ذات نفسه قولا ثم ينسجه إلى الله ، والله سبحانه وتعالى يقول : « ولو تقول علينا بعض الأقاويل ، لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين » (٤٤ — ٤٧ : الحاقة) وهذا في مقام الرد على مزاعم المشركين ، وقولهم فيما ذكره القرآن عنهم : « وقال الذين كفروا : إن هذا إلا إفك افتراء ، وأعانه عليه قوم آخرون » (٤ : الفرقان) .

هذا مثل من أمثلة كثيرة ، تتجاوز في الافتراء ، والتفصيل ، وسوء الفهم ، أو سوء النية ، هذا الذي نقلناه عن المستشرق (جولد تسيهر) الذي قلنا عنه ، أنه أهدى جماعة المستشرقين سبيلا ، واتوهم طريقا ، وإن كانوا جميعا على غير طريق الحق والعدل .. !!

(٣)

وندع هذا لنلتقي ببعض أحكام الشريعة الإسلامية ، وشغب الشافعين عليها ، وجهل الجاهلين بها ، ومنازعة المخازعين فيها ..

ولا يتسع المقام هنا لعرض هذه الأحكام على ميزان الحق والإنصاف ، وردّ ما ورد عليها من تلك المقولات الضالة المضلّة ، وبخسبنا أن نعرض — وفى إيجاز — للحدود التى فرضها الإسلام تصالفاً من الخارجين على شريعة الله ، المعتدين على حرّيات الدماء ، والأموال والأعراض ، كما أشرنا الى ذلك فى مطلع هذا الحديث .. وتمثّل هذه الحدود فى الجرائم الآتية :

- أولاً : جريمة الزنا ، وما يلحق بها من تذفّ المحصنات .
- ثانياً : جريمة القتل العمد .
- ثالثاً : جريمة السرقة .
- رابعاً : جريمة شرب الخمر .

(٤)

وربما كانت داعية هذا الحديث عن الحدود فى الإسلام فى هذا الوقت بالذات ، أن بعض الدول الإسلامية ، قد أخذت تصحو من رقادها ، وتسترجع وجودها فى ظلّ شريعة الله التى تدين بدينها ، فبدأت تطبق أحكام هذه الشريعة فى المعاملات ، وفى الجنايات المتعلقة بالمعدوان على النفس والأموال ، والأعراض وذلك فى الوقت الذى أخذت فيه بعض دول الغرب ، فى أوروبا وفى أمريكا ، تدخل على قوانينها الوضعية من التعديلات ، ما يكاد يتطابق مع كثير من أحكام الشريعة الإسلامية ، حيث قامت دعوات المصلحين هناك تنادى بمنع بالآخطار الماحقة التى تهدد المجتمعات ، من آفات الربا ، والخمر ، والميسر ، والقتل ، والسرقة ، والزنا ، وترى إلا خلاص من هذه الآفات إلا بتحريم الربا ، والميسر والخمر ، وإلا بإعدام القاتل ، وقطع يد السارق ، وغضّ الزانى .. وهكذا تكشف الأيام عن وجه الحق من دين الله ، ويذهب جفاء هذا الزبد ، الذى تملأ به القوم زمناً ، كما يتعمّل الظلمان بالسراب يحسبه ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً .. !!

(٥)

ونقف هنا عند جريمة الزنا ، التى ينكرها كل دين ، وينكرها العقلاء الراشدون من الناس ، كما تنكرها المدنية الغربية جهراً ، وترضى بها وعنها سرا ، وذلك لما فيها من عدوان على حقوق الأزواج ، ومن اختلاط للأنساب ، وحلّ لروابط الأسرة ، وقتل لما فى قلوب الآباء من عطف وحنان على الأبناء ، ورعاية وبذل سخى لهم بما يبلغ حدّ التضحية بالراحة ، وبالنفس .. الأمر الذى لا يكون إلا إذا ملأت عاطفة الإبوة قلوب الآباء ، وذلك لا يكون إلا إذا وقع فى قلوب الآباء وقوعاً محققاً أن هؤلاء الأبناء من أصلابهم .. ! ولذلك لا تعجب لما تقرّأ من الأخبار الواردة إلينا من أمريكا وأوروبا عن آباء قتلوا أولادهم بأيديهم ، وأتوا على الأسرة كلها فى لحظة واحدة ، دون أن ينبض فيهم شعور بالتردد قبل الجريمة ، أو الندم بعدها ، وذلك شفاء لما فى نفوسهم من شكوك فى صحة نسب هؤلاء الأبناء إليهم .

ومع هذا ، فإن الإسلام إذ حارب هذه الجريمة ، وإذ رصد لها العقوبة الرادعة ، وهى الرجم للمحصن ، والجلد لغير المحصن ، إذ فعل الإسلام هذا ، كان ذلك عند أعداء الإسلام تهمة شنيعة يرمونه بها ، ويحاكمونه عليها ، ليفرجوه من حدود الإنسانية المتحضرة الى سكان الأدغال ، ورعاة الإبل والشاء فى الصحارى .. إذ قالوا كيف تبلّغ الوحشية والقسوة والضاورة بمجتمع

يستطيع جلد الإنسان ، وإهدار آدميته على أعين الناس .. ؟ ثم كيف تصل هذه الوحشية في تسويتها وضراوتها إلى أن يلقي بالإنسان في حفرة ، ثم تتسأله الأيدي رجبا بالحجارة إلى أن يموت .. ؟ إن عالم الحيوان ليحترم حياة الكائن الحي في بنى جنسه ، فلا يفعل به ما تفعله هذه الشريعة بأتباعها ، وبإهدار آدمية الأدميين فيها .. !!
 هكذا يقولون .. و « كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون إلا كذبا » .

(٦)

ولا ننكر أن في الشريعة الإسلامية جلدا ، ورجما ! فهذا حكم من أحكام الشريعة لا جدال فيه .. ففي القرآن الكريم يقول الله تعالى : « الزانية والزاني ، فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » (٢ : سورة النور) .. هذا عن الجلد ، أما الرجم ، فقد جاءت به سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر من ربه ، كما سنعرض لذلك فيما بعد ، وبين الحكمة في أن كان الجلد بنص من القرآن ، على حين كان الرجم بنص وعمل من رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه .. والإسلام نظام مجتمع ، وأسلوب حياة ، ومنهج عمل وسلوك ، قبل أن يكون مجرد دستور من الأحكام والوصايا ومجموعة من الزواجر والأوامر ..

فما غاية الإسلام من رسالته في الناس إلا أن يقيهم على طريق الحق والعدل ، وأن يجمعهم على الإخاء والرحمة والمودة ، وأن يسمى بهم إلى مواطن الخير ، وأن ينزلهم منازل الأمن والسكينة والسلام ..
 والضمير في الإنسان ، هو جوهر الإنسان ، بل هو الإنسان مصغرا ، إذ هو تلخيص أمين للإنسان كله ، بخيره وشره ، فإذا صلح الضمير صلح الإنسان كله ، وإذا فسد لم يكن للإنسان ثمة سبيل إلى صلاح أبدا ..
 ولهذا عنى الإسلام العناية كلها بتربية هذا الضمير ، والتمكين لسلطانه في كيان الإنسان ، ومده بأسباب القوى العلوية القدسية التي تقيم مؤثره دائما على أفق الحق ، والعدل ، والإحسان .. فإذا انحرف هذا الضمير ، يئس أو يسه ، وجد صاحبه لذلك نخسة في قلبه ، وضيقا وقلقا في صدره ، فلا ينام ولا ينيح حتى يتخلص مما علق به من إثم أو طاف به من منكر .

وقد كشف الرسول الكريم — صلوات الله وسلامه عليه — عن هذا الجهاز العجيب المنقسم في كيان الإنسان ، والذي يضع بصماته على كل ما يأتي وما يذر من أقوال وأفعال ، فيقول : « استنت قلبك .. البر ما أطمانت إليه النفس ، وأطمأن به القلب ، والإثم ما حاك في النفس ، وتردد في الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك » .

ولقد استطاع الإسلام بهديه القويم ، وتعاليمه الرشيدة ، وتربيته الحكيمة ، أن يخرج من الإنسانية مثلا عليا ، تحمل هذا الضمير الحي البقظ ، الذي يقوم في كيان الإنسان حارسا لا يغفل أبدا ، وأن يقدم للحياة نماذج كريمة للإنسان العظيم الذي خلقه الله في أحسن تقويم ، والذي استأهل أن تسجد الملائكة مولده ، وأن يكون خليفة الله في الأرض .. !!

اتريد لهذا شاهدا ينطق بالحق الذي تمنو له الجباه ، وتخضع لجلاله الاعناق .. ؟

إذن ، فإليك شاهدين ، لا شاهدا واحدا ..

أولهما يحكى قصة رجل ، والآخر يصور موقف امرأة .. !
أما الرجل ، فهو (ماعز بن مالك) عربى بدوى ، خرج من بطن الصحراء ،
واللقى بدين الله ، وعاش تحت سماء النبوة ، واستضاء بأنوار آيات الله ،
وهدى رسول الله ، فكان (ماعز) هذا المثل المضروب للناس فى مقام التمسك
والمعظمة .. !

ولقد كان من (ماعز) ضعف أمام شهوة من شسهمات النفس الأماراة
بالمسوء ، فوقع فى هذا الإثم الخليط ، وهو (الزنا) ..
وكان من الممكن أن ينفرد (ماعز) بجريمته تلك ، ويرجع الى الله تائباً ،
حيث لم يره أحد على تلك الفاحشة ، ولكنه أبى إلا أن ينتقم من نفسه ، وأن
يوردها هذا المورد المهلك ، حتى يضمن بهذا التصاص محو هذا المنكر ..
وهنا فزع (ماعز) الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً : « يا رسول
الله .. طهرنى ! » .

فقال له الرسول الرحيم : « ويحك .. ارجع واستغفر الله وتب إليه » .
فرجع غير بعيد ، ثم عاد فقال : « يا رسول الله طهرنى ! » .
فقال الرسول الكريم : « ارجع واستغفر الله ، وتب إليه » .
ثم رجع ، وعاد ليقول : « يا رسول الله طهرنى ! » .
ويجيبه الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « ارجع واستغفر الله وتب
إليه » ..

وعاد للمرة الرابعة ليقول : « يا رسول الله طهرنى ! » .
وهنا يقول له الرسول الكريم : « فقيم أطهرك ! » .. فيقول : من الزنا !
فيقول صلوات الله وسلامه عليه : « أزينت ! » ويجيب : أن نعم .
فقال الرسول الرحيم : أبه جنون ؟ فيقول أصحابه : ليس بجنون ..
ويقول صلى الله عليه وسلم : أشرب خمراً ؟ فقام رجل فشبهه ، فلم يجد
ربح خمر !

وهنا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بماعز ، فرجم ..
فكان الناس فى ماعز يومئذ فرقتين : مقاتل يقول : لقد هلك ماعز ..
لقد أحاطت به خطيئته ، وقائل يقول : ما توبة أفضل من توبة ماعز .. إنه جاء
الى النبى صلى الله عليه وسلم فوضع يده فى يده ثم قال : اقتلنى بالحجارة !!
ولبثوا فى هذا الخلاف من أمر (ماعز) يومين أو ثلاثة ، ثم جاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهم جلوس ، فسلم ثم جلس ، فقال : « استغفروا
لماعز بن مالك » فقالوا : « غفر الله لماعز بن مالك !! » .
هذا ماعز بن مالك ، الرجل العربى ، البدوى ، وذلك موقفه من حساب
النفس ، وسلطان الضمير !!

أما المرأة ، فهى عربية بدوية أيضاً ، محاصرة لماعز بن مالك ، وقد فعلت
مثل فعلته ، ووقفت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل موقفه ..
إنها امرأة من (غامد) وغامد بطن من بطون (الأزد) وهى قبيلة من قبائل
العرب المعروفة .. جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت :
« يا رسول الله .. إنى زينت فطهرنى » .. غردها رسول الله صلى الله عليه
وسلم .. فلما كان الغد جاءت فقالت : « يا رسول الله ، لم تردنى ؟ لعلك
أن تردنى كما رددت ماعزاً ؟ فوالله إنى لحبلى » .. فقال الرسول صلوات الله
وسلامه عليه : « ماذهبى حتى تلتدى ! » فلما ولدت جاءت النبى الكريم ، وبين
يديها وليدها ، ثم قالت : « هذا قد ولدته ، فطهرنى !! » فقال صلوات الله

ومسلاحه عليه : « اذهبى فأرضعيه حتى تقطيه » فلما غطته ، جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعهما الصبى فى يده كسرة ، ثم قالت : « هذا يا نبي الله قد قطمته ، وقد أكل الطعام فطهرنى !! » .
فدفع النبي صلى الله عليه وسلم بالصبى الى رجل من المسلمين ليكفله ، ثم أمر بها فرجمت .. وأقبل خالد بن الوليد بحجر قرمى به رأسها ، فانتضج الدم على وجهه ، فسبها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مهلا يا خالد ، لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم » ، ثم أمر بهما فصلى عليهما ، ودفنت ..

إنها عظمة إنسانية تقف دونها كل عظمة عرفها الناس ..
وإنها لشهادة مشرقة للإسلام ، يبيض لها وجه كل مسلم ، ويستروح من أنسامها العطرة ريح الجلال والعظمة فى هذا الدين الجليل العظيم ..
لا تستطيع الإنسانية فى ماضيها أو حاضرها ، أو مستقبلها أن تقدم للتاريخ امرأة أخرى تقف الى جوار هذه المرأة ، التى تقف هذا الموقف العظيم الفريد فى حساب ضميرها هذا الحساب الذى لم يتأثر بفعل الزمن ، ولا بعواطف الأمومة وحنانها ، ولا بحب النفس والحرص على الحياة .. فلقد مضى على فمعة هذه المرأة نحو ثلاث سنوات ، يتحرك وليدها فى أحشائها ، ثم تحمله بين يديها ، وترضعه من ثديها ، ومع هذا غرن جرح الجريمة لم يلبث ، ووخز الضمير لم يهدأ ، وإصرارها على التطهر من ذنبها يزداد مع الأيام مضاء وقوة .. !

(٧)

ونعود بعد هذا لننظر فى موقف الشريعة الإسلامية من جريمة (الزنا) والعقوبة التى رصدها لمن يأتون هذا المنكر الفليظ ..
والإسلام مع حرصه على تربية الضمير ، وخلق الوازع القوى فى كيان الإنسان ، لم يغفل عن أن يقيم الى جانب هذا الوازع الذاتى ، وأزعا يأتى من خارج الذات ، وهو وازع السلطان ، بحيث إذا غفل وأزع الضمير ، قام مقامه وازع السلطان ، وبهذا تكمل الرقابة على الإنسان وتقتل الدائرة التى يمكن أن ينفذ منها الى البنى والعدوان .. يقول عثمان بن عفان رضى الله عنه : « إن الله ليؤزع بالسلطان ما لا يؤزع بالقرآن » . ذلك أن سلطان السلطان قائم بين أعين الناس ، ومن وقع ليده لم يقلت من عقابه .. أما سلطان الضمير ، فهو سلطة غيبية ، لا يراه إلا الذين يؤمنون بالغيب ، ويراقبون الله ، ويخشون بأسه .. وهم فى الناس قليل من كثير .. فكان لا بد من سلطان مادى يقوم على الناس جميعا ..

وفى جريمة الزنا ، غرق الإسلام — كما قلنا — بين المحصنين ، وغير المحصنين ، لما بين الفريقين من اختلاف فى الحاجة ، وقوة الدافع ..
فالمحصن — وهو المتزوج — قد جعل الإسلام عقوبته الرجم ، سواء فى هذا الرجل والمرأة لأن الزواج من شأنه أن يكسر حدة الشهوة المتسلطة على الإنسان ، فإقدام المحصن على الزنا ليس مثل إقدام غير المحصن الذى تتسلط عليه شهوة قاهرة ، إن قدر على مقاومتها فالمحصن أولى منه بالتغلب عليها .. ومن هنا كانت عقوبة غير المحصن الجلد مائة جلدة ، على حين كان حد المحصن الرجم ..

ومن جهة أخرى ، فإن المحصن عادة يكون قد بلغ مبلغ الرجال ، وسكن الى أسرة تضم زوجه وأبنائه ، الأمر الذي يدعوه الى أن يجنب نفسه الخزي والفضيحة بين أهله وأبنائه ، فلا يقدم على هذه الفاحشة .. ولهذا لم تثبت جريمة الزنا على المحصن او الحصنة إلا بإقرارهما ، لا بشهادة الشهود عليهما ، كما كان الشأن في (ماعز) وفي المرأة الغامدية .

وهنا نتضح لنا حكمة نص القرآن على (الجلد) وهو العقوبة المفروضة على غير المحصنين ، إذ كان غير المحصنين هم السكثرة الواقعة تحت حكم الزنا ، على تلك الصورة المكشوفة المفضحة التي توجب الحد ، وإذ هم أدنى الى موقعة هذا الإثم على صورته تلك ، من المحصنين الذين يكاد الاسلام لا يفترض لهم وجودا ، لأنهم إذا وجدوا على تلك الصورة التي توجب الحد — وهو الرجم — كانوا من النادرة النادرة التي لا يتوجه إليها حكم عام ، ومن هنا تولت السنة المطهرة بيان حكم المحصنين ..

كذلك تتضح حكمة هذا التقدير الذي قدره الاسلام لعقوبة هذا الجرم في مجاليه معا — الاحصان وغير الاحصان — وهو تقدير عادل رحيم ، لا تخف موازينه أبدا في أي مجتمع إنساني يحترم وجوده ، ويكرم إنسانيته ، ويرعى حرمتها ، ويحتفظ بالقدر الانساني من حياته ومروته ..

والجلد مضافا إليه الفصح على الملا ، هو عقوبة غير المحصن والمحصنة .. وهذا الجلد ، غير منكور ما فيه من استخفاف بإنسانية الانسان ، وامتنان لكرامته ، وإسقاط لمروته ..

ونعم ، أن الاسلام يأخذ هذا (الانسان) بكل هذا التجريم ، والتجريح ، والامتنان ، في مقابل جنايته التي جناها على المجتمع ، الذي لم يرع له حرمة ، ولم يفترض له وجودا ، فجاء على أعين الناس يفعل هذا المنكر ، دون حياء أو خجل .. !!

والأغليعلم أولئك الذين يتباكون على الإنسانية التي أهدرها الاسلام ، وسألتها مساق الحيوان بالسياسة — أن الاسلام لم يفعل هذا إلا بأناس تخلوا عن آدميتهم ، ونزلوا الى الدرك الذي لم ينزل إليه كثير من الحيوانات التي لا يتصل ذكورها بإنثائها إلا في تستر وخفاء .. !!

والأغليعلم هؤلاء الذين يتهمون الاسلام بالقسوة والوحشية ، أن الشريعة الاسلامية لم تنزل هذه العقوبة بأحد إلا بعد أن تستنفذ كل وسيلة لدرئها .. وكان من تدبير الشريعة في هذا :

أولا : أنها لم تحاول أن تكشف ستر من سترتوا أنفسهم على منكر ، إذ جعلت حسابهم في هذا على الله سبحانه وتعالى ، وفي الحديث الشريف : « من رأى عورة فسترها ، كان كمن أحيا موعودة من قبرها » .

وثانيا : أنها جعلت إثبات هذه الجريمة لا يتم إلا بشهادة أربعة شهود ، يشهدون بأنهم رأوا من الرجل والمرأة ، ما يكون بين الزوج وزوجه من اتصال مباشر ، الأمر الذي لا يكاد يراه أحد .. !

وثالثا : أن الشريعة الاسلامية تقرر درء الحدود بالشبهات ، بمعنى أن أي شك في شهادة الشهود ، يفسر لصالح المتهم ، فيسقط بذلك الحد .. وفي الحديث : « ادعوا الحدود بالشبهات » ..

ورابعا : فرضت الشريعة عقوبة الجلد ثمانين جلدة على من قذف محصنة ، ثم لم يأت بأربعة يشهدون بأنهم رأوا منها ومن المقذوف بها ما يكون بين الزوج وزوجه ، فقال تعالى : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء

فاجلدوهم ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ، وأولئك هم الفاسقون «
(٤ : النور) .

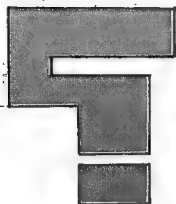
وخامسا : رغبت الشريعة الإسلامية في التستر على عورات المسلمين ، وإمساك اللسان عن القول فيها يراه الرائي من منكرات أتوها في ستر وخفاء ، وتوعد الله تعالى أولئك الذين يحبون إشاعة الفاحشة ، وفضح الناس بها ، فقال سبحانه : « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ، والله يعلم ، وأنتم لا تعلمون » (١٩ : النور) وفي الحديث : « لا تتبعوا عورات المسلمين فإن من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه » .

ثم أبعد هذا بتخرص متخرفي فيقول : إن الإسلام يظلم الإنسان ، ويهدر آدميته ، حين يأخذ أولئك الذين يأتون الفاحشة على أعين بما يأخذهم به من جلد بالسياط ، وفضح بين الملأ من الناس .. ؟
أفلا يسأل هؤلاء المتخرفون أنفسهم ، ماذا يبقى للإنسان من آدميته وكرامته ، بل ووجوده ، إذا تركت هذه الفاحشة يعالني بها بعض الأديمين في غير استحياء ، ثم لا يضرب على أيديهم أحد ، ولا يسوء وجوههم سلطان سبأوى أو وضعى .. ؟

أما رجم المحسن ، فهو امتداد بالحد المفروض على غير المحسنين إلى غايةته ، بمعنى أن حد الزنا العلني الذي يأتيه من يأتونه جهرة ، مرة ، لا يستترهم عن أعين الناس شيء ، كان مفروضا على المجتمع أن يكون رجا بالحجارة حتى الموت ، وحتى يقام من هذه الحجارة ساتر يستر هذه الفاحشة وأهلها ، ويكون عليهم قبرا ، سواء في هذا المحسنون ، وغير المحسنين ، ولكن رحمة الله تعالى غرقت بين المحسنين وغير المحسنين ، فجعلت على هؤلاء الرجم ، وعلى أولئك الجلد .. !!

إن الحد الذي فرضه الإسلام على (الزنا) العلني ، وعلى تلك الصورة التي يوجب فيها إقامة الحد ، هو في الواقع دون ما يقضى به ناموس المجتمع الإنساني السليم ، الذي يعرف كرامة الإنسان ، ويحترم مشاعره .. إن أي مجتمع إنساني سليم ، لا يقبل مثل هذا العدوان المسارخ على حرماته ، ولا يستسلم لهذا التحدي السافر المجنون لأغرافه ومواضعاته ، دون أن ينتقم لكرامته ، ويثار لحرماته ، ويلبس ثوب الذل والهوان والضياع من أراد أن يلبس الذل والهوان والضياع .. !

وهكذا يلتقي الإسلام على طريق سواء محفوظ بالعدل والرحمة والاحسان ، مع منازع الإنسانية السلبية الكريمة ، ومع مواضعات المجتمع الإنساني الكريم السليم ، ليشارك في حماية المجتمع الإنساني من هذا الوباء الويل ، الذي إن تمكن من جماعة ، أفسد نظامها ، وأتى على بنيانها من القواعد .
أما موقف الإسلام من جرائم القتل والسرقة ، وشرب الخمر ، فبيانه إلى حديث تال إن شاء الله ..



هـَلْ الْوَصُولُ إِلَى الْقَمَرِ نَفَازٌ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ رَجُوعُ بَعْضِ الْقَائِلِينَ بِذَلِكَ إِلَى الْحَقِّ

للأستاذ أحمد محمد جمال

في أول رمضان ١٣٩١ هـ دعيت إلى لقاء محاضرة بمناسبة أسبوع القرآن الذي أحييته مديرية التعليم بمكة المكرمة غلبت الدعوة والقيت محاضرة موضوعها (قضايا قرآنية) تناولت فيها بعض ما يثار حول آيات من القرآن وصلتها بالنظريات العلمية الحديثة ..

منها قضية الوصول إلى القمر ومحاولة بعض المفكرين المسلمين تطبيق ما جاء في سورة الرحمن من قوله تعالى « يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان » .. قلت في تلك المحاضرة ..

تتردد منذ أربع سنوات حتى الآن على الألسنة في الإذاعة والصحافة والتلفاز قضية الوصول إلى القمر مرتبطة بآية من سورة الرحمن يحملها المتحدثون ما لا تحمل من معنى ويقولونها مالا تقل من رأي . يقولون : إن الآية القرآنية (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) تبدو فيها إشارة صريحة إلى إمكانية نفاذ الإنسان من أقطار الأرض وليس إلى القمر القريب منا والذي هو كوكب تابع لكوكب الأرض فحسب ، بل النفاذ إلى كواكب أخرى .

ولنقرأ الآية موضوع البحث . موصولة بما قبلها من آيات وبما بعدها كذلك

حتى نتيبين ان القائلين بعلاقتها بالوصول الى القمر قد ابعدوا واغربوا .
يقول عز وجل « كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام .
فباى آلاء ربكما تكذبان . يسأله من فى السموات والارض كل يوم هو فى شان .
فباى آء ربكما تكذبان . سنفرغ لكم ايها الثقلان . فباى آلاء ربكما تكذبان .
يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض
فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان . فباى آلاء ربكما تكذبان . يرسل عليكم شواظ
من نار ونحاس فلا تنصران . فباى آلاء ربكما تكذبان » ان القرآن هنا فى هذا
المقطع من السورة يتحدث الى الجن والانس ..

اولا - عن انفراد الله تبارك وتعالى بالبقاء والخلود وان الفناء مصير كل
من على الارض من انسان وجان وحيوان وجماد ..

ثانيا - ان الله عز وجل باعتباره الخالق الرازق والمحي المميت والمعطي
المانع والمعز المذل - يسأله جميع خلقه فى السموات والارض قضاء حاجاتهم
واستجابة مسألتهم ... الفقراء منهم يرجون غنى ، والمرضى ياملون شفاء ،
والمعقبات يطلبون ولدا ، والفارغون ينتظرون عملا ، والمظلومون يلتمسون انصافا ،
فهو تبارك وتعالى من اجل دينونة خلقه لسلطانه وقيامه على تدبير شئونهم كل
يوم هو فى شان جديد من رفع قوم ووضع آخرين وشفاء مرضى وقبض موتى
واعزاز اذلاء ونصر اولياء وهزيمة اعداء .

وكما قلنا من قبل - ان القرآن يفسر بعضه بعضا فهذه الآية (كل يوم
هو فى شان) تفسرها وتؤكدها آية أخرى من سورة آل عمران هى قوله عز
وجل (وتلك الايام نداولها بين الناس) ..

ثالثا - بعد تقرير القرآن فى الآيتين السابقتين انفراد الخالق بالبقاء ،
وانفراده ايضا بتصريف شؤون الخلق يقرر حقيقة ثالثة وهى انه عز وجل سيفرغ
يوم القيامة لحسابهم على ما قدموا من خير او شر . (يوم تجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا) ..

رابعا - بعد هذه الحقائق الكونية الكبرى الثلاث يربط القرآن بها حقيقة
رابعة تقتضيها تلك الحقائق وتستلزمها ولا يجوز ان تفصل عنها . هذه الحقيقة
الرابعة هى ان الله عز وجل الذى انفرد بالبقاء وكل خلقه الى الفناء وانفرد
بتصريف امورهم وكلهم يسأله ويرجوه ، والذى سيفرغ يوم القيامة لحسابتهم
ومجازاتهم - هو ايضا المهين عليهم المحيط بهم حيث لا يستطيعون اغلاتا من
سلطانه ولا هربا من قهره ولا نفاذا من اقطار السموات والارض .

اى لا يستطيع الخلق الهروب من اطرافها الى خارجها والقمر ليس خارجا
عن محيط السموات والارض بل هو كوكب صغير تابع للارض فالوصول اليه
ليس نفاذا من اقطار السموات والارض .

اما قوله عز وجل بعد ذلك (لا تنفذون الا بسلطان) فهو تقرير لمطلق
المشيئة الالهية وقد تكرر مثل ذلك فى آيات كثيرة كقوله تبارك وتعالى لنيه محمد
صلى الله عليه وسلم فى سورة الاسراء « ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك »
وقوله عز وجل « قل من يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم
وامه ومن فى الارض جميعا » وتقرير القرآن لمطلق المشيئة الالهية مهم جدا
لانهم الناس ان الله تبارك وتعالى وان كان هو الذى وضع للكون قوانينه وسننه
وخلق فى الانسان طباعه وغرائزه الا انه سبحانه ليس محكوما ولا مقيدا بهذه
القوانين والسنن فانه قادر على خرقها متى شاء وكيف اراد ، وفى القرآن
نفسه امثلة على ان الله عز وجل لا يتقيد بما وضع من سنن وقوانين وطباع

للأشياء بل هو تبارك وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، فقد ابطال سبحانه قانون النار وهو الاحراق فكانت بردا وسلاما على ابراهيم عليه السلام ، وابطل قانون النسل عن طريق الزوجين فخلق آدم عليه السلام من غير أبوين وخلق حواء من اب بلا أم ، وجاء المسيح عليه السلام من ام بلا أب ..

والحديث النبوي الا يدخل احد الجنة بممله قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته » يؤكد ما اسلفناه من أن الإرادة الالهية مطلقة لا يقيدتها شئ فمحمد عليه الصلاة والسلام مع كونه خاتم الأنبياء وافضل الرسل لم يحكم لنفسه بالجنة ولو أن سنة الله قد جرت بأن الأنبياء هم المصطفون الاخيار وأنهم في أعلى عليين .

واذن يكون معنى قوله تعالى (لا تنفذون الا بسلطان) انه لو اراد تبارك وتعالى ان يجعل للجن والانس مهريا من اقطار السموات والارض لفعل ، ولكنه قضى الا يجعل لهم ذلك السلطان فقال في الآية التالية مباشرة (يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران) وهكذا يتطلى واضحا ان الآية بعيدة كل البعد عن موضوع الوصول الى القمر وغير القمر ايضا .

وقلت في هامش المحاضرة تحت رقم (١) من هؤلاء القائلين بتطبيق هذه الآية على مسألة الوصول الى القمر الدكتور محمد جمال الدين الفندى في كتابه « لماذا أنا مؤمن ؟ » واوردت تحت رقم (٢) بيتا لأبي العلاء المعري يؤكد المعنى العربي الصريح للآية ومفهومه التحدى الالهي للجن والانس بالهروب من سلطان الله عز وجل وهو قوله وهل يابق الانسان من ملك ربه فيخرج من ارض له وسما ..

والباعث على ذكر هذه القضية هنا واستلهاها من بين القضايا الأخرى في محاضرتي هو اني قرأت في مجلة الوعي الاسلامي (عدد ذي الحجة ١٣٩٢) مقالا للاستاذ الدكتور محمد جمال الدين الفندى يعود فيه الى الحق ويعترف بخطئه وخطا القائلين ان آية الرحمن تعني قدرة البشر على الصعود الى القمر وانها من نبوءات القرآن بتقدم العلم وتغوق العلماء .

وهذه هي كلمة الدكتور الفندى بنصها : -

(لا يظن كثير من الناس خطأ وقد كنت منهم ان قول الله تعالى في سورة الرحمن الآيات (٢٣ - ٢٥) « يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان » . فباي آلاء ربكما تكذبان . يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » من دلائل انطلاق الانسان الى الفضاء ولكن الحقيقة عندما نفهم معنى اقطار تماما نجد ان المعنى إشارة واضحة للتمعيز كما هو ظاهر الآية (٢٥) اما النفاذ من اقطار الارض فما من شك ان معناه اختراق الكرة الأرضية عبر لبها المستعر والخروج من الجهة المقابلة ، وما من شك ان مجرد اختراق القشرة اليابسة للارض معناه انطلاق مواد الباطن على هيئة بركان مدمر اما اختراق اقطار السموات فبالمثل معناه عبور الشمس والنجوم وسائر ألوان الفجار الكوني واحزمة الأشعة الكونية ومجاريها وهي أشد احراقا وفتكا من براكين الارض ، اما الوصول الى القمر أو المريخ أو الزهرة فليس معناه النفاذ من اقطار السموات بحال من الاحوال وقد فهمنا امتداد الكون واتساع السموات وان اقطارها تربو وتزيد على عدة آلاف من الملايين والسنين الضوئية) وهكذا يرجع الدكتور الفندى عن رايه الاول ، ويؤكد جزاء الله خيرا استحالة ببراھين علمية تفسر قوله تعالى « يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » والحمد لله أولا واخيرا .

أحمر الشريعة

إننا معشر المسلمين نميش اليوم في خطر داهم ، فإن الغرب يحاربنا حربا صليبية لا هوادة فيها ، ويمتبر قتالنا جهادا مقدسا بسبب ما غرسه المبشرون في مكانه من عداوة لنا منذ نشأتهم ، فهم يعتبروننا - ظلما واغتراء - أعداء المسيح ، وأعداء الإنسانية ، ويحسبون تشريعنا تشريعا هجيا ، ويصفون رسولنا محمدا - صلى الله عليه وآله وسلم - بأنه من سفاكى الدماء ، ومحبي الشهوات ، والكذب على الله تعالى . . .
كل ذلك ليحجب هؤلاء المبشرون نور الاسلام عن البشرية ، ويبقوا متمسكين بامتيازاتهم وسلطانهم .

لنستمع الآن الى ما يقوله أحد المتعصبين من الغربيين ، وما يذيعه على قومه ، وهو باحث مسشرق فرنسى يدعى (كيمون) فقد فكر في كتابه :
(باتولوجيا الإسلام) :

للاستاذ محمود مهدي استانبولي

« إن الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعا ، بل هو مرض وشلل عام ، وجنون ذهولي يبعث الإنسان على الخمول والكسل ، ولا يوقظه منهما إلا ليسفك الدماء ويدمن على مفاخرة الخمر ، ويجمع بين القبايح ، وما قبر محمد إلا عبود كهربائي يبعث على الجنون في رؤوس المسلمين ويلجنهم إلى الإتيان بظواهر الصرع المصابة والذهول العقلي وتكرر لفظة (الله) (١) إلى ما لا نهاية والتمود على عادات تنقلب إلى طباع أصيلة ككراهية لحم الخنزير والنبذ والموسيقى وترتيب ما يستنبط من أفكار القسوة والمجور في الذات » (٢) .

ويرى هذا المستشرق الخبيث وأمثاله كثيرون ، المسلمين وحوشا ضارية ويعتقد أن من الواجب زيادة خمسهم والحكم على الباقيين بالأشغال الشاقة وتدمير الكعبة ، ووضع ضريح محمد — صلى الله عليه وآله وسلم — في متحف اللوفر (٣) .

يا للهول .. فكيف يهنا لنا حال ، ويهدأ لنا بال ؟ وهذا ما يذاع عن الإسلام في ديار الغرب ، ونحن ساهمون لاهون ، ثم لا تلبث أن تنصب علينا حجم وقذائف الغربيين انتقاما وتشغيا منا نتيجة هذه الدعايات والافتراءات التي لا نكلف أنفسنا الرد عليها بصورة صحيحة وعملية منتجة تصل إلى جميع الأسماع والأنظار ..

وقد يعمد هؤلاء الغربيون قبل محاربتنا ماديا ، إلى شن الحملات الثقافية والفرو الفكرية بين ابنائنا وبناتنا لتسييم أفكارهم عن الإسلام عن طريق مدارسهم التبشيرية والعلمانية وبوساطة البعثات والسينما والكتب والمجلات وغيرها ليكونوا حريا علينا وعلى عقيدتنا من الداخل .

إن الإسلام — والمسلمين — في حرب إذا من الخارج والداخل ضد قوى هائلة وإذا كنا باقين على شيء من الحياة ، فلأن هؤلاء المستعمرين مختلفون فيما بينهم على اقتسام الغنيمة ، ولو اتفقوا — كما كانت الحال عقب الحرب العالمية الأولى — لمعدوا إلى استثمارنا وامتصاص دماننا ، وبالتالي إلى إفنائنا

واستئصالنا ! وذلك لأن نفوسهم تغلى حقدا على الاسلام والمسلمين بسبب التربية الإجرامية والتوجيهات الهدامة والاشاعات الماكرة التى يتلقونها فى بيوتهم ومدارسهم ومعابدهم ، وقد رأينا مثالا من هذا الحق فى كلام (كيمون) وقد جاء فى إحدى الأناشيد الإيطالية التى تعلم للطلبة فى المدارس :

« إنى ذأهب يا أمى الى الجهاد لحو القرآن ، وإذا ما مت ، فلا تحزنى على ، وإن سئلت عن سبب عدم حداثك ، فقولى — وأنت فرحة — لقد استشهد فى سبيل القضاء على الاسلام » .

وقد أعلن قادة فرنسا فى مناسبات كثيرة أن الحرب فى الجزائر بين الصليب والهلال بقصد الانتقام من المسلمين ..

والمستعمرون غالبا يخفون نواياهم الدينية — أحيانا — تحت أستار اقتصادية وسياسية وغيرها من الحيل ، ولكن غايتهم الحقيقية هى القضاء على الاسلام والمسلمين ..

وقسم بالله لو أن عرب فلسطين كانوا نصارى لما كان لهم هذا المصير وهذه شعوب البلقان النصرانية ، فإن أول ما فعلته حكومات أوروبا لما قويت ، المشاغبة الى تحريرها من سلطان الدولة العثمانية المسلمة ..

كل ذلك يفعله الغربيون على الرغم من حسن معاملة المسلمين لهم فى عهود مجدهم وقوتهم ، فمدوا إليهم يد المعونة وانتذوهم من ظلمات الجهل باعتراف علمائهم ومؤرخيهم المنصفين مما لا مجال لسرده هنا .



والآن ، ما العمل ؟ وكيف النجاة من أخطار الغربيين وغزوهم .. ؟ ريثما يتم لنا الحصول على قوة كقوتهم وأستعداد كاستعدادهم .. ؟

السبيل الى ذلك التبشير بالاسلام فى البلدان الغربية لإطلاع الغربيين على عظيمة الاسلام وإنسانيته وسماحته وسمو مبادئه ، ومبلغ حاجتهم إليه وما خسروه بسبب محاربتهم له ، وأنه صديق المسيح عليه الصلاة والسلام ، ومؤمن بنبوته ، وقد جاء هذا الدين رحمة للعالمين فاستطاع النهوض بالعرب خلال مدة قصيرة من الزمن ، فانطلقوا من باديتهم وفتحوا الديسلا المعروفة وتقتنذ وملاوها عدلا ورحمة بعد ما ملئت جورا وهمجية .. وهو لا يزال — وإلى الأبد — يحمل بين طياته عناصر القوة والسعادة والمعرفة ..

وينبغي أن يكون هذا التبشير على مستوى عال وبارقى وسائل الاعلام ، ونذكر فيما يلى نماذج منها لبيان مزايا الاسلام وحاجة الغرب إليه ، كل ذلك بمختلف اللغات الأجنبية :

- ١ — أستجار بعض الصحف والمجلات الغربية ..
- ٢ — الاتصال بالعلماء والأدباء الغربيين وإطلاعهم على الاسلام .
- ٣ — صنع الافلام السينمائية وعرضها فى الغرب .
- ٤ — المسارح والفرق التمثيلية .
- ٥ — تأليف الكتب والنشرات المبسطة عن الاسلام .
- ٦ — إنشاء مجلات إسلامية وخاصة للأطفال .
- ٧ — التعاون مع الغربيين الذين أسلموا لوضع المخططات لنشر الاسلام .
- ٨ — تقوية الإذاعات العربية لإيصال صوت الاسلام الى أسماع جميع الغربيين بأساليب حديثة مشوقة .

ويحسن الى جانب ما سبق ، إعلام الغربيين بما جاء فى كتبهم الدينية من تحريف وتناقض ومواقف عن التقدم والرقى .
كما يحسن ايضا اعلام هؤلاء الغربيين بما جاء فى هذه الكتب من توحيد الإله ونبوة المسيح ، وبعثة محمد عليهما الصلاة والسلام ..
وينبغى أن نشير بمناسبة الكلام عن التبشير الى أن الظروف الحاضرة كلها مواتية له ، فإن الغرب اليوم يعيش فى قلق مخيف وفراغ سحيق بسبب إفلاس وعجز الديانة المسيحية ومثلها جميع النظم والقيم التى وضعها الغربيون لأنفسهم .. فكانت سبب اضطرابهم .. ووقوعهم فريسة للمادة التى كرسوا حياتهم لها ، فكان مثلهم مثل عبدة الأصنام الذين صنعوا معبودهم ، فما لبث أن اذلهم وأعمى أبصارهم ..

هذا مثل الحياة المادية التى يعيشها الغربيون ، فغدوا أسرى لها ، وأغنوا أعمارهم من أجل الحصول عليها دون أن تحقق لهم الاستقرار والسعادة والطمانينة بل كانت سبب حروب طاحنة بينهم .
واليوم شعروا بالفراغ نتيجة البعد عن القيم الروحية ، ونادى كبار علمائهم ومفكرهم بقرب انهيار حضارتهم بسبب ذلك ، وسبوا هذا العصر بعصر القلق على الرغم من توفر جميع الوسائل المادية ..
ففى هذه الأزمة الروحية إذا تقدم المسلمون بالاسلام الصحيح من منعيه الفياضين : الكتاب والسنة ، لا من الاختلافات المذهبية المضطربة ، وبالإساليب الحديثة النفسانية (السيكولوجية) وأثبتوا للغربيين استعدادهم هذا الدين وقدرته على حل جميع مشكلاتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية كما اعترف بذلك كثير من علمائهم المنصفين .
أجل إذا تقدم المسلمون بالاسلام الى الغربيين بالصورة السابقة ، فإنهم لا شك سيقبلون عليه إقبال الظمآن على الماء العذب ، وسيدخلون فيه أفواجا ..

وبذلك نكون قد أنقذناهم من خطر داهم ينتظرهم من جراء فقدان المثل العليا وإستعدادهم الجهنى الذى يهدد البشرية كلها بالفناء .
كما نكون قد أنقذنا أنفسنا وأبنائنا الذين يسـيرون وراءهم ويدورون بفلكهم ..

وكذلك نكون قد أنقذنا الحضارة من شر محقق ، ووجهنا هؤلاء الغربيين العابثرة وجهة صالحة نحو الحق والخير والسلام ، وفتحتنا للبشرية صفحة جديدة تحقق لها السعادة والرقى الصحيح ..
لقد بشر الله سبحانه فى القرآن العظيم بهذا اللقاء ، وبإسلام العالم أجمع فى قوله :
« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

وتوله : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » .

كما بشر رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — بهذا المستقبل العظيم للإسلام بقوله : « ليلفن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين ، بمنزلة عزير أو بذر ذليل ، عزى يعز

الله به الاسلام ، وذلا يذل به الكفر » رواه أحمد والطبراني والحافظ المقدسي
وقال : حديث حسن صحيح ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي .

وقد أعلن كثير من منصفى علماء الغرب وفلاسفته عن قرب اليوم الذى
يدخل فيه الغربيون الاسلام ، فقال الفيلسوف الإنكليزى (برنارد شو) :

« إن محمداً يجب أن يدعى منقذ الإنسانية ، ولو أن رجلاً مثله تولى قيادة
العالم الحديث لنتجح فى حل مشكلاته بطريقة تجلب الى العالم السلام والسعادة
الذين هو فى اشد الحاجة إليهما ، وإن الاسلام هو الدين الوحيد الذى يلوح
لى أنه حائز أهلية الهضم لاطوار الحياة المختلفة بحيث يستطيع أن يكون جذاباً
ومقبولاً لكل جيل من الناس ، وقد تنبأت أنه سيكون مقبولا لدى أوروبا غداً ،
وقد بدأ يكون مقبولا لديها اليوم . . وفى الوقت الحاضر كثيرون من أبناء قومي ،
ومن أهل أوروبا دخلوا دين محمد ، حتى لنتمكن أن نقول — إن تحول الغرب
الى الاسلام قد بدأ » (٤) .

هذا ، وإذا سلمنا جدلاً أن الغرب فى الوقت الحاضر لا يدخل فى
الاسلام فإننا نكون فى هذا التفسير قد قمنا بواجبنا الدينى ، وأطلعنا الغربيين
على ديننا وعرفناهم بعبادته ، وهم — ولا شك — سيقبلون عن محاربته وعن
قتالنا . .



ومن الغريب — والغريب جداً — أن يهمل المسلمون التفسير بدينهم وقد
خص الله سبحانه فى القرآن سهبا معينا ومستقلا من أموال الزكاة للتبشير ،
وهو سهم (المؤلفه قلوبهم) ولو استخدمه المسلمون بوعى لانتشر الاسلام
فى كل مكان . .

وقد فهم الخليفة عمر بن الخطاب — رضى الله تعالى عنه — من هذا
السهم قسما معينا من الناس ، فلما قوى الاسلام إمتع عن إعطائه لهم ، وهو
أوسع من ذلك قال الإمام ابن كثير فى تفسيره :

« وأما المؤلفه قلوبهم فاقسام ، منهم من يعطى ليسلم كما أعطى النبى
صلى الله عليه وآله وسلم صفوان بن أمية من فنائم حنين ، وقد كان شهدها
مشركا قال : فلم يزل يعطينى حتى صار أحب الناس إلى بعد أن كان أبغض
الناس إلى . كما قال الإمام أحمد : حدثنا زكريا بن عدي ، حدثنا ابن المبارك
عن يونس عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن صفوان بن أمية قال — وذكر
الحديث السابق رواه مسلم والترمذى من حديث سعيد بن يونس عن الزهرى .
ومنهم من يعطى ليحسن إسلامه ويثبت قلبه كما أعطى يوم حنين أيضا جماعة
من صناديد الطلقاء وأشرافهم مائة من الإبل وقال : « إني لأعطي الرجل وغيره
أحب إلى متي » خشية أن يكبه الله على وجهه فى نار جهنم » . وفى الصحيحين
عن أبى سعيد أن عليا بعث الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم بذهبية فى
البيت من اليمن فقتسما بين أربعة نفر : الأقرع بن حابس ، وعيينة بن بدر ،
وعلقمة بن علاثة ، وزيد الخير وقال : « اتألفهم » .

ومنهم من يعطى لما يرجى من إسلام نظرائه ، ومنهم من يعطى ليجبى
الصدقات ممن يليه أو ليدفع عن حوزة المسلمين الضرر من أطراف البلاد ،
ومحل تفصيل ذلك فى كتب الفروع والله أعلم .

وهل تعطى المؤلفه على الاسلام بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم ؟

فيه خلاف ، فزوى عن عمر وعامر والشعبي وجماعة أنهم لا يعطون بعده ، لأن الله قد أعز الإسلام وأهله ومكن لهم في البلاد ، وأذل لهم رقاب العباد .
وقال آخرون : بل يعطون لأنه عليه الصلاة والسلام قد أعطاهم بعد فتح مكة وكسر هوازن وهذا أمر يحتاج إليه فيصرف اليهم . « ١٠ » هـ .
وجاء في تفسير الإمام ابن الجوزي قوله تعالى : « والمؤلفة قلوبهم » وهم قوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم على الإسلام بما يعطيهم ، وكانوا ذوي شرف ، وهم صنفان : مسلمون وكافرون ، فأما المسلمون ، فصنفان ، صنف كانت نياتهم في الإسلام ضعيفة ، فتألفهم تقوية لنياتهم كعبيدة بن الحصن ، والأقرع ، وصنف كانت نياتهم حسنة ، فأعطوا تألفاً لعشائريهم من المشركين ، مثل عدى بن حاتم ، وأما المشركون ، فصنفان ، صنف يقتصدون المسلمين بالأذى ، فتألفهم دفعاً لأذاهم مثل عامر بن الطفيل ، وصنف كان لهم ميل إلى الإسلام ، تألفهم بالعطية ليؤمنوا ، كصفوان بن أمية ، وقد ذكرت عدد المؤلفة قلوبهم في كتاب (التلقيح) وحكمهم باق عند أحمد في رواية ، وقال أبو حنيفة ، والشافعي : حكمهم منسوخ .
قال الزهري : لا أعلم شيئاً من نسخ حكم المؤلفة قلوبهم (١٠) هـ .



لنفكر من جديد في سهم المؤلفة قلوبهم ، ولنصره كما خطط له الإسلام مما رأينا خلاصته سابقاً ، فإنه كفيل بإحداث انقلاب عظيم في صفوف الغربيين ودخولهم في دين الله أئواجا ، أو نجاحنا من شرهم على أقل تقدير ، والحفاظ على البقية الباقية من ثروة المسلمين من الضياع وأبتلاع المستعمرين لها نتيجة إهمالنا التبشير بديننا . .
وقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم كما حرص القرآن العظيم على التبشير ، فلم تصرغه مشكلاته في المدينة المنورة بعد هجرته إليها ، وما لآثاه من مؤامرات المشركين من الخارج ، ومؤامرات اليهود والمنافقين من الداخل عن هذا التبشير ، فبعث الكتب والرسائل إلى الملوك والأمراء والأتقياء يبلغهم دعوة الإسلام ويحثهم على الدخول فيه مع أقوامهم الذين يحملهم تبهمهم .
وقد كان هذا الرسول العظيم يعرض نفسه على القبائل قبل الهجرة في موسم الحج ويشرح لها مبادئ الإسلام بمختلف الوسائل متحملاً في سبيل ذلك أنواع الاضطهاد والعنت ، حتى دخل الكثيرون في الإسلام .

وقد رأيت من الطرافة — ونحن بعرض الدعوة للإسلام — أن اتحدث عن الكتب التي أرسلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وما رافقها من أحداث وتطورات ، لعلها تثير فينا الحماسة وتبعثنا على التضحية فنسارع إلى تبليغ دين الله تعالى إلى الأمم جميعاً حتى تكون شهداء حقاً عليهم يوم القيامة بأننا بلغناهم وإلا كانوا معذورين بعدم إسلامهم ، وكنا مسؤولين عن تقصيرنا ، ومما نلاقي منهم من إعتداء . .

وأول ما فعله هذا الرسول أن هيا رسله وأعددهم لحمل هذه الكتب وقطع المسافات الشاسعة لتسليمها إلى أصحابها وتحمل كل ما يتصور أن يصيبهم بسببها من اضطهاد وقتل . .

خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أصحابه فقال :
« أيها الناس ، إن الله قد بعثني رحمة للناس كافة فلا تختلفوا علي كما
اختلف الحواريون على عيسى بن مريم » ..
قال أصحابه : وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله .. ؟
قال : « دعاهم الى الذي دعوتكم إليه ، فلما من بعثه مبعثا قريبا ، فرضي
وسلم ، ولما من مبعثه مبعثا بعيدا ، فكره وجهه وثقل » ..
ثم ذكر لهم انه مرسل الى هرقل وكسرى والقوقس والحارث الغساني
ملك الحيرة والحارث الحميري ملك اليمن ، والى نجاشي الحبشة يدعوهم الى
الإسلام ..

فاجابه أصحابه الى ما اراد ، فضع له خاتما من فضة نقش عليه « محمد
رسول الله » وأرسل الكتب مع رسله ..
تري كيف كان مصير هذه الكتب وبماذا أجيب عنها .. ؟
روى الطبري في الجزء الثالث من تاريخه انه لما وصل كتاب رسول الله
الى هرقل ملك الروم ، وهو بالشام يريد العودة الى القسطنطينية ، جمع الروم
وقال لهم ما ملخصه :
يا معشر الروم ، اني عارض عليكم امورا فانظروا فيها قد أردتها ، قالوا :
وما هي ؟ قال : تعلمون — والله — ان هذا الرجل للنبي مرسل ، إنا نجده في
كتابنا ، نعرفه بصفته التي وصف لنا ، فهلهم فلنتبعه ، فتسلم لنا دينانا وآخرتنا ؟
فقالوا : نحن نكون تحت يدي العرب ، ونحن أعظم الناس ملكا وأكثرهم حالاً
وأفضلهم بلدا .. فلما أبوا عليه ، قال : أما والله لآتون أنكم قد ظفرتم اذا امتنعتم
منه في مدينكم .. ثم جلس على بغل له ، فانطلق حتى اذا أشرف على الدرب
استقبل أرض الشام ثم قال : السلام عليك أرض سورية تسلم الوداع ، ثم
ركض حتى دخل القسطنطينية ..
أما كسرى فارس فإنه ثارت ثائرتة ، واشتد غضبه عندما تسلم كتاب
الرسول ، وبعث الى عامله على اليمن — باذان — يأمره بان ينهض لتأديب هذا
الرجل وجاء في إنذاره « ابعث الى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك
فليأتياي به » ..

وأرسل باذان رجلين من قبله الى الرسول ، فلما وصلا إليه أخبراه ان
كسرى يطلب مقابلته ، فصرفهما الرسول على ان يلتقي بهما في الغد ..
وحان موعد الرجلين ، فذهبا لمقابلة الرسول صلى الله عليه وسلم ،
فأخبرهما بمصرع كسرى بيد ابنه شيرويه ، كما أخبره الوحي ، فدهشا من
هذا الخبر . وقال لهم رسول الله : « أخبرا ملككم ذلك عني ، وقولا له : إن ديني
وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى .. وقولا له انك إن أسلمت أعطيتك
ما تحت يديك ، وملكك على قومك من الأبناء » ..
ولما وصل الخبر الى باذان وتحقق بعد ذلك من قتل كسرى قال : « إن هذا
الرجل لرسول » .. فأسلم وأسلم من كان معه من الفرس ببلاد اليمن .
وأما القوقس عظيم القبط في مصر ، فقد استقبل حامل كتاب الرسول
بها بغير من إكرام وبعث معه بهدية : جارتين وغيرهما ، أما الجارتان فمارية
التي اختارها النبي لنفسه فولدت له إبراهيم من بعد ، وسيرين التي أهداها
الى شاعره حسان بن ثابت .
وأما ملك الحبشة النجاشي ، فقد ذكر المؤرخون انه لما تسلم كتاب رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم وضعه على عينيه ، ونزل عن سريره وجلس على الأرض ، وقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وحفظ الكتاب عنده ، ثم بعث بكتاب الى رسول الله جاء فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الى محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، من النجاشي اصحبة ، سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمته وبركاته الذي لا إله إلا هو ، والذي هداني للإسلام ، أما بعد ، فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى عليه السلام ، فورب السماء والأرض إن عيسى عليه الصلاة والسلام لا يزيد على ما ذكرت ، وقد عرفنا ما بعثته إلينا وقربنا ابن عمك وأصحابك ، وأشهد أنك رسول الله صادقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يده لله رب العالمين . . .

وقد سر النبي كثيرا لإسلام النجاشي ، ولما بلغه موته صلى الله عليه صلاة الغائب لعلمه أنه لم يصل عليه أحد في الحيشة . . .
أكتفى بهذا القدر من سرد مبلغ اهتمام الإسلام بالتبشير ، وقد جعله فرضا عينيا على العلماء فقال سبحانه : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير - الى الإسلام - ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » آل عمران ١٠٥

وفي الختام أستعرض ضمائر المسؤولين وأصحاب الثروات في العالم العربي الاسلامي لإعطاء موضوع التبشير بالإسلام في ديار الغرب ما يستحقه من اهتمام ، وهو أولى من التبشير به في أفريقيا وغيرها حيث يلقي هناك مقاومة عنيفة من جيوش المبشرين النصارى بوسائلهم المختلفة القوية . . ولا يوجد كل ذلك في الغرب نفسه ، وهو مصدر الجريمة . .

ليس مما يبعث على الأسى والحسرة أن نرى دول الغرب القوية تتعاون على حشد كثير من إمكانياتها وثرواتها للتبشير بالنصرانية في العالم مما أخضع لها كثيرا من الشعوب والجماعات والأفراد بينما نحن مساهمون لاهون عن هذا التبشير ، مما جعلنا نحصد جزاء تفريطنا : إستعمارا واضطهادا وجلاء وإعتداء وغيرها من الشرور لا نزال نعاني ويلاتها الى يومنا هذا . . ؟!
« إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » . .

(١) انظر كيف تدعى البدع والأوهام الى سبعة الإسلام ، فان الذكر يلفظ « الله ، الله » لم يرد في الكتاب أو السنة ، وخاصة إذا كان مصحوبا بالرقص كما يحدث ذلك فيما يسمى بالرقص بالرقص ، مما جعل هذا المستشرق يظن أن ذلك من الإسلام وراح يسميه بمظاهر النمرع والذهول العقلي .

(٢) تاريخ الإمام محمد عبيد ٤٠٩/٢ .

(٣) الاتجاهات الوطنية في الانب المعاصر ٢٢٧/١ .

(٤) من رسالة سبها « نداء المعمل » نشرت في مجلة نور الإسلام التي كان يصدرها

الجامع الأزهر .

الأحكام

ليس تطورا

للشيخ محمد الغزالي

شقته الاسلام لهم ، لمعرفة العالم
وكان من قبل يجهلهم ، وأغواوا على
ماضيهم القريب ما لا ينكره إلا متمصب
كنود .. !

وارتبطت مكانة العرب الذاتية
والمالية بهذا الدين ، فهم يتقهقرون
إذا تخلوا عنه ، ويستباح حياهم !
وهم يرتقون ويتقدمون إذا تشبثوا به ،
وتحترم حقوقهم .. !

على عكس ما عرف في أمم أخرى
لم تستطع التحليق إلا بعد ما تخففت
من مواريتها الدينية ، كلاء ، أو
جزءا .. !!

وقد استطاع مسلمو الجزائر في
هذا العصر أن يستخلصوا حريتهم من
برائن عاتية ، وأن يدفعوا شين هذا
الخلاص مليوننا ونصفا من الشهداء !!
وما ينبغي تقريره في هذا المجال
أن الاسلام وحده كان وقود هذا
الكفاح القاسي ، الاسلام لا
القومية .. !

ربما شك بعض الناس في حقيقة
الدين الذي يعتنقه ، أو في جدواه
عليه .. !

فإن ساور هذا الخاطر أحدا من
خلق الله ، فإن العربي آخر امرئ
يعرض له هذا الظن ، بل يقرب من
المستحيل أن يساوره .. !!

ذلك أن غضل الاسلام على العرب
كفضل الضياء والماء على الزرع ..
لا أقول : أطعمهم من جوع وآمنهم
من خوف ، بل أقول : أوجدتهم من
عدم ، وجعل لاسهم حقيقة ، وأقام
بهم دولة وأنشأ حضارة .. !

قد تكون بعض العقائد متباينة
مخفدة للنشاط البشري .. !

لكن الاسلام لما جاء العرب شحذ
همهم ، وأثار عتسولهم ، ووجد
صفهم ، وطار بهم الى آفاق مادية
وأدبية لم يحلم بها آباؤهم ، ولا تخيلها
أصدقاؤهم أو أعداؤهم .. !!

ومضى العرب في طريق المجد الذي

قرين الإيمان .
وينصح الأمة كلها بالطاعة
والإصلاح ، ويتهدد عدوها بالطرده
والهوان ، ثم يأمرها بالمقاومة ورفض
الاستسلام ، وسيكون المستقبل لها
إن هي أبقت حبلا موصولا بربها :
« يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله
وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا
أعمالكم . إن الذين كفروا وصدوا عن
سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار غن
يفخر الله لهم . فلا تهنوا وتدعوا إلى
السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن
يتركم أعمالكم » .

فلما ظفر الجزائريون باستقلالهم
بدعوا يستعيدون عروبتهم التي فقدوها
خلال قرن وربع ، وضمت مشروعات
لجعل الأفراد والجماعات ينطقون
بالعربية ويتفاهمون بها ، بعد
ما كادت هذه اللغة تبيد أمام زحف
الفرنسية وسيادتها في الشوارع
والدواوين .. !!
إن الإسلام بالنسبة إلى العروبة
ولى نعمتها وصلاته حياتها ، وقد
اعترف مسيو (جارودي) — وهو
شيوعي فرنسي عاش ربحا من الزمن
في جبهة التحرير الجزائرية —

الإسلام ولي نعمتنا وصانع حضارتنا سيفي الليل حتى يحمل العرب رسالة الإسلام

والتدبر في هذه الآيات الثلاث
يعطى فكرة بينة أن تفضيل الأمة هو
تفضيل سلوك ، ومنهج ، لا تفضل
دم أو لون .

وإن الإيمان الشريف والاستقامة
الواضحة أساس العزة المنشودة ..
وأنه مهما لاتی المسلمون من صواب
وهزائم فلا يجوز أن يقبلوا سلما
مخزية ، ولا أن يعطوا الدنية من
انفسهم .

ولهم أن يركنوا إلى الله ، ولن يذل
جانبيهم ، ما آمنوا به وعملوا له ..
واليقظة العزيزة التي صنعها
الإسلام وهو بيني الأمة يمكن أن
تتابعها في مرحلتين :

الأولى : في العهد المكي ، يوم
كان المسلمون قلة تتوقع الضيم
ويتجرا عليها الأتواء ، لقد أمر
المسلمون إبان هذه المحن أن يثبتوا
ويشموخوا بحقهم ، وينكروا لكل

اعتراف بأن الدين وحده هو الذي أوقد
شرر هذا الكناح العزيز الغالي ،
وأن الإسلام يستحيل أن يوصف بأنه
مفدر للشعوب .. !!

والإسلام لا يجعل من العرب
شعبا مختارا يفضل غيره لسلالة
معينة أو دم خاص ، كلا كلا ، إن
الله اختار لعباده تعاليم راسخة
وشرائع عادلة ، ثم وكل إلى العرب
أن يحملوا هذه التعاليم والشرائع ،
ليعملوا بها وليطبخوا من شاء ..
والله يأبى كل نكرة عنصرية أو
استعلاء قومي ..

إنها مبادئ محددة ، تنطلق الأمة
منها ، فتكون بعين الله ، أو تند عنها
فيدعها الله لنفسها .. !!

بالوفاء لهذه المبادئ تصعد ، فإن
فرطت هوت ..

ولذلك يقول الله للمنهزمين في
أحد : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم
الأعلون إن كنتم مؤمنين » فالمسلمو

هو ان ينزل بهم ، ويطلبوا ثأرهم ممن اعتدى عليهم ، فإن عفوا فمن قدرة ملحوظة لا عن ادعاء مغرّض .. !!
انظر كيف وصفت سورة الشورى الملكية طلاب الآخرة الذين يؤثرون ما عند الله على هذه الدنيا ، إنهم « الذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين » .

طلاب الآخرة — كما وصفتهم السورة الملكية — ليسوا الذين يعيشون في الدنيا أذئابا مستباحين ، أو ضحايا مفوضين أو كما يقول الشاعر يصف قوما ثاقبين ..

ويبقى الأمر حين تخيب تيسم ولا يستأثرون وهم شهود !! لا ، لا ، إن هؤلاء المؤمنين بالدار الآخرة يفرضون أنفسهم على هذه الحياة الدنيا ، ويكرهون العدو والصديق على أن يحسب حسابهم ويزن رضاهم وسخطهم ، ويعلم أن نتائج العدوان عليهم أذى محذور وشر مستطير .. !!

لأنهم إذا بغى عليهم ينتصرون ، ويلطمون السيئة بمثلها .. !

وليس هذا بالنسبة الى الحق الادبي للجماعة كلها ، بل هو كذلك بالنسبة الى حق الفرد في ماله الخاص .

فقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم : أرايت إن جاء رجل يريد أخذ مالي .. ؟

قال : لا تعطه مالك .. !

قال : أرايت إن قاتلتني .. ؟

قال : قاتله .. !

قال : أرايت إن قتلته .. ؟

قال : هو في النار .. !

قال : أرايت إن قتلني .. ؟

قال : فأنت شهيد .. !

هل هذه الوصايا هي التي تخذّر الأفراد والجماعات .. ؟ سبحانه هذا بهتان عظيم .

فيما تجسأوزنا العهد المكى الى العهد المدني نجد توجيهها ينبع من هذه الروح الابية الشامخة .

إن الهوان جريمة ، وقضاء الحياة في ضعف واستكانة مرشح أول للسقوط في الدار الآخرة ..

ومن هنا أثبت القرآن الكريم هذا الحوار بين ملائكة الموت وبين الذين عاشوا في الدنيا مسقط متاع ، وأحلاس ذل .. !

« إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم ، قالوا : كنا مستضعفين في الارض ، قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فاولئك ماواهم جهنم وساءت مصيرا » .

والهجرة المفروضة هنا ، هي التحول من مكان يهدر فيه الإيمان وتضيع معالمة الى مكان يأمن فيه المرء على دينه .

ولكن حيث استقرت دار الاسلام ، فلا تحول ، وإنما يبقى المسلمون حيث كانوا ليدافعوا عن ترابهم ذرة ذرة ، ولا يسلبوا في أرض التوحيد لعدو الله وعدوهم ..

والآية تحرم قبول الذنية وإلّا الاستضعاف ، وتوجب المقاومة الى آخر رمق .. وما يؤكد هذا المعنى أن القرآن أحصى الطسوائف التي تُعذّر في هذا التهرّد المطلوب على قوى الشر .

ومع استثنائها فإن مصيرها ذكر معلقا على رجاء المغفرة والعفو لا على توكيد ذلك .. !!

« إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فاولئك عسى الله أن يعفو عنهم » .

والتعبير بعسى هنا مثير للقلق ،

**هيهات لا توعدون إن هي إلا حياتنا
الدنيا نموت ونحيا وما نحن بميموتين،
إن هو إلا رجل أفتى على الله كذبا
وما نحن له بمؤمنين» .**

إن التحلل من قيود الدين وفضائله
ليس تجديدا ولا ابتكارا ، بل هو
خنوع للفرائض الدينية التي أنامت
ألوف الخلفاء والخبيثاء من عشرات
القرون ، وجعلتهم يحسبون وفق
شهواتهم وحدها ! غاي ارتقاء إلى
ذلك المسلك الرخيص .. ؟؟

يا شباب العرب اقدروا التراث
النفيس الذي شرف الله به أممكم ،
واقام عليه تاريخكم ..

إن الدين الذي تنتمون إليه رفع
مناركم قديما ، وهو وحده التقدير على
استنقاذكم من ورطات هذه الأيام !!
لا تنخدعوا بمن يزهلكم في
رسالتكم ، فهو يرسم لكم طريق
الموت .. !!

إن أما أخرى لا تذ بعقائد
أردأ جوهر وأسوأ منجعا ،
واستطاعت أن تغالبكم وأن
تنال منكم ، فعودوا سراعا إلى دينكم
وتقوا أنه وحده العاصم من الفرق .
كم يحزنني أن أرى شبابا عربيا
النسب أعجمي الفكر واللغة
والضهير .. !!

لا يستند إلى عقيدة ، ولا يعتز
بتاريخ ، ولا يستغل براية ، ولا يسير
إلى غاية خدموه مغالوا : الجيل
الصاعد .. ولو صدقوه لقاتلوا :
الجيل الضائع الهابط ..

انظر إليه مليا ، ثم اهمس في
حسرة : إنك بهذا الشرود والفراغ
تصنع الهزيمة تلو الهزيمة ، وتجبر
الكارثة بعد الكارثة .. !

متى تعود إلى كتاب ربك ، وسنة
نبيك .. ؟؟
سيبقى الليل حتى تقع هذه العودة
المرتقبة ، ويحبل العرب مرة أخرى
رسالة الإسلام .

وهي إثارة مقصودة حتى لا يتمد
عن مكافحة المعتدين من يقدر على
إلحاق أي أذى بهم مهما قل .
إن المؤمن لن يسكون أبدا ثالث
الصنفين اللذين عناهما الشاعر في
قوله :

ولا يقيم على ضميم يراد به !
إلا الأذنان ، غير الحي ، والموتد ..
هذا على الخسف مربوط برمته
وذا يتساق فلا يرثى له أحد !!
المسلم لا يقبل الحياة على أية
صورة وبأي ثمن ، إما أن تكون كما
يبغى ، وإما رفضها وله عند ربه خير
منها وأشرف .. !!

ومن صحاح الكرامة والإباء قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن
قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل
دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون
أهله فهو شهيد » !!

وفي حديث آخر « من قتل دون
مظلومته فهو شهيد !! » .
هل رأيت استنهاضا للهمم ،
واستنفارا للنضال ، واستثارة للذود
عن الدماء والأموال والأعراض ، أحر
من هذه المبادئ .. ؟؟

أيمكن في منطق العقل والإنصاف
أن يوصف هذا الدين بأنه مخدر
للشعوب .. ؟ إلا شأهت الوجوه !!
وربما اتصل بهذه التهمة المتهافئة
تصور البعض أن الدين رباط مع
الماضي ، وأن التطور يتنافيه ..
وتنساءل نحن : ما هذا التطور ؟
إن الإلحاد ليس تطورا ! بل هو ترديد
لكثير الصغار من جهلة القرون
الأولى .

من ألوف السنين وتفتت قبيلة عاد
من رسولها موقفا كأنها لخصت فيه
كل ما يقال في هذا العصر على
السنة الشطار من دعاة الإلحاد :
« أيسدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا
وعظاما أنكم مخرجون ، هيهات

كَيْفَ
نَحَارِبُ
الْقَسْرَ
الْمُتَقَاتِلَ

الْفَرْجِ

وَالشَّرِجِ

الشَّيْخُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَعْلُومٍ

ان اخطر ما تواجهه المجتمعات الإسلامية في الوقت الحاضر هو ما يسمى بالغزو الثقافي بأسلحته المتنوعة من كتب وإذاعات وصحف ومجلات وغير ذلك من الأسلحة الأخرى ، ذلك أن الاستعمار في العصر الحديث قد غير من أساليبه القديمة لما أدركه من فشلها وعدم فعاليتها ومحاربة الشعوب واستماتتها في الدفاع عن دينها وأوطانها ومقدراتها وتراثها ، حيث أن الأخذ بالقوة وعن طريق العنف والإرهاب مما تأباه الطبائع وتنفر منه النفوس لا سيما في الأوقات الحاضرة بعد أن انتشر الوعي بين الناس واتصل الناس بعضهم ببعض وأصبح هناك منظمات وهيئات كثيرة تدافع عن حقوق الشعوب وترفض الاستعمار عن طريق القوة وتطالب بحق تقرير المصير لكل شعب ، وأن لأهل كل قطر حقهم الطبيعي في سيادتهم على أرضهم واستثمار مواردهم وتسيير دفة الحكم في أوطانهم حسب ميولهم ورغباتهم وطريقتهم في الحياة وحسب ما تدين به تلك الشعوب من

معتقدات ومذاهب وأساليب مختلفة للحكم مما اضطر معه الى الخروج عن هذه الأقطار بعد قتال عنيف وصدامات مسلحة وحروب كثيرة دامية .

ولكنه قبل أن يخرج من هذه الأقطار فكر في عدة وسائل واتخذ كثيرا من المخططات بعد دراسة وأعية وتفكير طويل وتصور كامل لأبعاد هذه المخططات ومدى فعاليتها وتأثيرها والطرق التي ينبغي أن تتخذ للوصول الى الغاية التي يريد وأهدافه تتلخص في إيجاد مناهج دراسية على صلة ضعيفة بالدين وبالقيمة في الدماء والمكر والتلبس ركن فيها على خدمة أهدافه ونشر ثقافته وترسيخ الإعجاب بها حققه في مجال الصناعات المختلفة والمكاسب المادية في نفوس أغلب الناس حتى اذا ما تشربت بها قلوبهم وأعجبوا بظواهر برقيتها ولعانها وعظيم ما حققته وأنجزته من المكاسب الدنيوية والاختراعات العجيبة لا سيما في صنوف الطلاب والمتعلمين الذين لا يزالون في سن المراهقة والشباب اختارت جماعة منهم ممن انطلى عليهم سحر هذه الحضارة لإكمال تعليمهم في الخارج في الجامعات الأوروبية والأمريكية وغيرها حيث يواجهون هناك بسلسلة طويلة من الشبهات والشبهوات على أيدي المستشرقين والمحدثين بشكل منظم وخطط مدروسة وأساليب ملتوية في غاية المكر والدهاء - وحيث يواجهون الحياة الغريبة بما فيها من تفسخ وتبذل وخلاعة وتلكيك ومجون وإباحية .

وهذه الأسلحة وما يصاحبها من اغراء وتشجيع وعدم وازع من دين أو سلطة قل من ينجو من شباكها ويسلم من شرورها إلا من عصم الله وهم القليل - وهؤلاء بعد اكمال دراستهم وعودتهم الى بلادهم وتسليمهم المناصب الكبيرة في الدولة خير من يطمئن اليهم المستعمر بعد رحيله ويضع الامانة والخسيسة في أيديهم لينفذوها بكل دقة ، بل بوسائل وأساليب أشد عنفا وقسوة من تلك التي سلكها المستعمر كما وقع ذلك فعلا في كثير من البلاد التي ابتليت بالاستعمار أو كانت على صلة وثيقة به .

أما الطريق الى السلامة من هذا الخطر والبعد عن مساوئيه واضرارها فيتلخص فيما أقدمت عليه حكومتنا السنية بعد أدراك كامل للمصلحة العامة وتقدير للمسئولية من انشاء الجامعات والكليات والمعاهد المختلفة بكافة اختصاصاتها للحد من الإبتعاث الى الخارج وتدريب العلوم بكافة أنواعها في المملكة حرصا على سلامة عقيدة هؤلاء الشباب وصيانة أخلاقهم وخوفا على مستقبلهم - وحتى يساهموا في بناء مجتمعهم على ضوء من تعاليم الشريعة الإسلامية وحسب حاجات ومتطلبات هذه الأمة المسلمة وضيقت من نطاق الإبتعاث الى الخارج وحصرته في علوم معينة لا يتوفر في الوقت الحاضر تدريسيها في الداخل .

وإننا نشكر لحكومتنا السنية هذا الصنيع وحرصها الشديد على مستقبل الأمة والوطن وعلى ما حققته وأنجزته من المشاريع النافعة والمكاسب الضخمة ونسال الله لها مزيدا من التوفيق للأعمال الصالحة والخدمات النافعة للمسلمين ولكن هذا المقام مع ما ذكرنا يحتاج الى مزيد من العناية في إصلاح المناهج وصبغها بالصبغة الإسلامية على وجه اكمل والاستكثار من المؤسسات العلمية التي يستغنى بها أبناء البلاد عن السفر الى الخارج - واختيار المدرسات والمديرين والمديرات وأن يكون الجميع من المعروفين بالأخلاق الفاضلة والعقيدة

الطبية والسيرة الحسنة والغيرة الإسلامية والقوة والأمانة لأن من كان بهذه الصفات أمن شره ورجى خيره وبذل وسعه في كل ما من شأنه إيصال المعلومات إلى الطلبة والطالبات سليمة نقية .

أما إذا اقتضت الضرورة ابتعث بعض الطلاب إلى الخارج لصدوم وجود بعض المعاهد الفنية المتخصصة لا سيما في مجال التصنيع وأشباهه فإرى أن يكون لذلك لجنة عليمة أمينة لاختيار الشباب الصالح في دينه وأخلاقه المتشبع بالثقافة والروح الإسلامية واختيار مشرف على هذه البعثة معروف بعلمه وصلاحه ونشاطه في الدعوة ليرافق البعثة المذكورة ويقوم بالدعوة إلى الله هناك ، وفي الوقت نفسه يشرف على البعثة ويتفقد أحوالها وتصرفات أفرادها ويقوم بارشادهم وتوجيههم وأجابتهم عما قد يعرض لهم من شبه وتشكيك وغير ذلك .

وينبغي أن تعقد لهم دورة قبل إبتعثهم ولو قصيرة يدرسون فيها جميع المشاكل والشبهات التي قد تواجههم في البلاد التي يبتعثون إليها ويبين لهم موقف الشريعة الإسلامية منها والحكمة فيها حسب ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام أهل العلم مثل أحكام الرق وتعدد الزوجات بصفة عامة وتعدد أزواج النبي (صلى الله عليه وسلم) بصفة خاصة وحكم الطلاق وحكمة الجهاد ابتداءً ودفاعاً وغير ذلك من الأمور التي يوردها أعداء الله على المسلمين حتى يكونوا على استعداد تام للرد على ما يعرض لهم من الشبه .

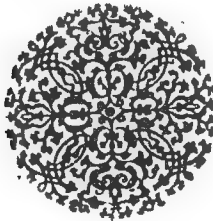
أما عن مجابهة الغزو المذهبي في الإذاعات والكتب والصحف والمجسلات والأفلام التي أبليت بها المجتمعات الإسلامية في هذا العصر وأخذت تشغل أكثر أوقات المرء المسلم والمرأة المسلمة رغم ما تشتمل عليه في أكثر الأحيان من السم الزعاب والدعاية المضللة والأدب الرخيص والصور العارية والدعوة إلى الفساد فإرى أن من أهم علاج ذلك أن تهتم الدول الإسلامية لا سيما حكومتها السنية بإيجاد هيئة من أهل العلم والبصيرة والغيرة على الإسلام والثقافة الواسعة وتفرغ لكتابة البحوث والنشرات والمقالات النافعة والدعوة إلى الإسلام والرد على الغزو الثقافي المنظم وكشف عواره وتبيين زيفه حيث أن الأعداء قد جندوا كافة إمكاناتهم وقدراتهم وأوجدوا المنظمات المختلفة والوسائل المتنوعة للدس على المسلمين فلا بد من تفنيد هذه الشبهات وعرض الإسلام عقيدة وتشريعاً وأخلاقاً عرضاً شيقاً صافياً جذاباً بالأساليب الطبية المعاصرة المناسبة وعن طريق الحكمة والموعظة والجدال بالتي هي أحسن فهو الدين الكامل الجامع لكل خير الكفيل بسعادة البشر وتحقيق الرقي الصالح والتقدم السليم والأمن والطمأنينة والحياة الكريمة والفوز في الدنيا والآخرة ..

وما أصيب المسلمون إلا بسبب عدم تمسكهم بدينهم كما يجب ، وعدم فهم الأكثرين لحقيقته وما ذلك إلا لامراضهم عنه وعدم تفقههم فيه وتقصير أكثر العلماء في شرح مزاياه وإبراز محاسنه وحكمه وأسراره والصدق والمبرر في الدعوة إليه ، وتحمل الأذى في ذلك بالأساليب والطرق المتبعة في هذا العصر ومن أجل ذلك حصل ما حصل اليوم من الفرقة والاختلاف وجهل الأكثر لأحكام الإسلام والتباس الأمور عليهم .

ومعلوم أنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها والذي صلح به

أولها هو اتباع كتاب الله الكريم وستة رسوله الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم كما قال تعالى (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) وقال تعالى (وإن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون) وقال سبحانه (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) وقد وعدهم الله سبحانه على ذلك النصر المبين والعاقبة الحميدة كما قال سبحانه وهو أصدق القائلين (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) وقال سبحانه (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط) وقال عز وجل (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) وقال سبحانه (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) والآيات في هذا المعنى كثيرة ، ولما حقق سلفنا الصالح هذه الآيات الكريمات قولا وعملا وعقيدة نصرهم الله على أعدائهم ومكن لهم في الأرض ونشر بهم العدل ورحم بهم العباد وجعلهم قادة الأمة الهادي الهدى ولما غير من بعدهم غير عليهم كما قال سبحانه « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

فنسأل الله سبحانه أن يرد المسلمين حكومات وشعوبا إلى دينهم ردا حميدا وأن يمنحهم الفقه فيه والعمل به والحكم به وأن يجمع كلمتهم على الحق ويوفقهم للتعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق والضرب عليه أنه سميع قريب وصلى الله وسلم على نبيينا ومسيدنا محمد وآله وصحبه واتباعه بإحسان .



المتكلمون في الدين

الواء الركن/محمود شيت خطاب

لا بد للمتكلم في الدين أن يؤمن إيمانا عميقا بالدين ويؤمن أنه يدافع عنه دفاعا عن قضية عادلة ويدعو اليه إنقاذا للناس من شرور الدنيا الى خيراتها ومغضائها ، ومن عذاب الآخرة ونار جهنم الى جنة عرضها السموات والأرض ..

ولا بد للمتكلم في الدين ، أن يعمل به ويجعله منهجا له في الحياة لا يحيد عنه قيد أنملة ، وأن تطابق أقواله أفعاله ، بل تزيد أفعاله على أقواله ليكون قدوة حسنة لمريديه وسامعيه . واعتقد أن هذين الشرطين هما أهم الشروط التي يجب أن تكون في المتكلم بالدين — الإيمان العميق بالدين أو (النية) والعمل بتعاليمه ، والتمسك بأهدافه والدعوة اليه والدفاع عنه . هذان الشرطان الرئيسيان هما — النية والعمل .

ويتقضى أن يكون المتكلم في الدين عالما في الدين ، متقنا لفروعه وأصوله حتى يفيد كلامه ، ويقبل الناس على سماعه .

والذي تكون بضاعته في العلوم الدينية قليلة ، تكون فائدته للمسامعين قليلة أيضا ، وقد كان السلف الصالح لا يتكلمون في الدين الا اذا بلغوا شأوا بعيدا في العلوم الدينية وسمح لهم أساتذتهم بالكلام أو الفتيا .

ومع عمق العلوم التي يستوعبها أحدهم ، فانه كان يتورع عن الكلام في الدين الا اذا كان متأكدا من صحة معلوماته ودقتها ، وكان لا يتسرع في الأجابة على سؤال ديني ما لم يفتش عنه في مظائنه من المصادر ، ويسأل عنه أهل الذكر ..

ومن المهم أن يقتن المتكلم في الدين علوم اللغة والبيان ، فكلما كان المتكلم بليغا ، أثر في الذين يسمعونهم والذين يأخذون عنه ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أبلغ البلغاء ، وأفصح الفصحاء وقد أوتي جوامع الكلم ..

وأن يتحلى المتكلم في الدين بمزية (الإيجاز) .. ولا يسعني إلا أن أقف وقفة قصيرة عند مزية (الإيجاز) ، فهي مزية تل أن يتحلى بها المتكلمون في الدين — مع الأسف الشديد في هذه الأيام . يقف خطيب الجمعة مثلا ، وكل الدلائل تدل على أنه لم (يحضر) شيئا ليقوله ، فيبدأ بالكلام (المرتجل) ويتبادى في ارتجاله ، ويأتي بأفكار من الميمن والشمال ، أكثرها غير متساق ، يشيع فيها الاضطراب والتناقض ،

ويقتضى في خطبته ساعة أو أكثر ، غير ملتفت الى وجود اطفال وشيوخ ، ولا إلى حالة الطقس باردا أو حارا .. كل همه أن يتكلم وأن يرتجل الكلام ، وأن يكون صوته مرتفعا كهزيم الرعد وأن تتحرك يداه ورأسه ، ويتحرك كل بدنه ولا شيء بعد ذلك .

وطالما سألت نفسي حين أصلى الجمعة ماذا قال الخطيب ؟ وبكل امانة لا أعرف ماذا قال .

واتهمت نفسي كثيرا ، فقلت ربما يكون مستوى الخطيب أرفع من مستواي الثقافي ... ربما أكون شارد الذهن ..

ولكنني سألت من اتق به هذا السؤال ماذا قال الخطيب ؟ فكان الجواب دائما والله لا أدري ..

الإيجاز الإيجاز على أن يكون الكلام معدا ومركزا ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم من أقل الناس كلاما ، وخطبه المسجلة التي وصلت إلينا قصيرة ، ولكن فيها أعظم الفائدة .. وهكذا فإن الكلام لا يقاس بطوله ، بل يقاس بمقدار فائدته .

« ٢ »

ومن الضروري أن يكون المتكلم بالدين دارسا عميقا ، أي أنه لا يكتب بها حفظه من علم ، بل يدرس موضوع خطابه قبل لقائه دراسة عميقة ، ولا يكتب بمصدر واحد بل يقلب صفحات أكثر من مصدر واحد ، ولا يقتصر على المصادر القديمة بل يبحث في المراجع الحديثة .
والفضل أن يكتب ما سيقوله ويقرأه على مكث ، ولو أن أكثر المتكلمين يفضلون الارتجال ، لأن الكلية المكتوبة تكون مختصرة وشاملة غالبا ، ويكون المتكلم مقيدا بها .

أما الكلام المرتجل فيشرق ويغرب ويفزوه الاستطراد ، فيطول الكلام وغالبا ما يدب الى السامعين الملل والكلل والتذمر من المتكلم سرا وعلانية .
كما أن الكلام المكتوب يجبر صاحبه على الدراسة والتحصيل ، بعكس الكلام المرتجل الذي قد يخطر على بال صاحبه في اللحظة والوقت دون سابق تحضير ، وكل دراسة وتحصيل تأتي بخير وتؤدي الى بركة وكل كلام مرتجل أو عمل مرتجل غالبا لا يؤدي الى خير .

وسيقول قائل إن الكلية المرتجلة تؤثر في السامع أكثر من الكلية المقروءة ، والواقع أن الكلية المقروءة المعدة فائدتها أكبر من فائدة الكلية المرتجلة ، والمسألة مسألة فائدة السامع ، وقد مضى الزمان الذين كان يعجب الناس بالخطيب المرتجل مهما يقل من كلام فقد أصبح الناس يزنون كلام القائل فيعجبون بها يستحق الإعجاب ، ويرفضون ما يستحق الرفض .

وهناك جامعات محترمة لا ترضى من الأستاذ أن يرتجل درسه ، بل لا بد من أن يقدم ذلك الدرس مكتوبا ، فيعرض على لجنة خاصة فتقره أو تعدله أو ترفضه . ذلك لأن تلك الجامعات تحصر على مقول طلابها وוותهم ، وقد تعلمت بالتجربة أن الأستاذ المرتجل كثيرا ما ينسى شيئا أو يسهو عن شيء أو يقرر خطأ بعض الحقائق العلمية ، فيعرض سامعيه ويقبح نفسه .

والاسلام والحمد لله واسع جدا ، فيه مجال للقول كثير ، وهو دين يصلح لكل زمان ومكان ويرفع من مستوى كل مجتمع ..
والامة الاسلامية تعاني من غزو فكري شنيع ، والفكر لا يقاوم الا بفكر مثله أو أحسن منه ، وفي الاسلام خير كثير يستطيع المتكلم في الدين أن يعرضه بأسلوب حديث ، يقضى به قضاء مبرما على الأفكار الواحدة والمبادئ المستوردة ..

ولست أعنى أن كل فكر واعد لا خير فيه ، فهناك أفكار مفيدة لا بأس من تعلمها وتعلينها ، ولكنني أرفض كل فكر يناقض روح الاسلام ، ولست أشك أن مثل هذا الفكر اضر معتنقيه ويضر من يمتنقه .
والحضارة العالمية عبارة عن أفكار اشترك فيها كثير من الأمم ، والفكر الصالح هو من صميم الاسلام أما الأفكار الضارة فهي التي لا نريد أن يتورط فيها مسلم .

والمتكلم في الدين ، يجب أن يعرف الأفكار الواحدة الضارة ، والمبادئ المستوردة التي تناقض الاسلام ، ويعرف كيف يستنبط من الدين ما يقوض به تلك الأفكار والمبادئ بأسلوب علمي حصيف ..
أما أن يبقى المتكلم في الدين ، مصرا على الكلام عن نواقض الموضوع .. الخ ..

تلك المواضيع التي أصبحت معروفة لكل مسلم ، والذي لا يعرفها يستطيع أن يسأل عنها ليتعلمها خلال دقائق معدودات ..
أما أن يبقى المتكلم في الدين حريصا على ترديد نصوص معينة من كتب معينة عفى عليها الدهر وانكرتها الأيام ، فإن النتيجة المتوقعة هي أن يكون هناك انفصال بين هذا المتكلم في الدين ، وبين سامعيه وخاصة من الشباب .

وقد حدثني شيخ من كرام الشيوخ ، ولكنه يعيش في غير عصره ، ويجهل التيارات الجارفة التي تلعب بأفكار الشباب في المدارس والمعاهد والجامعات والمجتمعات ، فذكر أن الدنيا بخير وأن الناس متمسكون بدينهم ... الخ ..

وكان ذلك الشيخ صادقا ، لأنه كان يتحدث عن المجتمع الصغير السذي يعايشه ويختلط به .

وانتذكر أنني حدثته بالواقع ، وقلت له إن هوة عميقة تفصل بينكم - بين الشيوخ والشباب - وما لم تتداركوا الأمر قبل غوات الأوان ، فإن الخطر محقق والمصير مظلم ..

إن محاولة المتكلم في الدين كشف كنوز الاسلام العظيمة بأسلوب جديد ، هو الذي يؤدي به إلى النجاح من جهة ، وإلى إلقاء السامعين ما يخالجهم من أفكار خطيرة تضر بهم اشخاصا ، وتضر بالمجتمع أيضا .
وكم في الاسلام من كنوز عظيمة بإمكانها اكتساح المبادئ الواحدة ، والأفكار المستوردة التي أضرت بالذين اعتنقوها أبلغ الإضرار .
ولكن أين المتكلم في الدين الذي يكتشف هذه الكنوز ؟
وهنا أذكر من التورط في ادعاء كل جديد أنه من الاسلام ، وأن الاسلام قد سبق إليه .

إن الاسلام هو كل لا يتجزأ ، وهو رأس ، ويجب أن يبقى رأسا ، فليس

من مصلحة الإسلام أن نلث وراء كل مبدأ جديد يتعشقه الناس وتدعى انه من الاسلام ..

ولكن يجب أن نقول إن المبدأ الفلاني يقول كذا ، ويعالج الأمور بكذا ، والاسلام يقول كذا ، ويعالج المشاكل بكذا .. فأى المعالجتين أفضل ؟ وهنا يبرز الفرق بين الاسلام وهو من صنع الله ، وبين المبادئ مهما تكن وهى من صنع البشر .

إن المبادئ الوضعية تتبدل ، وما كان جديدا أمس ، أصبح قديما اليوم ، وما كان أملا الجماهير فى أيام سابقة أصبح موضع نقمتهم فى هذه الأيام ..

أما الاسلام ، فباق بقاء الحياة ، ثابت ثبات الراسيات ، لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

« ٣ »

وينبغى أن يقتنص المتكلم فى الدين ما يناسب الظروف الراهنة التى يعيشها المجتمع ، حتى يجد السامعون فى الدين ما يعالج مشاكلهم الراهنة ، ويناسب الظروف والأحوال ..

فإذا كانت الأمة فى حالة دفاع عن كيانها وحاضرها ومستقبلها ، كالذى تعيشه الأمة العربية وهى فى كفاح لإسرائيل ومن وراء إسرائيل من دول الاستعمار ، فلا بد للمتكلم فى الدين أن يركز على الجهاد بالأسوال والأنفس ، وأسلوب إخراج الجهاد من نطاق الفتاوى الى نطاق التطبيق العملى ، وعقاب المخلفين عن الجهاد فى الاسلام ، ودرجة الشهيد فى الاسلام وغير هذه المواضيع الحيوية التى يجمع بها الدين الاسلامى الحنيف .

لقد أصفيت الى عدد من الخطباء فوجدت أكثرهم يتحدثون عن مواضيع غير الجهاد ، فما أحراهم أن يلتفتوا الى بحث الجهاد ويشبعوه بحثا وتفصيلا ، لأنه من أسس الاسلام أولا ، ولأنه يناسب الظروف الحالية ثانيا ، ولأن العسكرية الاسلامية مفخرة من مفاخر الفن العسكرى أخيرا .

والمتكلم فى الدين — بالإضافة الى كل ذلك — عليه أن يكون له رصيد ضخم من علوم الدين حفظا يستشهد بها فى أحاديثه ، ولكنه ينبغى ألا يكتفى بذكر الحقائق الواردة فى الكتب ، بل عليه أن يذكر الطريقة المثلى لتطبيق تلك الحقائق لتصبح عملا ولا تبقى كلاما .

إن المتكلم فى الدين الذى يضع الحلول للمشاكل هو فى الحقيقة مدرسة سيرة ، لا تمضى عليه مدة الا ويكون له تلاميذ وطلاب وأتباع ومريدون ، يروجون لأرائه ، ويحملونها الى الناس .

المتكلم فى الدين له رسالة ، ويجب أن يشعر بهذه الرسالة ويؤديها بكل أمانة وإخلاص فى عنقه أمانة ، فليُنظر كيف يؤدي الأمانة .

وهذا الدين عظيم فليُنظر كيف يبرز عظيمته للعيان .
وفى هذا الدين جوانب كثيرة فذة ، فليُنظر كيف يبهر بنوره الالباب .
وأخيرا ، فكل جهد يبذل لخدمة الاسلام والمسلمين يهون ، وكل سهر من أجله يحتل ، وكل عفاء بسببه يسهل ..
ومرحبا بحمل رسالة الاسلام ، وأهلا بتليفه الى الناس ..

حول
قضية
الفن
العقائدي



للأستاذ : يوسف حسن نوغل

إلا أن يعدو في الشوط إلى غايته ،
مقدم - بتواضع العلماء - طرعا
آخر لجانب من جوانب القضية تشوفا
لزيد من الضوء حتى تكتمل جوانب
هذا البحث الجاد الذي كان له فضل
بدء الحديث فيه ، وكان ذلك في
مقاله : (بل .. هذا الزحف من
يتصدى له ؟) المنشور في العدد
التاسع والثمانين الصادر في غرة
جمادى الأولى عام ١٣٩٢ هـ (١٢)
من يونيو (حزيران) ١٩٧٢ م .
وقد تعمدت أن أعرف بمواطن هذه

قضية خطيرة تصدى لها باقتدار
الصديق الشاعر الأستاذ « محمد
أحمد المزب » حين أطلت علينا مجلة
« الوعي الإسلامي » بمقاله المخلص
الجاد : (هذا الزحف من يتصدى
له ؟) في عدد شوال ١٣٩١ هـ ، ١٩
من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧١ م .
وقد استللت من تدفق إخلاص
مقاله مجموعة من الخواطر ناقشتها
بإيجاز في مقال نشر في عدد صفر
١٣٩٢ هـ بعنوان : (هؤلاء المتصدون
من يدعمهم ؟) ، ثم أبى تحفز شاعرنا

يصيح صديقي العزيز .
 « نهل في أدبنا العربي المعاصر
 اليوم حتى ما يوحى بميلاد مثل هذا
 الفنان المبدع الخالق ؟؟
 وهل في أدبنا العربي المعاصر اليوم
 حتى ما يوحى إلى ميلاد مثل هذا
 الفن المغامر المدهج القابض على أمل
 الخلاص ؟؟ » .
 ونحن في الطريق إلى شواطئ
 هذه التساؤلات دعنا نقدم هذه
 التصورات رغبة في مزيد من
 الضوء .

التصور الأول :

مرت الأمة العربية والشعوب
 الإسلامية بعدة اختبارات حضارية
 عبر العصور الماضية ، استطاعت
 فيها أن تصمد وتحافظ على كياناتها
 وهويتها ، وتراوحت نسبة الدفاع
 تبعاً لاختلاف نسبة الهجوم ، وبقي في
 النهاية حقيقة لا تقبل الشك وهي أن
 كل الموجات التي غزت شاطئها
 تكسرت وذابت وعادت أدراجها
 مترنحة متهاوية .

وكان لطبيعة أرضنا وموقعنا بل
 وعقيدتنا ما جعل أمتنا باستمرار ،
 وخلال كل حقبة ، هدفاً لغزو الغزاة
 وتطلع المتطلعين ، ودعماً الآن من
 الحديث عن ميكانيكية الغزو
 العسكري ، ورائحة باروده وضجيج
 رجاله وعناده ، ومساحات أطعاه ،
 وتكتيكه واستراتيجيته ، ولتقف بعين
 عند أيديولوجية الغزو أو المسخ
 الفكري — يشاوي الأمران — هنا
 مكن الداء — كما يقولون — وعند
 هذا المكن أول الجذور لقضية حوارنا
 الآن (الفن المعائدي) .

الفن المعائدي بحاجة إلى خلفية
 فلسفية تبلور عقيدة ومنهجاً — كما
 رأى الصديق الأستاذ العزيز بحق ،

قالا حتى يرجع إليها من يشاء ،
 متابعة القضية ، ومحاولة الإسهام
 بها برأي لا يغنى فيه عرض لخلاصة
 تركيز لفكرة مما نوقش ، بل ينبغي
 رجوع إلى ما قيل .

وأجدني في موقف الحتم قاصداً
 إلى خلاصة ما ذهب إليه مقالته الثاني
 الجأ إلى سطره الأنيقة التي تحمل
 بض ما يدعو إليه .. يقول :

« هذه هي المحاور الأساسية
 لثلاثة في قضيتي بلا هروب من قدر
 لمواجهة .. المحور الأول : هو أن

ينحى القضية الصبى يولد على
 خريطة الوطن الاسلامي هذا الفنان
 المعائدي الذي ينزع في تحركه الفني

من خلفية فلسفية متكاملة أو متنامية
 بلا جنوح للتخبط في دياجير النقائص

أو احتطاب أمشاج الطول . والمحور
 الثاني : هو أن يكون طريق هذا

الفنان إلى إبداعه المعائدي ليس
 الوعظ الدعائي بما هو مقولة مرفوضة

في منطق الفن ، وليس الخرافة
 المسطحة بما هي حركة مبرورة لا

تستطيع أن تواجه شمس الحقيقة
 الكونية !!! والمحور الثالث : هو أن

تكون هوم هذا الفنان الأمل أن يحرك
 في اتجاهه ثقافة عصره وكل العصور

قابضاً في حركة إبداعه على قيسية
 وضعيته المعائدية ، غير هارب في

أردية التوافق الجاهلي من هويته
 الذاتية التي قد يوصم معها بالجمودية

والرجعية والوراثية ، إلى آخر ما في
 جعبة الأغرار من شعارات فارغة

جوهاء متاكلة الجبين !!
 ولا أجدني في حاجة إلى التنويه

بأن محاورتنا متلاحمة لا متنافرة ،
 كلانا يقطع الحرب ويقصد الهدف ،
 ومن هنا فإن ما يبدأ به مقالتي هو ما
 انتهى به مقال الصديق الشاعر ،
 نقطة التقاط أنفاسه هي نقطة بدء
 أنفاسي عسانا تبلغ دائرة الضوء
 معاً .

الى خلق واستحداث غيبا ، ومتى حافظنا على شخصيتنا وحددنا هويتنا انعكس ذلك على كل مظاهر النشاط البشرى فوق أرض امتنا ، انعكس على الجهد المادى والجهد الروحى ، وانعكس بدوره على الادب والأديب : شعرا ، وقصة ، ومسرحة ، بل انعكس على كل الفنون .

من هنا فإننى لا ألقى بما أحيل من هموم فوق رأس الأديب العربى فأغرقه من شعره الى أخمص قدميه ، وأطلب منه موقفاً فنياً عقائدياً وفلسفياً حضارياً ، بل أكاد أبرء موقف الأديب - وأقول أكاد - لأن الأديب نتاج بيئته ومجتمعها بما يحل هذا المجتمع من مثالب ومحامد ، فإذا كان مجتمعنا فى حيرة من أمره إزاء اصطحاب عالمه بفزوات متعسدة متلاحقة متناقضة متضاربة أفلا يكون شبيهاً حتمياً أن يحار الأديب ويضطرب ؟

التصور الثانى :

أما النماذج التى أشرت إليها - فى مجال الإنتاج القصصى - فلم اتصد ولا اتصد بها النموذج الأمثل لإنتاج عقائدى ، أو إن شئت قلت : لموقف حضارى ، وإنما قصدت بذلك أن أشير الى أن هناك بعض الالتفات الى الدين لدى بعض كتابنا فى حاجة الى دعم وحذب وحنو عساه بشر شيئاً ما فى المستقبل ، أو يمثل - على الأقل - بداية موقف وتشكل اتجاه .

ولم أقل : إن هناك منهجاً مستقيماً لفن عقائدى لدى واحد من هؤلاء ، وبهذه المناسبة فإن كتاباً صدر بعنوان : (الإسلام والروحانية فى أدب نجيب محفوظ) كتبه الصديق القصاص الدكتور « محمد حسن عبد الله » أحد أساتذة جامعة الكويت رأى فيه أن « نجيب محفوظ » كاتب

وكما وافقه بصدق - غير أن العقيدة تكن فى خلق وتكوين هذه الخلفية ، وخصوصاً إذا وضع الباحث فى اعتباره أن فساد ما بين أيدينا لا يرجع الى يوم وليلة ، بل هو ابن سنين ، ووليد عصور متلاحقة واتجاهات متضاربة لم يبق فى مواجهتها كياناً إلا لأنه صلب أصيل جوهرى ، وحتم على أنصار الفن العقائدى ودعاته ألا تغيب عن بالهم هذه الحقيقة الهامة ، وهى تحليل ودرس وتقصي مظاهر المسخ الفكرى ، والتفريب العقائدى والتشويه الحضارى ، الذى تراكمت طلوله فوق جبهة امتنا حتى عاقتها الآن عن الرؤية المستنيرة ، والاستبانة الحققة ، والنهج القويم .

وبنظرة صريحة الى واقع امتنا اليوم سنجد أننا ، وسط هذا الركام ، نملك عيوناً زائفة وأقداماً مهترئة تحن الى كل اتجاه ، وتأخذ بكل منهج مهما كان التضارب والتناقض ، كأننا أمة فى مرحلة الطفولة أو إن شئت قلت : مرحلة الميلاد ، ناسين أننا أمة أم ، وحضارة رئيسة ، وجذور لا غصون ، وأصول لا غروع .

استغفر الله من لئس قد يسرع الى قارئى الكريم من أننى منطلق من الانفتاح ، ومضاد للاتساع الحضارى والاستيعاب العالى والتشرب المطلق بكل نتاج بشرى .

ومتى استغفرت الله من ذلك أمضى مطمئناً فأقول : إن الأخذ والتفاعل شئ ، والتقهقر والانهيار والمسوخ شئ آخر ، الأول شئ محبوب مثير خلاق ، والثانى مقوت مقوت مخزى .

نحن الآن أمام موقف امتحان حضارى عسير ، لا تستحيل منه النجاة بل تجب النجاة منه لكن ذلك لا يكون إلا بتأصيل موقف ، وتحديد اتجاه ، ورسم ملامح ، نملك منها جذورها وغروها ، ولستنا بحاجة

المجدد صلاح عبد الصبور في كتابه !
(ماذا يبقى منهم للتاريخ ؟) ،
وصدرت الطبعة الأولى منه عام
١٩٦١ عن دار الثقافة العربية
(انظر ص ١٢ و ١٣) .

لكنني أسوق هذا التساؤل في
موقف يلتحم التحاما مباشرا بالمقولة
السابقة عن موقف مجتمعنا مما
يصطرع حوله ، إذ أن ما حدث أن كل
ما قدمته الأعمال الأدبية كان قوالب
مستوردة يجتهد الأديب في اختيار ما
يرى ، ويفرضه بمنصرة من حركة
النقد الضحلة على قرائه الذين
يلوكونه ويجترونه ثم يلوكونه
ويجترونه حتى يومنا هذا ، وساعد
على ذلك فقدان الموقف الفلسفي
والحضاري المتأصل ، والولع بالتقليد
في حلبة التصنيق الاتعالي أو معارك
الخصومة المنهوسة .

وأشهد مرة أخرى أن هناك من
سبقنا إلى الدعوة إلى استيعاب هذه
المذاهب العالمية للخروج بموقف
واضح ينسب إلينا وننتسب إليه ،
وهو المرحوم الدكتور محمد غنيمي
هلال الذي رأى أنه لا بد من التأثر
بالمذاهب الأدبية العالمية والكبرى ،
ودراستها بوعي ، لنخرج بذهب
أدبي أصيل نسائير به روح العصر
(فيه تتبلور فلسفة مشتركة يصورها
الكتاب في أدبهم لترسخ في وعي
جمهورهم) . (ص ١٧ و ١٨)
الأدب المقارن - محمد غنيمي هلال .

التصور الرابع :

ثم الحق بما تقدم ما يمكن أن
أسميه : أزمة الثقافة والمثقفين ، إن
الأدب يلطع على الناس ولا يقرأ ،
وإن قرئ لا يترك سدى ، وذلك
راجع - في تصوري - إلى أزمة
القراءة وأزمة الثقافة ، وهذا بدوره

إسلامي روجي ، ولقد حملت مجلة
البيان الكويتية (ص ٣٧ العدد ٧٤
« مايو (أيار) ١٩٧٢ ») رسالة
من القصصي المصري إلى مؤلف الكتاب
تحمل اغتيابه بهذا الرأي ، وهذا
الكتاب ، ولهذا فإني أدعو القصاص
الباحث الدكتور « محمد حسن
عبد الله » إلى المشاركة في حوارنا
الجاد حول منطلق فن عسائدي ،
وأدعو الصديق الأستاذ محمد العزب
إلى موازنة ذلك بما رأى ، واقتطف
هذه الكلمات من صورة لرسالة نجيب
محفوظ (ولم أجد تناقضا بين أحكامكم
وبين نبض قلبي ، ولعل الاضطراب
النائض بين قراءة أدبي أحيانا مصدره
أن قلبي يجمع بين التطلع لله والإيمان
بالمعلم والإيثار للاشتراكية) .

التصور الثالث :

وانتقل من هذا الاستطراد إلى
تصور يتصل اتصالا وثيقا بالنتيجة
التي انتهينا إلى شاطئها ، وهي افتقار
الأديب إلى خلفية عقائدية استجابة لما
عليه مجتمعنا ، هذا التصور هو :

لقد نشأت مذاهب ومدارس
واتجاهات فنية متعددة في مختلف
العصور ، بدءا من الكلاسيكية حتى
اللامعتول بما تضمنه هذا الإنتاج
البشري الضخم من مذاهب أدبية
وفنية لها مبادئها ومناهجها ومواقفها
ورجالها وإنتاجها ، فهل حفل نتاجنا
الفني بمثل هذا ؟ هل استطاع واحد
كالدكتور طه حسين أو عباس محمود
المعقود أو توفيق الحكيم أن يقدم موقفا
فنيا وفلسفيا يتكئ على رصيد ثابت
من الاستيعاب والدرس والتأمل
والإعطاء ؟ رغم محاولة الأخير في
كتابه « التعادلية » .

وأشهد أن من قبلي من أشار إلى
مثل هذا التساؤل وهو الشاعر

تقطع الثلج ، وإنما اقصد اللقاءات
الفكرية المتجددة المستمرة بين هؤلاء
الأدباء في مواسم ونادى ومجالات
وصحف ، إن على الأديب التونسي أن
يلتقى بالأديب الفلبيني ، والأوغندي ،
والباكستاني ، إن شيئا من ذلك لم
يحدث ، فكان كل أديب في واد ،
يصور من منبع خاص ، ويصب في
مصب خاص ، مسخت ملامح الأديب
العقائدي في أخطر لحظات المواجهة
الحضارية العصرية .

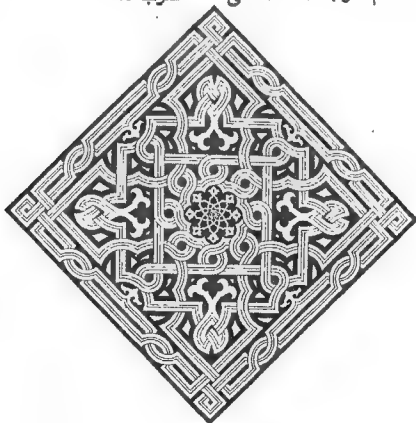
وفي نهاية الحديث فليأذن لي
الصديق الشاعر محمد أحمد العزب
أن أسوق تساؤلا أخيرا يطرح نفسه
قبل التساؤل الذي طرحه .

كيف نصل — بعد تحليل ودرس
واقمنا — إلى خلق مناخ أو خلفية
تساعد على وجود فنان عقائدي ذي
ملامح خاصة وأهداف حية ، ذلك
الفنان الذي يبحث عنه فناننا الأستاذ
العزب ١٩

يؤدي إلى نتيجة هامة هي شعور
الأديب بالسلبية واللامبالاة ، لأن
دائرة التفاعل التي يجب أن تتم بينه
وبين متلقى عنه لا توجد ، ولهذا فنان
ما يلتفاه من تأثر ، وما يرتد عليه من
صدى ، يصبح باهتا مخنوقا لا جدوى
وراءه ، واتصور أن الأديب الذي
يكتب ويكتشف أنه لا يوجد أحد يحس
به يستسلم بعد ذلك إلى حالة تخبط
فكري تسلمه إلى التقليد تارة ، وإلى
الجمود تارة أخرى ، بل قد تسلمه إلى
تية التخبط في دياجير الضياع .

التصور الخامس والأخير :

وهناك حقيقة هامة وهي أنه
تندعم — أو تكاد — تلك اللقاءات
الهامة بين أدباء الأقطار العربية
والشعوب الإسلامية ، ولا اقصد بذلك
تلك المؤتمرات والمهرجانات السريعة
التي تنعقد تحت لواء مناسبة أو
موضوع ما ، ثم تذوب كما تتلاشى



نظرات فنية سورة الاخلاص

للاستاذ : عبد العزيز العلي المطوع

الاستشعار بإثبات وجود الله سبحانه في كل مكان يليق بجلال قنسه وإحاطة عليه إذ لا يستطيع انسان ما أو أكثر ان يقول ليس معي احد (في حالة النفي) أو يقول لا يقدر عليّ احد (في حالة التحدي) لانه سبحانه مطلع على خلقه وهو معهم أينما كانوا « وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير » وفي الآية السابعة من سورة المجادلة « ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ، ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم » .

وقد جاء في سورة البلد آيات أربع ابتداء من الآية الرابعة حتى السابعة وردت فيها كلمة (احد) وهي : « لقد خلقنا الانسان في كبد - ايحسب ان لن يقدر عليه احد - يقول اهلكم ما لا ليذا - ايحسب ان لم يره احد » ولا يخفى ما في ذلك من الاستفهام الاستنكاري ، فكلية احد : للذوات العقلاء ككلية : من : وذلك كقولنا : من في البيت ؟ بمعنى : أي البيت احد ؟ وعليه فمعنى الآية « قل هو الله احد » انه سبحانه ذات واجبة الوجود مهيمنة عليه ، متسمة على عرش كل ذرة من ذراته ، او خلية من خلاياه ، كما جاء في ختام

قل هو الله احد : من البدهية والقطرة في الانسان وما وصل اليه من تعاليم الرسل الكرام : وحدانية الله الأزلية اللانهائية المفردة بذاته وصفاته سبحانه ، لا رب للصالحين غيره ، ولا إله يعبد بحق سواه .

ولعله أصبح من المألوف لدى الكاتب والمتحدث والسامع والقارئ جميعا ، ان معنى كلمة احد هو (واحد) ولكن في معناها ما هو أعمق من ذلك ، حيث لم يأت في اللفظة ان معنى لفظ (احد) هو (واحد) الا اذا كان اللفظ مضافا كما في احد الناس او إحدى النساء وكذلك في الأعداد المركبة كاحد عشر أو إحدى وعشرين .

وتأتي كلمة (احد) للذوات العقلاء في ثلاثة مواطن : الإثبات ، والنفي ، والتحدي ، أما الإثبات فانه لم يرد بالنسبة لمخلوق إلا في القليل النادر ، كان يقول قائل : ليس في البيت احد (في حالة النفي) فإذا سمعه فرد أو أكثر في الدار قال : - نحن هنا : ردا على هذا النفي غير الصحيح ، وبغير ذلك لا اعتقد ان لها في باب الإثبات مجالا آخر .

وقد افتتحت سورة الاخلاص بالإثبات وهذا امر خاص بالله سبحانه ومن هذه الآية يتبين ان الله ذات واجبة الوجود ولا يصح إثبات الوجود المطلق إلا لله وحده ، كما لا يصح النفي على الإطلاق إلا مع

سورة يس : « فسيحان الذى بيده ملكوت كل شيء وأليه ترجعون » وبيده سبحانه ناصية كل دابة ، مصداقا لقوله جل شأنه فى سورة هود « أنى تؤكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو أخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم » (الآية ٥٦) وقوله سبحانه فى سورة المؤمنون : « قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون » (الآية ٨٨) .

الله الصمد : والصمد من يصمد لجميع ما يحتاج اليه الخلاق ويحفظها ويهيئ عليها ، وتطلق لفظة ايضا على من لا خوف له فلا ياكل ولا يشرب ولا يحدث له ما يترتب على الاكل والشرب ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، ومن معانى الصمد انه صامد للوجود كله وتصمد اليه جميع الخلاق ، وقد اورد بعض المفسرين فى تفسير كلمة الصمد ، انها تشمل صفات الكمال كلها لله جلت عظيمته ، فاذا ما وجب علينا فى حالة التقى الاستشعار بوجود العلى القدير وجود هيمنة وعلم ، وجب علينا ايضا الاعتقاد بان هذا الوجود لا يعتريه نقصان ولا زوال ولا تأخذه سنة ولا نوم « ما تكون فى شان وما تكلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا اصفر من ذلك ولا اكبر إلا فى كتاب مبين » (الآية ٦١ من سورة يونس) .

فاذا قال فرد او اكثر مثلا وهو يتناول طعامه (انه لا ياكل معى احد) فالجواب على ذلك هو الله احد معك ولكنه صمد منزّه عن الاكل والشرب ، وعن كل ما لا يليق بجلال عظيمته سبحانه وتعالى ، وفى باقى هذه السورة ، ما يؤيد المعنى المتقدم فكما انه جل شأنه لا ياكل ولا يشرب فانه

لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد .

ولعلنا نستطيع ان نقول خلاصة لما تقدم انه سبحانه منفرد بالعلو اللانهاي فى غير بعد وبوجدانية صمدانية خلاقة وسعت كل شيء رحمة وعلما ، غنية عن الكفاء قادرة على الاسداع والحفظ والاعادة ، صامدة للوجود كله ، لا محل فيه لئان كند او كفو ، « ان كل من فى السموات والأرض الا أتى الرحمن عبدا . لقد احصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتية يوم القيامة فردا » الآيات (٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ من سورة مريم) .

وحدانية كمال مطلق غير محدود ، وليست وحدانية عدد لان الواحد فى الحساب قد يغيب الفلة كما يغيب الرقم الاول فقط تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا « هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم » .

وكما جاء فى ختام سورة (الاخلاص) « ولم يكن له كفوا احد » ومن آية الكرسي فى سورة البقرة « يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم » وقوله ايضا « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » على ان الوجدانية القاهرة موجودة فى كل آية من آيات كتاب الله ولا سيما السور الثلاث : الفاتحة ، والناس ، والفلق . وفى البسملة توحيد ، وفى قراءة الحمد لله رب العالمين توحيد ، وكذا الشان فى كل آية بعد ذلك .

وقد جاء فى الاثر ان فى سورة الاخلاص صفة هذه الوجدانية وانها انزلت عندها قال العرب لختام رسل الله صف لنا ربك .

على ان هذه الوجدانية موجودة بالفطرة فى كل انسان عاقل يؤيدها العلم كلها تقدم ، فالانسان هو وعاء

العلم وبالعلم فضل آدم على الملائكة الكرام في الألا الأعلى .

ومعنى ازدياد العلم في الإنسان محاولة اكتشاف علم ما وراءه وهنا نتساءل : اذا كان ولا بد من الاعتقاد بأن وراء علم هذا الإنسان علوما واسعة لم يصل الإنسان الا الى النذر اليسير منها — فان ذلك يوحى للعالم ان وراء هذا الكون مكتوبا ووراء هذا الابداع مبدعا يحاول الإنسان جهده ان يكتشف ما يستطيع ان يكتشفه من أسرار ومكنونات ، ومن أبسط الامثلة سؤال يطرح نفسه فهل لك ايها الانسان رأى او مشاركة في خلق او في نظام ذرة واحدة من ذرات الكون اليابسة او خلية واحدة من خلاياه الرطبة ؟ فاذا كان الجواب لا : فمن هو ذا يا ترى ؟ وانه لتغلب الحيرة والبلبلة والظنة على الكثيرين ، فيسبون ما يعتقدون وجوده قوة خارقة ، وعلم ما وراء الانسان — بالطبيعة تارة ، والالهيّة تارة اخرى ، والدهر ثالثة ، مع انهم لم يأتونا بوصف او كنه لهذه الطبيعة او الدهر او الالهيّة .

والسؤال الذي يفرض نفسه اذا كانت هذه الطبيعة او الالهيّة او الدهر او غير ذلك من المسميات عاقلة قادرة سمعية بصيرة عالمة موصوفة بصفات الكمال كلها ، تنشيء وتطور وتكون وتبدع وتنظم وتحفظ ، فماذا نسميها اذا لم نسمها الله ؟ والفرق بيننا وبينهم اذن هو مجرد التسمية ، والمعبود بحق عندنا هو القوة المبدعة لهذا الوجود والمهيمنة عليه والمنظمة الحافظة له التي نسميها : الله — فاذا سماها الآخرون بلغاتهم باسم آخر فلا يضير ذلك عقيدة التوحيد بشيء وقد قال القدمون من قبل ما قاله الطبيعيون « تشابهت قلوبهم » وذلك كما جاء في الآية ٢٤ من سورة الجاثية : « وقالوا ما هي الا حياتنا

الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم إلا يظنون » .

وقد جاء في الاثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله » اما اذا كانت الطبيعة كما يعتقدون صماء عمياء جاهلة ، فان غاقد الشيء لا يعطيه ، وكيف خلقت لنا الطبيعة سمعا وبصرا وهي لا تعرف السمع والبصر ؟

على ان العلم والفطرة كفيلا بتوكيد وجود الخالق العظيم في تصور كل انسان سواء ام ابى ، والعلم يهدي للآيمان مصداق قوله سبحانه في (الآية ٢٢ من سورة الروم) : « ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السننكم والوانكم ان في ذلك آيات للعالمين » . (وفي الآية السادسة من سورة سبا) :

« ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد » . (وفي (الآية ٢٨ من سورة فاطر) : « ومن الناس السدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزير غفور » .

وقال جل شأنه : « قل آمنوا به او لا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخشون للاذقان سجدا » (الآية ١٠٧ من سورة الاسراء) .

وقال سبحانه : « وليعلم الذين أوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم » . (آية ٥٤ سورة الحج) .

وحدة الدين

وَمُمَيِّزَاتِ الْإِسْلَامِ

لِلأستاذ محمد محمد أبو خوات

الأعمال في نطاق التشريع الإسلامي هي الشطر الثاني من شطري الدين ، والشطر الأول هو العقيدة إذ « الإسلام عقيدة وعمل » ، ولما كان العمل هو المظهر الانفعالي لما يسمعه الإنسان ويراه ، أو لما يمتنقه ويؤمن به ، كان الجزاء الدنيوي والحساب الآخروي على ما عمله الإنسان هو مناط التفاضل — ولو في الظاهر — بين إنسان وإنسان . قال تعالى : « وتلك الجنة التي أوردتهموها بما كنتم تعملون » (٧٢ — الزخرف) وقال تعالى : « وقل اعملوا فسمي الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » (١٠٥ — التوبة) ، ولقد كان

العمل في نطاق الدين مظهر شكر الله على جزييل نعمه على الشاكرين ، جاء ذلك فيما يفهم من قوله تعالى : « اعملوا آل داود شكرا ، وقليل من عبادى الشكور » (١٣ - سبا) ولقد فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين رجلين وصف أحدهما بالكياسة ووصف الآخر بالعجز ، وما ذلك إلا بسبب اختلافهما من حيث العمل . قال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه الترمذى عن أبى يعلى شذاد بن أوس : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى » . . .

فللعمل — اذن — في الإسلام خطره وأثره ، ويتقوى هذا الأثر والخطر أو يضعف كل منهما بقدر مدى ارتباط العمل بمبادئ الشريعة تقربا وبعدا وقوة وضعفا . .

فالعمل الذى مبعثه وغايته كلاهما طاعة الله ورسوله يسمى عملا شرعيا أو مشروعيا يستند الى ما شرعه الله تعالى في كتابه الكريم وما بينه رسول الله في سنته الصحيحة ، وهذا النوع من الأعمال هو ما نريد الحديث فيه لنقرر أن الإسلام في تشريعه الحكيم ، لم يخرج على القاعدة التى قررناها في حديثنا ذاك حين تحدثنا عن العقيدة فقلنا : « إن العقيدة التى يدعى الخلق في اعتنائها ينبغي أن تتسلاق مع نظرتهم وطبائعهم الأساسية التى لا يلحقها الاختلاف إلى حد التناقض » وكذلك لنبرر بما وعدنا به آنفا من بيان أسلوب الإسلام في أساس التكليف ويسر الإسلام ومساحته في هذا الشطر الهام وهو الشريعة : —

١ — كان أسلوب الإسلام في دعوته لتقبل التشريعات الإسلامية مواثبا لطبيعة الانسان على نحو بين واضح ، فنجدته تارة يأتى بالحكم ثم يأتى بالعلة والحكمة التى ما يكاد المكلف يعرفها حتى يذعن في يقين وحب وإقبال على الالتزام بالحكم عن رضا وطواعية ، وفي هذا المجال قد يأتى بالعلة عامة تصلح لموضوع الحكم ولغيره ، وقد يأتى بالعلة خاصة بالموضوع الذى يصدر الحكم فيه . . من الأول قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم . . لعلمكم تتقون » ومن الثانى قوله تعالى في حكم آخر من أحكام الموضوع « ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر . . يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ، ولتذكروا الله على ما هداكم ، ولعلمكم تشكرون » . . وأكثر ما يكون هذا اللون من التعليل في الأحكام التى لا يتقبلها غير المؤمن بسهولة ، فمحتاج الى اسباب في التعليل ولعل ذلك من طبائع الأشياء . ومنه قوله تعالى : « وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » . فلما كانت النفس تنفر بطبيعتها من الفحشاء ولا تقبل تلقائيا على ما تنكره النفوس ذات الطبع السليم ، كان نزوعها الى العمل الذى ينأى بها عنها أمرا حبيبا إليها تكاد تتوق إليه . . وذلك كله وغيره من مختلف التكليفات والأحكام الشرعية ينطلق من أصل واحد وهو قوله تعالى : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » وقوله صلى الله عليه وسلم : « إن الدين يسر ، ولن

يشاد الدين أحد إلا غلبه » .. ومن هنا فإتينا ملاحظ أن أحكام الاسلام جاءت ملائمة لقدرات الإنسان كإنسان شأنه أن يكون قادرا على أداء هذه التكاليف في يسر وسهولة ، فإذا عرضت له أحوال أو نزلت أحداث تعوق أو تضعف قدرته على أدائها كان له هو بالذات حكم آخر يتواءم مع حاله انضواء تحت القاعدة الكلية : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » .

وينبغي هنا أن نبين ما لا بد من بيانه في فهم هذه القاعدة .. لا بد أن نفرق هنا بين حاليين ..

١ - أن يكون عدم السعة ناشئا عن عجز خلقي أو مرضي وبعمامة « لا يصنعه الإنسان لنفسه » .

ب - أن يكون عدم السعة والضيق بسبب تصرف خاطيء تصرفه المرء بثقة خارج نطاق التدبير الصحيح . فمن خلقه الله غير مستطيع أن يركع أو يسجد لعجزه الخلقي . أو غير مستطيع أن يفسل وجهه بالماء مثلا لمرض في وجهه .. سقط عنه التكليف بالأمرين مدة عجزه عنهما بغير معصية .. أما الرجل الذي أدمن الخمر حتى صارت إحدى خصائصه ، أو المرأة التي تضع الأصباغ ذات الجرم على أظفارها أو تكوى شعرها فلا يستطيع الأول أن يؤدي فرائض الدين ، ولا تستطيع المرأة أن تتطهر من الحدثين أو أحدهما ، ثم يقول كلاهما : الدين يسر ، .. لا يكلف الله نفسا إلا وسعها فهذان وأمثالهما لا يدخلان تحت هذه القاعدة لأنهما يتصرفهما الخاطيء أوتما أنفسهما في الضيق . ونخلص من ذلك بأن أسلوب الاسلام في رسم أساس التكليف بالأعمال إنما يقوم على أنه : لا تكليف بما لا يطاق على العموم أو على الخصوص على سواء .

٢ - أما يسر الاسلام وسماحته في هذا الجانب « جانب التشريع » فإمر لا تدرك غايته وإليك القطر من البحر بما يتناسب مع المساحة التي لا ينفي أن نطمع في أكثر منها لئلا هذا الخال ..

من حيث النصوص العامة التي تؤيد ذلك وتؤكدسده ما سبق أن استشهدنا به من قوله تعالى : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » .. وقوله صلى الله عليه وسلم : « إن الدين يسر » وفي التطبيق العملي نجد الكثير الكثير : - ففي الصلاة مثلا تعطى الفرصة للمسافر ليقصر الصلاة الرباعية فيصلي الظهر والعصر والعشاء ركعتين في كل منها بدل أربع ، وفي حال الخوف والقتال تربصا أو فعلا تؤدي الصلوات على وجه يتناسب مع الحال التي عليها الجيش ، حتى إذا انتهى القتال وأطمأن المسلمون عاد أمر الصلاة إلى ما كان عليه . وفي هذا المعنى يقول الله تعالى : « فإذا قضيتُم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم .. فإذا أطمأنتم فأتيتوا الصلاة » ... وفي حال المرض يصلي المريض قاعدا فإذا لم يستطع يصلي مضطجعا فإذا لم يستطع يصلي راقدا فإذا لم يستطع حرك ما يستطيع من

أعضائه فإذا لم يستطع شيئا من ذلك أجرى أركان الصلاة على قلبه حتى يظل — وبخاصة في حال المرض — قريبا من ربه ذاكرًا فضله شاكرا له سبحانه غير كافر وذلك غير ما يباح له من التيمم والمسح إذا لم يجد الماء أو عجز عن استعماله كما هو معروف . وفي الصيام مثلا رخص الإسلام للمريض والمسافر بجواز فطر كل منهما مع القدرة ، ووجوبه مع العجز أو تحقق الهلاك ، ولم يجز للمرأة أن تجمع بين أسباب ضعفين : ضعف الجوع الذي يمنع مدد الدم المتجدد للبناء والحركة ، وضعف النزف الذي كتبه الله على بنات حواء فحرم الصيام على المرأة حال الحيض والنفاس ، وأباح لها أن تفطر حال الحمل أو الرضاعة أن خافت على نفسها ، ولم يضيق في أمر الصيام على الشيخ الغايب والمرأة المعجوز وغيرهما من كل من لا يطيق الصيام . . وفي الحج كان أمر المسلمين كما جاء في حجة الوداع أسير بكثير مما يفعله الحاج بنفسه في العهود المتأخرة ونكتفي في هذا بذكر ما حدث يوم النحر في منى حين كان 'واحد من الصحابة يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله . رميت ولم أذبح . . فيقول له : اذبح ولا حرج . ويأتي الآخر يقول : يا رسول الله ذبحت ولم أرم . . فيقول له : أرم ولا حرج . . يقول راوي الواقعة : فما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم يومها من شيء إلا قال : افعل ولا حرج . . ولقد كان يحلو لبعض المسلمين من الزهاد أن يتباروا في الزهد حتى ليخرجوا عن حد المألوف والمعتاد وحتى ليصلوا في عملهم إلى درجة تصحح وصفهم بالمتنظمين ، فيقول النبي صلى الله عليه وسلم عنهم : هلك المتنطمون (ويكرها ثلاثا) والمتنظمون هم المتشددون في غير موضع التشدد . وأرى أن منهم من يقيد المباح بقيد يؤدي إلى التضييق على الناس بزعم أنه الطريق الصحيح ولا صحيح سواه ، ومنهم كذلك من يجعل أمر السنة كأمر الفريضة يحاول أن يلزم بها نفسه وهو في الواقع غير مستطيع .

ولقد وصل بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عهده — إلى الحد الذي يرغبون عنده أن يكونوا في عبادتهم وتقواهم أكثر من رسول الله نفسه ، فآلزموا أنفسهم بما لم يلزمهم به الله ولا رسوله — زهدا منهم ورغبة في رضا الله تعالى . . يروى أنس رضي الله عنه قال : — جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها (يعني اعتبروها قليلة) . .

وقالوا : أين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر !!! قال أحدهم : أما أنا فاصلى الليل أبدا . . وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر أبدا ولا أفطر . . وقال الآخر : وأنا أمتزئ النساء فلا أتزوج أبدا . . فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا !!! أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم

له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن
بنتى فليس منى .

ومن هذا القبيل ما رواه أنس رضى الله عنه أيضا من أن النبى صلى
الله عليه وسلم دخل المسجد فإذا جبل ممدود بين السارينين ، فقال :
ما هذا الجبل ؟ قالوا هذا جبل لزينب (بنت جحش أم المؤمنين) . . . تقوم
تصلى فإذا فترت قامت فتملقت به . . . فقال النبى صلى الله عليه وسلم :
حلوه . . . ثم قال : ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر (تعب) فليرقد . . .
ولقد بلغ من حرص رسول الله على تثبيت أن الإسلام يسر فى نفوس
أصحابه أنه كان يتابعهم فردا فردا فى هذا المعنى حتى تستبين شمسائر
الإسلام من بعد الدينين السابقين بها فيها من تشديد لى التكليف أو
تشدد وتنطع سدا لطريق التدين الصحيح أمام السالكين لى ذلك ما رواه
عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . .
قال : أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أنى أقول : والله لأصومن النهار
ولأفومن الليل ما عشت . . . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألم
أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل ؟ قلت بلى يا رسول الله قال : فلا
تفعل . . صم وأفطر ، ونم وقم ، فإن لجسدك عليك حقا وإن لعينك عليك
حقا وإن لزورك عليك حقا وإن لزورك عليك حقا ، وإن بحسبك أن تصوم
فى كل شهر ثلاثة أيام ، فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها ، فإذا ذلك صيام
الدهر . . .

ولقد جعل عبد الله بن عمرو هذا يناقش رسول الله حتى انتهى معه
الى أن يصوم يوما ويفطر يوما طول الدهر محتجا بأنه يطيق ذلك . . فلما
أطال الله عمره وأحمس بضعف الشيخوخة وعجز الكبر قال : يا ليتنى
قبلت رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم . . وفى هذا المعنى نريد أن
نتفهم أن البشر فى الإسلام ليس مبعثه عدم الحث على كثرة الطاعات
ودوام العبادات وإنما مردّه أمران : الأول أن رسول الله قد تعلم من ربه
أن النفس البشرية سريضة الملل ، وتعتورها أحوال ضعف لا تطيق فيها
دوام الأعمال المرهقة فأنخبرنا بأن أحب الدين إليه ما دوام عليه صاحبه ،
وكان يقول فى ذلك : عليكم بما تطيقون ، فوالله لا يمل الله حتى تملوا . .
ولما كان جبل النفس على ما يتعارض مع ما فطرت عليه يؤدى الى الانقطاع
والملافة وربما يؤدى الى حديث النفس بما لا يجوز ، كان التيسير عليها
وعدم إلجائها الى ما لا تطيق هو الطريق الصحيح الى تربيتها بالحب
والطاعة من رضا وقبول . . . الأمر الثانى : أن هذه الرسالة لم تنزل
ليتبعها قوم بأعينهم ولا جيل من الزمان بعينه ، فكان مما لا بد منه لتحقيق
ذاتها أن تكون مبنية على التيسير والتخفيف حتى يكون فيها زاد لكل مرتحل
وطريق لكل مسالك وأمل لكل عامل سواء فى ذلك جيل نزول الرسالة وما
تلاه أو يتلوه من الأجيال الى قيام الساعة . . . وبسبب هذين الأمرين
كليهما أو أحدهما وردت أحاديث كثيرة فى بيان أسباب تحصيل الخير وما

يجعل ذوى النوايا الطيبة الذين لم يفرقوا فى الشرك والوان المعاصي اكثر
أملا فى عفو الله ومغفرته واستحقاق رحمته ولنقرأ أحد هذه الأحاديث
عن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « على
كل مسلم صدقة .. قال : أرايت إن لم يجد ؟ قال يعمل بيديه فيمنع نفسه
ويتصدق .. قال : أرايت إن لم يستطع ؟ قال : يعين ذا الحاجة الملهوف ..
قال : أرايت إن لم يستطع ؟ قال يأمر بالمعروف أو الخير .. قال : أرايت
إن لم يفعل ؟ قال : يمسك عن الشر فانها صدقة » .. أخرجه الشيخان .

ولنتظر معى أيها القارىء : أين من هذا اليسر ما كانت تشقى به
جموع اليهود من جفاف فى العقيدة ومشقة بالغة فى تنفيذ الأحكام التى
كلفوا أن يقوموا بها عقابا لهم على شئ . الذنوب التى ارتكبوها فى حق
الله نفسه وفى حق الأنبياء وفى حق الشعوب وفى حق أنفسهم ، وأين من
هذا التيسير ما ألزم النصرارى به أنفسهم من إلغاء طبيعة الانسان التى
تقتضيه أن يبحث ويفكر ثم يعمل ثم يقتنع أو يفعل ، ومن إبطال حق النفس
فى أن تأخذ بحقها اذا ظلمت ، ومن تحريم الوان من اليسر الذى أحاط
الاسلام به شئون الأسرة الى غير ذلك مما لا يحصى ، وصدق الله العظيم :
« الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى
التوراة والانجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات
ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم » .
والله سبحانه وتعالى يختم كبرى سور القرآن (البقرة) بآية واحدة تبدأ
بالقاعدة وتفرع عليها أمور فى صورة دمسوات تدل على كل ما قلناه :
« لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا
لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطانا ، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على
الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » .. هذا — كما تقدمت —
قطر من بحر ، والمراد به أمثلة توضح ما قصد من العنوان الأول : « وحدة
الدين ومميزات الاسلام » ولعلنى أكون قد أوضحت .



منهج التربية في الإسلام

والإنسان مزيج من الماديات والمعنويات ولستخدام الإنسان لطاقاته كلها يحدث ترازوا بين مادياته ومعنوياته ذلك لأن طغيان ناحية على ناحية يحدث أنواعا من الشذوذ على النحو الذي نراه في المجتمعات الحديثة . فالتربية المتوازنة من الخصائص الواضحة في منهج التربية الإسلامية .

ولقد عنى الإسلام بالطفل المسلم عناية كبيرة من قبل أن يولد وذلك بأعداد البيئة المناسبة التي يتكون فيها ويتربى بين أحضانها تلك هي البيئة التي تعنى به وتهيشه ليكون فردا سويا قائما بواجبه نحو نفسه ونحو أسرته ونحو مجتمعه ونحو البشرية ونحو ربه الذي خلقه ، وبذلك يستشعر الرضا والسعادة فاشترط في اختيار الوالدين الذين فقال النبي عليه الصلاة والسلام في اختيار الزوج : (إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) .

وقال في اختيار الزوجة : (تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك) .

رسم الإسلام للتربية منهاجا متكاملًا يشاغل الإنسان من جميع نواحيه بحيث لو طبق تطبيقا سليما . لخرج للمجتمع الإسلامي المسلم المتكامل السوي الذي يستطيع أن يحقق هدف الإسلام من التربية ، ذلك لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الإنسان فهو أعلم به وباحتياجاته الجسمية والنفسية والاجتماعية ، وهو الذي أرسل رسوله الكريم بمنهج التربية المتكامل الذي عنى بجسم المسلم ، كما عنى بروحه وعقله مراعيًا في كل ذلك استعداداته وخصائصه واحتياجاته .

والإنسان خلقه الله سبحانه وتعالى ليكون خليفة له في الأرض يقوم بتعميرها ونشر الأمن والعدل والسلام فيها (وأذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) ولذلك فقد كان أساس التربية الإسلامية دوام صلة المسلم بالله سبحانه وتعالى وكان المسلم القريب إلى الله ليس هو صاحب المال ولا صاحب الشرف ولا صاحب المنصب بل كان هو الذي يسير على النهج الذي أراده الله سبحانه وتعالى (إن أكرمكم عند الله اتقاكم) .

الأستاذ : على القاضي

ولذلك كان المؤمن القوي خيرا وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، كما يقول النبي عليه السلام ، ولذلك فقد أباح الطعام وبين المنهج الذي يسير عليه الاسلام في هذا بحيث يستفيد الجسم منه الفائدة الكاملة وبحيث لا يزيد عن حاجته فينتج منه الضرر ، فالغذاء وسيلة لا غاية ، وسيلة تنبه المسلمين الى العناية بالاساليب التي تقوى الجسم وتبهيء المسلم لرسائله كالسباحة والمصارعة والفروسية وطلب أن يعود الانسان الخشونة « واخشوشنوا فان النعيم لا يدوم » . كما أن الاسلام وجه ويريد أيضا ذرية صالحة تؤدي وظيفتها في هذه الحياة فنظم الجنس لتكون ممارسته في الحدود التي رسمها الاسلام حتى يضمن النظافة والاعتدال . ذلك لأن الانسان أفضل مخلوقات الله سبحانه وتعالى وقد كرمه ربه فبين له كيف يرتقي بطاقاته كلها ويوفرها لاداء رسالته في هذه الحياة وعمل على حفظها من الهبوط والانطلاق في لذات الحياة ، فان ذلك يستنفد الطاقة ولا يترك رصيدا للقوة التي يؤدي بها المسلم رسالته في هذه الحياة . ومن هنا فقد عمل الاسلام على

في هذه البيئة الصالحة ينشأ الطفل ويتربى على الأساس الذي رسمه الاسلام يتربى جسمه وتربى روحه ويتربى عقله .

تربية الجسم في الاسلام :-

لكي يؤدي المسلم وظيفته في هذه الحياة لا بد وأن تكون صحته سليمة وعضلاته قوية وحواسه تؤدي وظيفتها على أكمل الوجوه بحيث يؤدي كل عضو من أعضاء الجسم وظيفته وبحيث يكون هناك تناسق بين ذلك كله يؤدي الى حيوية الجسم والى طاقته الفعالة والى الاستفادة من ذلك كله والا فما فائدة الحواس اذا لم ينتفع الانسان بها الانتفاع المسلم الذي يميزه عن غيره ممن الكائنات ؟ ما فائدة العين اذا كانت لا ترى الحقائق التي أمامها وما فائدة الأذن اذا كانت لا تسمع ما يفيدها في حياتها وفي آخرتها ؟ ولذلك نعى القرآن الكريم على هؤلاء الذين (لهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها) وقال عنهم (أولئك كالانعام بل هم أضل) . والاسلام يريد أجساما قوية يمكن أن تؤدي واجبها في المجتمع الاسلامي

عميقة ذاتاً أثر واضح في حياة الإنسان وفي سلوكه فتكون قائمة على أساس إيجاد الصلة القوية بين القلب البشري وبين الله سبحانه وتعالى قائمة على خطة سلوك وعمل وفكر وشعور بحيث تدفع القلب البشري إلى الرجوع إلى الله في كل لحظة وهذا هو الضمان للمسلم في عقد هذه الصلة .

وعباداة المسلم معناها أن يسير في الطريق الذي رسمه الإسلام فالقلب يحمل شحنة قوية من الايمان والصلة بالله تدفعه إلى العمل الإيجابي الذي يريده الإسلام وكل عمل في حياة المسلم يمكن أن يكون عبادة ما دام قد نوى ذلك (إنها الأعمال بالنيات) فالجهاد عبادة والسعى على العيال عبادة ومساعدة المحتاج عبادة وأداء الواجب عبادة وحتى الشهوة التي يرضها الإنسان في حلال عبادة .

والروح هي الطاقة التي يفصل الإنسان بها بالغيب المحجوب عن الحواس . ووظيفتها الاتصال بالله سبحانه وتعالى فهي تبتس من الله عز وجل (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) .

وطاقة الروح لذلك كانت أكبر طاقات الإنسان التي تؤثر في سلوك الفرد كما تؤثر في سلوك المجتمع ولذلك فقد عني الإسلام بتربيتها بطريقة مريدة وذلك بعدد الصلة الدائمة بين الروح وبين الله سبحانه وتعالى بحيث يجعل هذه الصلة في كل لحظة وفي كل عمل من الأعمال التي يقوم بها الإنسان في حدود طاقاته وامكاناته (ماتقوا الله ما استطعتم) وهذه الصلة تقتضى أن يكون العمل كله خالصاً لله سبحانه

تربية القوة الضابطة في المسلم وتمييزها منذ الصغر - والصيام مثل واضح لوسيلة من وسائل الضبط التربوية التي شرعها الإسلام فالمسلم الذي يمتنع مختاراً عن كثير من لذائذ الحياة المباحة يتعود على الارتقاء عن رغبات نفسه فيحقق بذلك كيانه وقوته وذاته ولا يصبح انساناً بغير قوة أو ارادة أو يفقد كيانه في ناحية من النواحي التي لا يستطيع أن يغلب فيها على نفسه وذلك مالا يرضاه الإسلام لفرد من افراده .

والاسلام لا يترك قلب المسلم يعيش في فراغ بل يربطه بالله سبحانه وتعالى وذلك « بمراقبته في كل عمل من أعماله يربطه بتقواه التي يتسع معناها لتشمل كل شيء يقوم الإنسان بعمله .

كما يربطه باليوم الآخر الذي فيه الجزاء الأوفى ذلك لأن الإنسان إذا أحس بأن الحياة الدنيا هي الفرصة الوحيدة له أنطلق ينهل من لذائذها قبل فوات الأوان وإلا فهاته قد خسر بذلك كل شيء .

لكن الإسلام يبين للناس أن الحياة الدنيا مادية وأن مقامها قليل (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا يظلمون شيئاً) .

تربية الروح

نعني بالتربية الروحية طريق التعرف على الله سبحانه وتعالى والاتصال به لتحقيق هدف الإنسان في الأرض فالله خلق الجن والإنس لعبادته والطريق الذي رسمه الإسلام كله عبادة . . . عبادة لا تكون مظهراً من المظاهر بل لا بد وأن تكون

وتعالى والله لا يقبله الا اذا كان كذلك وهو بهذا يرفع من الضعف البشرى للانسان فيحميه من الانحدار الى مصاف الحيوانات ويبين له ان الله هو السند الحقيقي له وانه هو الذى بيده كل شيء وان الناس لا يملكون له نفعا ولا ضرا ولا يملكون له مونا ولا حياة ولا نشورا . وفى ذلك يقسول الرسول الكريم لعبد الله ابن عباس (احفظ الله يحفظك . احفظ الله تجده تجاهك . تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة . واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على ان يضروك لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك . رفعت الاقلام وجنت الصحف) .

فماذا ما حدث للانسان شيء يكرهه فقد يكون فيه الخير وهو لا يعرف وعليه ان يطمئن الى ذلك (وعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) بل ان الشيء الذى يحبه الانسان قد يكون فيه شر وعلم ذلك كله عند الله سبحانه وتعالى الذى يتولى اموره بالمانية والرمية وهو الذى يختار له الخير ما دام ملتجئا اليه وحده (وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون) .

وكل ما يصيب الانسان بعد ذلك له ثوابه عند الله تعالى حتى الشوكة يشاكها المسلم لها ثوابها وبذلك يستشعر الرضا الذى يشيع على جياته الايمن والطمانية وهذا ما تفقده المجتمعات الحديثة ، وذلك أسس ما يحتاج اليه الانسان فى هذه الحياة .

تربية العقل

العقل البشرى من الطاقات التى

انعم الله بها على الانسان يتبين هذا فى قوله تعالى (قل هو الذى انشاكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) ولقد استطاع الانسان فى العصر الحديث ان يستخدم عقله على نطاق واسع فاكشف اشياء كثيرة استخدمها استخدامها واسعا فى المجتمع البشرى ولكن تربيته لم تكن متكاملة ، ولم يكن له رصيد روحي يوجه هذه الطاقة وتلك الاكتشافات الى الخير ، ففتن بما وصل اليه وطغى وتجبر ونتيجة ذلك كله ان البشرية أصبحت تعيش فى مشكلات لا نهاية لها يفتنى الانسان بدل ان يسعد واصبح العقل نقية على البشرية بدل ان يكون ثمة تنفيع به ، والاسلام يهدف الى سعادة الانسان والى اقامة الحياة فى الارض على اساس من الحق والعدل فعمل على اصلاح القلب البشرى ووجهه الطاقة العقلية الى القابل فى حكمة الله سبحانه وتعالى (فحسبتم انما خلقناكم عبداً وانكم الينا لا ترجعون) كما وجهها الى حكمة الشريعة السدى انزله الله ليطبق فى الارض (ولكم فى القصاص حياة يا اولي الابصار لعلكم تتقون) وطلب من المسلمين ان يكون الحقائق الحق بالنسبة للناس جميعا حتى تستقر النفوس وتهب القلوب (واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) ولكي يكون لهذا المنهج غايلته واستمراره فقد جعل الاسلام كل فرد فى هذا المجتمع مسؤولا عن المحافظة عليه فى حدود امكاناته (كلهم راع وكلهم مسئول عن رعيته) وهذه المسؤولية ليست مسئولية سلبية بل هى ايجابية فالنصيحة مطلوبة (الدين النصيحة) والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فليسلنه فان لم يستطع فليقلبه وذلك اضعف الايمان)

مذهب إسلامي يقول (جب) في كتابه « الاتجاهات الحديثة في الإسلام » (اعتقد أنه من المتفق عليه أن الملاحظات التفصيلية الدقيقة التي قام بها الباحثون المسلمون قد ساعدت على تقدم المعرفة العلمية مساعدة مادية ملموسة وأنه عن طريق هذه الملاحظات وصل المنهج التجريبي إلى أوروبا في العصور الوسطى) .

كما يقول « بريفولت » في كتابه : (بناء الإنسانية عن أصول الحضارة الغربية) : لقد كان العلم أهم ما جاءت به الحضارة العربية على العالم الحديث ولكن كانت بطيئة .

ومما يميز هذا المنهج أن العلم سار في ظلال العقيدة فلم ينقطع عن الروح ولذلك لم يوجد بين الدين والعلم فجوة كتلك التي فراها في العالم الغربي .

وقد رفع الإسلام من شأن العلم والعلماء (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) وقد جعل النبي الكريم العلماء ورثة الأنبياء وحث القرآن الكريم العلماء أن يعلموا غيرهم لينتشر العلم (علوا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم) .

وهكذا يكون منهج التربية لمسي الإسلام منهجا متكابلا يعني بتربية الجسم والروح والعقل حتى لا تظني ناحية من النواحي ، وبذلك ينشأ المسلم سويا قوي الصلة بالله محققا لرسالته في هذه الحياة فيسعد المسلم وتسعد البشرية كلها .

بل إن هذه الأمة كانت خير أمة أخرجت للناس لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، فإن لم تسر على هذا المنهج فإنها ستكون كبنى إسرائيل الذين لعنوا على لسان داود وعيسى بن مريم لأنهم (كانوا لا يتقاهون عن منكر فعلوه) والمسلم مطالب بأن يكون مع الطبيب ولو كان قليلا وأن يعتمد عن الخبيث حتى ولو كان منتشرًا مع إعجاب الناس به لأنه تطور ومن مظاهر التقدم (قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث) .

والإسلام يقدّر الطاقة العقلية ويدربها ليستخدامها المسلم في الخير وقد وضع لذلك المنهج الصحيح للنظر العقلي فطلب تدبر نواميس الكون وتأمل ما فيها من دقة وارتباط ولذلك فقد نعى على الإنسان التقليد المطلق الذي لا يستخدم العقل (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون قال : أولو جنتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) .

لذلك تميز المسلمون بالدقة العلمية في أبحاثهم رغم قلة الإمكانيات التي كانت معهم .

والإسلام يوجه العقل البشري إلى أن يفتح بصيرته على عوامل التطور الحقيقية في المجتمعات ويستخدم طاقاتها الواعية في تدبرها والبحث عن أسبابها ونتائجها (أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) كما يوجهه إلى استخلاص الطاقة المادية وتذليلها لخدمة الإنسان (عايشوا في منابكها وكلوا من رزقه) .

والذهب التجريبي هو في أصله

وَعَلَى اللَّهِ

ليس لبني إسرائيل

الاستاذ : محمد عبد الرحمن عبد اللطيف

مقدمة :

تعتبر قضية فلسطين ذات أوجه متعددة يحار كاتب التاريخ بين الوانها المتنافرة فهي قضية شعب بقدر ما هي قضية أمة ، وهي قضية دنيا بقدر ما هي قضية دين .
وسأحاول في هذا المقام المحدود ان اتناول جانباً هاماً من جوانب هذه القضية ، وهو مناقشة الاساس الدينى الذى قامت عليه دولة اسرائيل ، وادعاءاتها المتكررة في كل اسفارها بوجود وعد إلهى أبدى يمنحها فلسطين وما حولها شرقاً وغرباً منحة أبدية دون التزام دينوى أو دنى .
وتد ورد الوعد الإلهى فى العديد من اسفار التوراة منحة من الرب إلى انبيائه ورسله وشعبه المختار ، وسيكون منهجى فى بحث هذه القضية مناقشة أركانها الآتية :

- ١ - الوعد الإلهى كمنطوق ورد فى اسفار التوراة .
- ب - إله يملك القدرة بجانب صفات الألوهية ليمنح هذا الوعد .
- ج - أنبياء يتحملون مسؤولية إبلاغ هذا الوعد وقيادة أمتهم لتحقيقه .
- د - شعب مختار ندينه السماء لتحقيق وعدها وموعودها .

وهذه الأركان تعتبر وحدة متماسكة لا بد من قيامها جميعا لتقوم قضية الوعد على أساسها .
وسنرى مدى صدق كل ركن من هذه الأركان من وجهة النظر الاسرائيلية ، ثم نبحت نفس هذه الأركان من وجهة النظر الإسلامية لتقييمها على أساس سليم من الصحة والصيق والوضوح بين العبد وخالفه وبين العبد وغيره من بنى البشر ، أو ما يمكن أن نسميه وعد ملتزم بسلوك ديني وديني .

الوعد الإلهي :

فى سفر التكوين يقول الرب لإبراهيم : (أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيرا كنجوم السماء والكرمل الذى على شاطئ البحر ويرث نسلك باب أعدائه ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض) .

ويتطور الوعد فى سفر التثنية ليقول لبني اسرائيل (كل مكان تدوسه أقدامكم يكون لكم من البرية ولبنان من النهر نهر الفرات إلى البحر الغربى يكون تخمكم لا يتف انسان فى وجهكم . الرب إلهكم يجعل خشيتمكم ورعبكم على كل الأرض التى تدوسونها كما كلمكم) .

ونحن نرى فى التوفجين السابقين وقد اخترتهما من عديد الصور والصياغات لمنطوق الوعد مدى ما يمكن أن نسميه التوسع الإقليمي الذى خططته اسرائيل منذ القدم فى أسفارها .

ولا بد أن نوضح هنا مسألة هامة ترتبط بقضية الوعد وهى أن الوعد الإلهي يرتبط دائما بنظرية الشعب المختار الذى لا يلتزم بأية ميزة أخلاقية أو دينية .

فى سفر التثنية يقول الرب لاسرائيل (إني يا اسرائيل شعب مقدس للرب إلهك إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب . التصق بكم للرب واختاركم ولا لانكم أكثر من سائر الشعوب بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذى أقسم لأبائكم) .

فنظرية الشعب المختار فى التوراة لا تقوم على أية ميزة أخلاقية أو دينية أو التزام من أى نوع ، فهى لا تقبل أى دفع من الدفع ، ولا يمكن محاسبتها بميزان العقيدة ، لأن الرب هو الذى أقسم أن يبر هذا الشعب مهما كان سلوكه ومهما كان إنحرافه .

وبدراسة السمات العامة لمنطوق الوعد فى التوراة نجد الآتى :

أ - الوعد يعطى لبني اسرائيل حق ملكية أرض فلسطين وما حولها ملكية تامة .

ب - هذا الوعد ليس قاصرا على إبراهيم ، ومن جاء بعده من الأنبياء ، وإنما هو لبني اسرائيل أبد الدهر .

ج - الوعد مفتوح لا حدود له ولا شروط وليس له أى التزام ديني أو أخلاقي سوى نظرية الشعب المختار .

د - تطور منطوق الوعد فى أسفار التوراة يجزم بالرغبة القديمة فى التوسع الإقليمي لبني اسرائيل .

هـ - خلا الوعد من أى ملول ديني أو التزام أخلاقي .

و — من الصياغات المختلفة لنص الوعد نرى أن الرب هو الذى يحفظ العهد للبشر وليس العبد هو الذى يحفظ عهد الله وهو وضع لا نجد له مثيلاً فى تاريخ الأديان والعقائد .

ونحن باستعراض هذه السمات ومع التسليم المطلق بعدالة الله واستحالة وقوع الظلم منه نرى أن الوعد بهذه الصورة يبعث على الدهشة لأن الله جيل شأنه إذا كان قد اختار شعباً وميزه وجعله خليفته فى الأرض فلا بد أن يتمتع على الأقل بميزة التدين ولكن التوراة نفسها تملأ بكل الموبقات الدنيوية والمراسم والطقوس الوثنية وموسى عليه السلام يقوده بنفسه إلى دنيا التوحيد فلا يكاد يصل من ذلك إلى شىء حتى أنه يكاد يضرع إلى الله فى القرآن حين يقول : (رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى) .

كما أن الله لا يمكن أن يعطى وعداً بدون مقابل أو التزام دينى يبنى به الاسرائيليون ولنا أن نصور شعباً يعيث فى الأرض فساداً ومعه صك بتأييد لا حدود له من جانب السماء فهو خليفة الله وسيد شعوب العالمين وهو مفهوم لا يستقيم مع تصور العدالة الإلهية .

كما أن الوعد لم يوضح لإسرائيل الخطة الواجب اتباعها لتحقيق الوعد وزمن تحقيقه حتى أننا لنعجب أشد العجب حين نرى أن التوراة أيام نبي الله سليمان عليه السلام تزخر بصيغ الوعد المختلفة ورغم كل ما وهبه الله من قوة وعظمة وملك ونبوّة لا يتحرك لتحقيق الوعد والاستيلاء على أراضي المنطقة من النيل إلى الفرات . فهل اختلفت هذه القضية بعد ذلك أيام الأسر البابلي ؟! أما أن نبي الله — وحاشى له ذلك — قد تقاعس عن تنفيذ وعد الله رغم توافر كل سبل العمل أمامه لتحقيق هذا الوعد ؟!

وتلك أمور تدعو إلى القول بأن كل ذلك يناقض عدالة السماء وهى شريعة الله كما وأن الصياغة والتأليف واضعان فى أسفار التوراة وكلها أمور تهدم هذا الركن من أركان قضية الوعد ، علينا أن نناقش بعد ذلك الركن الثانى وهو : الله مانح الوعد .

الله فى التوراة :

أن أبسط صفات الله — واهب الوعد — هى القدرة ولكن حتى هذه الصفة حرمتها التوراة على الله فهو إله متغير — صارم — بالغ العنف — رهيب مخيف — يدعو إلى سفك الدماء واستعباد الشعوب وامتلاك أرض الشعوب وهو إله لبنى إسرائيل دون سائر البشر .

وهو بنص كلمات التوراة يمشى إلى الجنة ويقابل بها آدم وهو يبكى ويحزن ويعتريه ما يعتري الإنسان من مشاعر وعواطف وهو يتجسد أمامهم مرة فى عامود دخان ومرة فى سحب وأخرى فى نار وهو أحياناً يرى رأى العين كما رآه موسى وسبعون معه من شيوخ بنى إسرائيل كما جاء فى سفر الخروج . ثم هو يتقبل تعنيف موسى له حين يقول له (أرجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك ... فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه) .

وهو يدعو إلى التدمير والتفكيك والذبح والقسوة فيقول فى سفر التثنية (حين تقترب من مدينة ... وإذا دفعها الرب إلى هلك إلى يدك فأضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والأطفال والبهايم وكل ما فى المدينة كل غنيتها

فغضبها لنفسك وتاكل غنيمة اعدائك ... وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما) .

قتل وسلب ونهب وتدمير هي نصيب الأمم التي يدفعها خطيئتها الماثرة أمام بني صهيون فليس عجيبا ما نراه يجري في مدن فلسطين والأراضي المحتلة لأن كل ذلك جزء لا يتجزأ من معتقداتهم الدينية وتعاليم الرب إليهم . والرب عندهم مسي التوراة هو (يهوه) وهو إله اليهود فقط وليس لبني البشر حق في ملكوت هذا الرب وإنما الرفعة والعلو لبني إسرائيل فقط . ففي سفر أشعيا (ويقف الأجانب ويرعون غنمكم أما أنتم فتدعون كهنة الرب تاكلون ثروة الأمم وعلى مجدهم تتألمون) .

وقد اعطاهم (يهوه) هذه التعاليم والأساليب الشيطانية لأن الصهيونية جزء من الله أما باقي الشعوب فهي أشبه بالحيوان وبيوت عبادتهم ليست سوى حظائر حيوانات .

ومن مجمل هذه الصور نرى أن الله بهذه الصورة التي وردت في أسفار الصهيونية غير قادر على إعطاء وعد كبير كهذا وإذا كان قد وعد فهو غير قادر على تحقيق هذا الوعد .

ولبنا أن نشك في التلازم بين الوعد والله على هذه الصورة أو أن نشك في الذين أرخوا وصوروا جوانب القصة التي لا يستطيع العقل أن يسيغها . فيكون أقرب إلى الخيال والمجاز أن نتصور وعدا مفتوحا دون شروط أو التزامات من رب له صفات بشرية وغير قادر إطلاقا بل ياتر أحيانا بأمر رسله . ولكن يمكننا على الجانب الآخر أن نرى وعدا مشروطا محددا بالتزامات دينية وخلقية وربا قادرا على كل شيء حتى يمكن للعقل أن يسيغ هذه القضية . أم أن البشرية في سيرها على درب تطورها وتقدمها الإنساني قد كتب عليها أن تنتظر إلى أن يحين تحقيق هذا الوعد فنعطى المرافم الصهيونية أراضي ما بين النيل والفرات وتسود الأمم كمنطوق الوعد .

ومجمل القول أن بني إسرائيل لم يكونوا متحمسين أو راغبين في الأخذ بالمسؤوليات الأخلاقية والدينية ولهذا أرخوا تاريخا لا يتفق مع الحقيقة ونسبوا لأنفسهم ما لا حق لهم فيه .

الأنبياء في التوراة :

لعل القارئ سيقدر أن أسرد عليه روائع الصفات التي أضفتها التوراة على أنبياء بني إسرائيل الذين كانوا الواسطة بين الرب وشعبه في تبليغ الوعد وقيادة أمته إلى تحقيقه ولكن شيئا من ذلك لم أجده في التوراة بل رأيت أحط الأخلاقي تلمص بهم وأخس الصفات يوصم بها سلوكهم . ولم يرق مستوي أي منهم الأخلاقي إلى مستوى الرجل العادي من شعب إسرائيل فمنهم الزانسي والمارق والخائن والجبان والكافر وغير ذلك من تبيح الأوصاف وهي صفات نزه الله منها أنبياءه الذين اصطفاهم من أكرم الخلق وأطهر البشر .

نرى أن التوراة لم تعف إبراهيم أبو الأنبياء حتى من هذا الأسلوب رغم أنه صاحب الوعد الأول .

فتذكر في سفر التكوين أنه حين نزل إلى مصر قال لزوجته : (قال لساراي امراته إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر فيكون إذا رآك المصريون أن يقولوا هذه امراته فيقتلونني ويستبقونك . قولى أنك أختى ليكون لى خير بسببك وتحيا نفسى من أجلك) .

وهى صورة غريبة فى حياة الأنبياء : رجل يعرض جمال امراته لينال من ذلك خيرا ويجبن فى الدفاع عن عرضه فينكر عقد زواجه ويدعى أن امراته هى أخته وتلك هى طبيعة المساومة الغريزية فى خلق الصهيونية .

وأكد أجزم استنادا إلى المفهوم الحقيقى لرسالات النساء أن إبراهيم ومسد الى مصر كئيب يدعو إلى رسالة ربه ولم يدمعه جذب الأرض إلى ذلك كما ذكرت التوراة .

وتستطرد التوراة فى سرد أفاصيل العبث فى بيت إبراهيم الحائر بين زوجته سارة وهاجر حتى انتهى الأمر إلى إلقاء هاجر وابنها إسماعيل فى هجير الصحراء وفى يدها قربة ماء وليس هنا ذكر لرحلة إبراهيم وإسماعيل إلى مكة ولا حديث عن بناء الكعبة ولو بكلمة واحدة رغم ما حفلت به من صفائر الأمور وسبب ذلك أن كاتب التوراة أراد ألا يلفت النظر التاريخي إلى بيت غير بينهم فى اورشليم وإلى فرع للنسب من نسل إسماعيل غير فرع نبطه إسحق وتلك قضية تحتاج إلى الكثير من التوضيح فى غير هذا المجال . ولكن ما يهنا بيانه هنا هو سرد صورة إبراهيم الداكنة فى التوراة وفى نهايتها إغفال تام ربما لنصف رسالته وهى بناء الكعبة حتى لا يشاركهم أحد فى قضية الوعد كما وضعوه .

وتسترد التوراة فى سرد مخازى الأنبياء فتخبرنا أن يعقوب أخذ عهد النبوة من أبيه إسحق بناء على مؤامرة خسيصة بينه وبين أمه خدعا فيها الأب بعد ضعف بصره .

وفى سفر التثنية نرى أن راوبين قد زنى مع امرأة أبيه يعقوب كما سرد سفر التكوين قصة الزنا التى ارتكبتها دينة ابنة يعقوب من لياة مع أحد أبناء مسادة شكيم فى الأردن . وكذلك قصة الزنا بين يهوذا بن يعقوب وزوجة ابنه .

وهو مفهوم مزرى لا يمكن أن نسلّم بحدوثه فى منازل الوحي وبيوت الأنبياء .

وفى سفر الملوك الأول نرى أن سليمان تزوج بالوثنيات حتى أملن قلبه إلى عبادة الأوثان وترك الودانية حتى قال السفر (فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب) وصورة سليمان فى التوراة لا تتناسب مع ما منحه الله من ملك عظيم وحكمة بالغة ونبوة معروفة لم تحدثنا عنها التوراة وإنما سردت المخازى ولفقت التهم .

ثم نرى صورة لوط النبي الكريم وقد زنى بابنتيه بعد أن شرب الخمر وذلك فى سفر التكوين .

كما أن اسحق عرض زوجته على أحد ملوك المنطقة .
حتى موسى الذى أنقذهم من فرعون وغضبه حرمة الرب وغضب عليه .
وهرون الصقوا به تهمة صناعة العجل الذهب وقادهم لعبادته حينما ذهب
موسى للثلاثة ربة وبرأوا شعب اسرائيل من هذه التهمة حتى جاء القرآن لينير
حقائق العقيدة ويسلط الضوء على السلوك الرقيق للأنبياء الله ويعنى هرون من
تلك التهمة المشينة .

ولا يكفى هذا المقام لسرد اللوحات القائمة لصور الأنبياء فى التوراة ويكتفىنا
ما ذكرناه لنرى أن هؤلاء الأنبياء بوصفهم الذى جاء فى التوراة لا يمكن أن يقوموا
بتبليغ وعد الله سبق ذكره أو تيادة أمهم لتحقيق هذا الوعد الخطير . وكان لنا
فى هذه الحالة أن نشك فى قضية الوعد برمتها وقد رأينا هذا الركن الهام من
أركان هذه القضية لا يمكن أن يقوم .

الشعب المختار :

ليس لنا إلا التوراة مرجعا لبيان حالة الشعب الذى عليه أن يحقق وعد الله
كما جاء فى توراته ولنرى هل يمكن لشعب هذه مقوماته وتلك مثله وأخلاقياته أن
يقوم مجدا ويبنى تاريخا !!
فالتذمر صفتهم والتمرد سلوكهم حتى وهم فى مصر مع موسى يحاول الخروج
بهم من سجن فرعون الكبير ثم أن بنى اسرائيل لم يدينوا بالوحداية فعبدوا العجل
بمجرد أن تركهم موسى للقاء ربه .

ولم يحترم بنو اسرائيل الأنبياء فى أسفارهم كما سبق توضيح ذلك بل لم
يحظ الله لديهم بالتقدير والتقزيع .

ولم يخلص بنو اسرائيل لمباداة الله فى سفر التثنية (كنتم تقاومون الرب
حتى فى حوريب أسقطتم الرب عليكم) . واستمر ذلك الضياع حتى جاء النبى
يحيى ليصرخ فى وجوههم : — (يا أولاد الأفاعى) .

وحتى أنذرهم السيد المسيح بقولته (إن العشارين والزواني ليسبقونكم
إلى ملكوت الله) .
فقد كانوا لا يدينون بأية قيم أخلاقية بل يدعون أن الرب يدعوهم الى النهب
والسلب (طلبوا من المصريين أمتعة فضة وذهب وثيابا وأعطى الرب نعمة فى
عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين) وذلك حين قدروا الخروج من مصر
فاستعاروا أمتعة جيرانهم ثم سلبوها وهربوا ليل !!

واشترط بنو اسرائيل على موسى رؤية الله أولا حتى يؤمنوا به وهى طريقة
فريدة فى عالم الأديان بل طلبوا فى وقت من الاوقات من موسى عبادة الأصنام بعد
خروجهم من مصر .
والتوراة تزخر بالمغازى التى فعلها بنو اسرائيل بعد دخولهم فلسطين حتى
أن دخولهم إليها عن طريق امرأة من السامطيات مجدتها التوراة !!

ورغم ما زخرت به التوراة وما يحويه القرآن الكريم في حكمه على هؤلاء المتطفلين على دنيا الأديان نحتمك إلى التاريخ الحضارى لتتسائل : هل قام لليهود سلطان بمعناه المتعارف عليه في فلسطين ؟
وهل حفظ لنا التاريخ آثار حضارة اسرائيلية مادية او أدبية ؟
وهل يعرف العالم شيئاً عن الفن الاسرائيلي أو العمارة الاسرائيلية أو الادب الاسرائيلي أو العلم الاسرائيلي ؟ وإن كل ما يحدثننا به التاريخ أسفار تحوى عنف ترون من الأكاذيب والاحقاد وارتكاب الفواحش .

حتى الادب الغربى قد امتلأ بشخصيات أصبحت علماً على اليهود حتى قبل أن تظهر في الوجود القضية الفلسطينية . فنرى شخصية (شيلوك) التاجر اليهودى الجشع في مسرحية شكسبير (تاجر البندقية) يرمز بها إلى أخط الطوائع وأبشعها .

ثم نرى شخصية (هاجن) التى أبدعها الروائى الانجليزى شارلز ديكنز في روايته (أوليفر تويست) ويرمز بها إلى دور اليهود في العبث بشباب المجتمع الانجليزى وتربيته على الجريمة .
ولنا أن نتسائل بعد كل ذلك : هل يمكن لشعب هذه صفاته وتلك إمكانياته المحدودة ومقوماته المتواضعة أن يقيم دين الله في الأرض ثم يدعى لنفسه حقاً يفتصبه بأنه سيد شعوب الأرض .

وهل استطاع هذا الشعب أن يرقى إلى مستوى الكرامة التى أرادها له الله جل شأنه حين ندبه لأداء الأمانة ، وتادية الرسالة على يد موسى الكليم ؟
وهل تقص علينا التوراة شيئاً من قوة الإيمان وصدق العزيمة في هذا الشعب وهى صفات كان يجب أن نراها فحين أراد أن يحقق وعداً إلهياً وعهداً ربانياً .

بل تترد بنو اسرائيل وثاروا بهجرد تلقيهم كلمة السماء من موسى عليه السلام ومطالبوه بالعودة الى مصر مرة وبعبادة العجل مرة أخرى وبرؤية الله مرة ثالثة ولم تنته متاعب موسى منهم إلا بعد حكم التيه الذى أنزلته بهم السماء .

وبهذا نرى أن شعب الله المختار إنما هو شعب معقد يمثل بقايا متحجرة في قوقعة تاريخية تتكلم لغة غريبة من دائرة العقائد ، وما وصلوا إليه ليس من الدين في شيء وإنما للقضية أوجه أخرى لعل الدين أبعد وجه عنها .

ولعلنى في هذا المقال استطلعت أن أناقش الأركان الأربعة لقضية الوعد الإلهي من وجهة النظر الاسرائيلية لكي نحكم بانها أقيمت على أسس واهية لا تحتاج إلى كثير عناء وكبير جهد لكي نهدمها ونرفضها .

ولكى يكتمل هذا البحث المختصر يجب أن نحاول إثبات هذه الأركان ومناقشتها من وجهة النظر الإسلامية ، والقرآن نورنا ، والتاريخ شاهداً لنرى لمن كان الوعد ، وما هي حقيقته ولنشهد كلية التاريخ ، وهى تخبرنا عن الحقيقة المذهلة من الذين حققوا الوعد بمنطوقه حتى لو أخذنا بنص التوراة ، وذلك كله يحتاج إلى مقال آخر .

النا مائة الفارجه

الرجل يخطب لبنته

١ - قال شعيب لموسى عليه السلام : « إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمانى حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك سبتجدي أن شاء الله من الصالحين . قال ذلك بينى وبينك أيها الأجلين قضيت فلا عدوان على والله على ما نقول وكيل » .
(القصص : ٢٧)

٢ - قال عمر بن الخطاب وقد مات زوج ابنته حفصة : لقيت عثمان بن عفان ، فعرضت عليه حفصة ، فقال : سأنظر في أمرى ثم لقيته ، فقال : قد بدا لى ألا أتزوج . ثم لقيت أبا بكر ، فعرضت عليه حفصة ، فصمت ولم يرد على ، ثم لقيته ، فقال لى إنه لم يمتنع أن أرجع اليك فيها عرضت على إلا أنى كنت علمت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها ، فلم أكن لأشئى سر رسول الله ، ولو تركها لقبلتها .

٣ - قال عبد الله بن أبى وداعة : افتقدنى سعيد بن المسيب ، فلما أتته ، قال : أين كنت ؟ قلت : توفيت أهلى فاشتغلت بها . قال : هل استحدثت امرأة ، فقلت يرحمك الله ، ومن يزوجنى ، وما أملك إلا درهمين أو ثلاثا ، فقال : أنا ، ثم حمد الله وصلى على النبى وزوجنى ابنته على درهمين ، وكان أحد الخلفاء قد طلبها منه فأبى أن يزوجه له سعيد رحمه الله .

حلم الربيع

قال الربيع بن سليمان صاحب الإمام الشافعى : رأت فى المنام أن آدم مات - صلى الله عليه وسلم - ويريدون أن يخرجوا بجنازته ، فلما أصبحت سألت بعض أهل العلم عن ذلك ، فقال : هذا موت أعلم أهل الأرض ، إن الله عز وجل علم آدم الأسماء كلها .. فما كان إلا يسيرا حتى مات الشافعى رحمه الله .

وفاة الشافعى

قال الربيع بن سليمان : توفى الشافعى رحمه الله ورضي عنه ليلة الجمعة بعد المغرب وأنا عنده ، ودفن يوم الجمعة بعد العصر آخر يوم من رجب وأنصرفنا من جنازته ورأينا هلال شعبان سنة أربع ومائتين من الهجرة .



أفرقه المروض

جلس أبو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل بن يونس النخوى المصرى على درج المقياس على شاطئ النيل أيام الفيضان — وهو يقطع بالمروض شيئاً من الشجر ، فقال بعض المروم : هذا يسحر النيل حتى لا يزيد ، فقلوا الأسمار ، ودفعه برجله فى النيل ، فلم يوقف له على خبر .

حافطة المتنبي

اشتهر أبو الطيب المتنبي بقوة الحفظ ، وروى أنه كان عند أحد الوراقين يوماً ، فجاءه بكتاب من نحو ثلاثين ورقة ليبيمه ، فأخذ أبو الطيب الكتاب وأقبل يراجع صفحاته ، فلما مل البائع استعمله قائلاً له : يا هذا لقد عطلتنى عن بيعه ، فإن كنت تبغى حفظه فذلك بعيد عنك .. قال المتنبي : فإن كنت حفظته فما لى عليك .. ؟ قال الرجل : أعطيكه ، قال الوراق : فامسكت الكتاب أراجع صفحاته والفلان يتلوها به حتى انتهى الى آخره ، ثم استلبه ، فجعله فى كفه ومضى لثباته .

لا ادرى

كان ابراهيم بن طهمان يتقاضى راتباً من بيت المال على الفتوى فُسئل عن مسألة ، فقال : لا ادرى ، فقالوا له : تأخذ فى كل شهر كذا وكذا ولا تحسن مسألة ، فقال : انما آخذ على ما أحسن ، ولو أخذت على ما لا أحسن لفنى بيت المال ، ولا يفنى ما لا أحسن ، فأعجب الخليفة جوابه ، وأمر له بجائزة وزاد راتبه .

الدينيا ..

بضم الدال مقصورة غير منونة فى الأغلب ، وحكى كسر الدال ، وتجمع على دنى ككبرى وكبر ، والنسبة اليها دنيوى ، ودنى ، ودنياوى .

الغريب ..

ان الغريب له مخافة سارق وخضوع مديون وثلة وامق وإذا تذكر أهله وبلاده فتؤاده كجناح طير خافق



السماء والهجرة

للتشخيص مناع التظان

الجاهلية مهينة ذليلة ، تزدريها
الأعين وتبتقها النفوس ، وتوقع بها
من ضروب العنف والجبروت ما لا
تتحمله الجبال الرواسي ، واعتبرتها
الحضارات القديمة مخلوقا شريرا لا
يصدر عنه الا الخطيئة ، وحرمتها
كافة الحقوق التي يتمتع بها الانسان ،
ووادتها جاهلية العرب صغيرة .
وعضلتها وورثتها كبيرة (وإذا بشر
أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو
كظيم .. يتوارى من القوم من سوء
ما يشعرون به أيمنه على هون أم يدسه
في التراب إلا ساء ما يحكمون) (١)
وعن ابن عباس قال : (كانوا إذا
مات الرجل كان أولياؤه أحق بأمراته ،
إن شاء بعضهم تزوجها ، وإن شاءوا

لم يكن حدث الهجرة حدثا تاريخيا
كذلك الأحداث التي تجري وفق سنن
الله الاجتماعية في حياة الأمم ، ولكنه
كان حدثا معجزا فريدا ، أعطى للحياة
الانسانية مفاهيم جديدة لوقائع التاريخ
تبرز القيم الاسلامية وأثارها الحية
التي يعجز البشر عن صنعها . فلا
يلبث الناظر فيها طويلا حتى يردها
الى القدرة الالهية التي لا يعجزها
شيء في الأرض ولا في السماء .
ولسنا هنا بصدد الحديث عن
آيات الإعجاز في هذا الحدث
التاريخي الأسمى ، وإنما نقتول جانباً
مشرقا منه في حياة امرأة من مفصليات
النساء المسلمات .
لقد عاشت المرأة في عصور

سببهم ضربة رجل واحد فبقتلوه ، وبذلك يقتل دمه في القبائل ، فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا (وإذا يكر بك الذين كثروا ليعذبوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير المكرين) (٣) .

أستولى على قريش الذعر ، وغشيتها كآبة الأسى ، ودبرت أمرها هذا وهي تخشى كل الخشية أن يفلت رسول الله صلى الله عليه وسلم من يدها ويلحق بالمهاجرين والأنصار ، ثم يكر عليهم من منطلق حصين .

وإذن الله لرسوله بالهجرة ، وفي مثل هذه الحال من تأمر المشركين وتربصهم يكون الكتمان أكبر عون على نجاح الخطوة . حتى يحبط التدبير السيئ ، ويحقق المكر بأهله ، ويستقطب في أيدي ذويه .

ولعلما كانت السرية من مقتضيات الحكمة في الانتصار للحق ، وبلوغ غايته ، وتوفير الفرصة على خصومه والقرآن الكريم يحكى على لسان نوح عليه السلام قوله (ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا) (٤) . وقد بدأت الدعوة إلى الإسلام سرا ، وترين في كنف سريرتها رجال آمنوا بالله وبرسوله ، وتجردوا لمقيدة الإسلام ، وتعاهدوا على نصرتها ، فكانوا القاعدة الصلبة للكيان الإسلامي الشايع الذي بلغ قمة المجد والعزة ، وماذا يجدي المنخب الداوى مع الخصوم الألداء الذين أعمى الباطل بصائرهم وأثارت العصبية أحقادهم ، واستخفهم الشيطان فأطاعوه . . .

ولن يستطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتم أمر هجرته في نفسه دون أن يعلم به أحد سواه ،

زوجها ، وإن شاعوا لم يزوجوها ، فهم أحق بها من أهلها ، فنزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهها ولا تفضلوهن لنذهبوا بكم ما أتيتموهن) (٥) .

فلما جاء الإسلام رفع عنها هذا الغبن ، ونقض من كآهله تلك الأوزار ، وزد إليهما كرامتهما وإنسانيتهما .

وفي ثنانيا حادث الهجرة يبدو دور المرأة المسلمة في مواقف أسماها بنت أبي بكر الصديق مما لا يدع مجالا للشك في مكانة المرأة بالإسلام .

الكتمان والسرية : —

لقد بايع عليه القوم في المدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام والنصرة والأيواء ، وكسائت الهجرة ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بمكة أن يلحقوا بأخوانهم الأنصار ، وقال : إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا ودارا يأمنون بها ، فخرجوا أزسالا ، وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يأتيه له ربه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة ، ولم يتخلف معه بمكة أحد إلا من حبس أو فتن إلا علي ابن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق وأهله .

وكان وقع هجرة الصحابة على نفوس المشركين ألما ، حيث أدركوا أن المسلمين قد أصابوا منهم منعة . وحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم بالمدينة . وأيقنوا أنه قد أجمع لحريهم ، فأنهروا في دار الندوة ، وتشاوروا فيما بينهم ، وأنهى أمرهم إلى أن يضربه نفر من

الله ، وكلمت الخبر ، وامرته فسى نفسها .

وقال ابن اسحاق : فحدثني من لا إتهم ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت (كان لا يخطئ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار ، إما بكرة وإما عشية ، حتى إذا كان اليوم الذي أذن فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة ، والخروج من مكة من بين ظهري قومه أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة ، في ساعة كان لا يأتي فيها ، قالت : فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الساعة إلا لأمر حدث ، قالت : فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أخرج عني من عندك) ، فقال : (يا رسول الله ، إنها هاهنا) . (أ) .

وإذا قيل : إن عائشة كانت زوجا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهي أمانة على أصرار زوجها فإن هذا لا يقال بالنسبة إلى أسماء ، إنما يقال عنها : إنها كانت مؤمنة فانتزعتها رسول الله صلى الله عليه وسلم على سره . . .

(قال ابن اسحاق : ولم يعلم فيها بلغني بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد حين خرج ، إلا على ابن أبي طالب ، وأبو بكر الصديق ، وآل أبي بكر) (٩) .

البلاء والصبر :

من خصائص المرأة رقة العاطفة ،

فانه في حاجة الى من يستعين بهم من خاصته في هذا الخطب الجلل تدبيرا وإعدادا وصحبة ، وقد احتاج أبو بكر في الهجرة ، كما تأخر على ابن أبي طالب ، ترى من يكون هؤلاء الذين يخصصهم ببره ؟ وهل يكون للمرأة دورها في ذلك ؟

إن الاسلام كما يصنع الرجال المؤمنين الصادقين فانه يصنع النساء المؤمنات الصادقات ، والذكر والأنثى في تبعات الايمان سواء عملا وولاية :

(من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) (٥) .

(إن المسلمين والمسلمات والمؤمنات والمؤمنات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين لمروجهم والحافظات والذاكرين لله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) (٦) .

(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) (٧) .

ولم تعرف الدنيا عقيدة من العقائد أو نظما من الأنظمة أكرم المرأة وسان خصائصها الفطرية بمثل ما عرف في الاسلام .

وهنا يبدو تكميم المرأة المسلمة في اثنتان على أكبر حدث في تاريخ الدعوة الإسلامية بحياة بنى الاسلام صلى الله عليه وسلم ، حيث كانت أسماء بنت أبي بكر الصديق موضع ثقة وأمانة ، فعلمت بهجرة رسول

ولم يتجه صوب المدينة بل جنح متوجها
الى غار ثور ، وحين أصبحت قریش
وعلمت بنجاة رسول الله صلى الله
عليه وسلم جن جنونهما ، وطار
صوابها ، وكبر ذلك على نفوس
كبارها ، فماذا يفعلون ؟

إن بصيص الأمل في الاعتداء إلى
وجهة رسول الله صلى الله عليه
وسلم للملاحقة يبدأ من بيت أبي بكر
فهو البيت الذي تأخرت هجرته ،
وأبو بكر هو الذي صاحب رسول الله ،
وهذا يعنى أن سر كل شيء لدى هذا
البيت .

عندئذ توجه أبو جهل بن هشام
على رأس نفر من قریش إلى بيت أبي
بكر ، فسألوا أسماء عن أبيها .
عسى أن يجدوا في جوابها بريئ
الأمل فما زادهم جوابها إلا حيرة ،
فففس أبو جهل من غيظه بلطمة
سيدها إلى خدها فطار منها قرطها ،
فقابلت ذلك بالصبر والاحتساب .

قال ابن إسحاق : فحدثت عن أسماء
بنت أبي بكر أنها قالت : (لما خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو
بكر رضى الله عنه اتانا نفر من قریش ،
فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على
باب أبي بكر ، فخرجت إليهم ، فقالوا :
أين أبوك يا بنت أبي بكر ؟ قالت :
قلت : لا أدري والله أين أبي ؟ قالت :
فرمغ أبو جهل يده ، وكان فاحشا
خبثا ، فلطم خدي لطمة طرح منها
قرطى (١١) .

إن لطمة بكف أبي جهل ليست
كسائر اللطعات ، فقد عرف أبو جهل
بصلابة البنية ، وقوة الشكيمة ، فإذا
أنحدر كفه على أحد كان كانهضار
الصخر من جبل شاهق ، وعلى من
ينحدر كفه ؟ أينحدر على رجس فف
غليظ مثله ؟ أم على وغد خسير

ولين الجانب ، وسرعة الانفعال ،
وهذه الخصائص تتنافى مع البسالة
والصبر ، فالمرأة بطبيعتها ليست
صلبة العود ، ولا تقوى على تحمل
الأذى ، ولا تصبر على التوازل ، وتلك
الحقائق النفسية لا يمارى فيها ،
وواقع الحياة أكبر شاهد عليها ، فلا
تكاد المرأة تسمع كلمة نابية تخذش
كرامتها حتى يتجهم وجهها ، وينحدر
دمعها ، ويرتفع صوته بالعويل
والصرخ .

ولكن العقيدة تصوغ الإنسان
المؤمن بها صياغة جديدة ، يحتسب
فيها كل ما يصيبه ابتغاء مرضاة الله .
ويتجرد من أحاسيسه الشخصية
ليكون إحساسه إحساس عقيدته .
لأنها خالطت شغاف قلبه ، وامتزجت
بروحه ومشاعره ، ففنى فيها عن
نفسه ، يستعذب الموت في سبيلها ،
ويرى الفضيحة من أجلها أسوأ
أمانيه .

(ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا
هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق
الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً
وتسليماً . من المؤمنين رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى
نحوه ومنهم من ينتظر وما بدلوا
تبديلاً (١٠) .

وهكذا كان شأن العقيدة في نفس
أسماء بنت الصديق .

لقد باع مؤامرة المشركين بالفشل
وخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم من بيته بعد أن نام على بن
أبي طالب على فراشه وتسجى ببرده ،
والقى حفنة من التراب على رعوس
الفتية المذبذبين فاعشاهم الله فلم
يبصروا رسول الله حين خرج .
واصطحب أبا بكر معه مهاجرا ،

اولها : تسمع اخبار قريش لمعركة ما يدبره القوم من مكائد ، وما ينصبونه من شرك ، وما يحكيونه من مؤامرة .

وثانيها : تعفية اثر من ينقل هذه الاخبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه في الغار .

وثالثها : الطعام الذي يسد الرمق ويقوم به الصلب .

اما الامر الاول فقد تكفل به عبد الله بن أبي بكر ، حيث كان يلتقط ما يدور على السنة قريش نهارا ، وينقله إلى رسول الله وصاحبه مساء .

وأما الامر الثاني فقام به مولى أبي بكر عامر بن مهيبة الذي كان يرعى الغنم ويريحها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر في الغار ، فإذا قتل عبد الله من عندهما راجعا اقتنى أثره بالغنم تعفية عليه ، فمهمة عبد الله وعامر هي مهمة الجاسوسية المشروعة لحماية الاسلام ونبيه .

أما الامر الثالث — وهو اعداد الطعام — فقد تكلفت به أسماء بنت أبي بكر .

قال ابن اسحاق : (علما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج ، أتى أبا بكر بن أبي قحافة ، فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظلم بيته ، ثم عبدا إلى غار بثور — جبل بأسفل مكة — فدخلا ، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبي بكر أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامر بن مهيبة مولاة أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يريحها عليهما ،

وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من

لا كرامة له ؟ لا ، إنما ينحدر على فتاة قرشية من أعرق أسر قريش نسبيا ، وأعلاها كعبا ، إنه يتحدر على أسماء بنت أبي بكر الصديق ، فتلقت صابرة محتسبة ، وأجابت بهذا الجواب الذي لا يشفي ملة جبار غاشم ، ولا يطفى ظمأ هائم يتميز فيظا ، قالت : قلت : لا أدري والله أين أبي ؟ وتخفى حلم أبي جهل فيما كان يأمله لدى أهل بيت أبي بكر عن سراب بقيعة (والذين تكروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب) (١٢) .

العمل والجهاد :

وللمرأة في ميدان الدعوة عمل وجهاد بما يلائم خصائصها ويناسب فطرتها إنها تسهم بالقدر الضروري في حقل وظائفها الأساسية ، وجهاد الدعوة يشمل كل جهد يبذل في سبيلها ، ومن ذلك اعداد الطعام ، وترييض الجرحى ، ومراقبة الأعداء .

ولم يكن دور أسماء بنت أبي بكر الصديق في الهجرة قاصرا على ما ذكرناه آنفا من كتائبها الخبر ، وصبرها على لطمه أبي جهل ، بل تجاوز هذا إلى الاسهام الفعلي مشاركة في هذا الجاذت العظيم ، الذي كان نقطة تحول في تاريخ البشرية .

لقد اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار ثور ثلاثا ، وسمعه أبو بكر ، وما كانت قريش لتغمض لها حين حتى تأتوا برسول الله حيا أو ميتا : وكانت هناك حاجة إلى أمور لا يد منها أخذ بأسباب النجاة ووسائل نجاح الهجرة :

الطعام إذا أُمست بما يصلحهما (١٣) والتزود بالطعام في السفر الطويل ضرورة ملحة ، فكيف إذا كان هذا السفر في الصحراء القاحلة الجرداء لعدة مراحل تتطلبها الرحلة يوما تلو يوم ؟ إن الزاد حينئذ يكون قسوام الحياة .

وأسماء بنت أبي بكر لم يفتها أن تزود رسول الله وأباها بطعام السفر الذي يرد عنهما غائلة الجوع ، وهي في هذا تجود بأعز ما تحرص عليه المرأة ، فالمرأة تهتم بزينة ، وزينتها في ثيابها ، ونطاقها هو حلية هذه الثياب . وكان آنذاك تقليدا متوارثا أصيلا .

وقد نُسيت أسماء حين أمدت طعام السفر أن تهنيء ما تعلقه به في الرحلة ، فلم يسمها إلا أن تحصل نطاقها وتجمعه عصا تعلق به وماء طعام السفر فسميت بذات النطاق أو تشبته شقين ، تتخذ أحدها عصا وتنتقل بالشق الآخر فسميت

بذات النطاطين .

قال ابن اسحاق : (وأنتها أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما بسفرتيها ، ونسيت أن تجعل لها عصا ، فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة ، فإذا ليس لها عصا ، ففتحل نطاقها ، فتجمعه عصا ، ثم علقنها به ، فكان يقال لأسماء بنت أبي بكر ذات النطاق لذلك .

قال ابن هشام : « وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول : ذات النطاطين ، وتفسيره : أنها لما أرادت أن تعلق السفرة شقت نطاقها بآنتين ، فعلقت السفرة بواحد ، وانتطقت بالآخر » (١٤) .

هذه هي أسماء بنت أبي بكر في مقتبل عمرها ، وهذه هي مواقفها في حادث الهجرة ، فما أروعها من سيرة عطسرة لفضليات النساء والمسلحات ! وقد كان موقفها في آخر حياتها من الحجاج القنبي أشهد روعة !!

الثاني من ١٢٨ ، ١٢٩ - ط. المجلد وكان أبو بكر قد أنتج عائشة مسن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك .

- (٩) المصدر السابق ص ١٢٩ ج ٢ .
- (١٠) ٢٢ ، ٢٣ - الأجزاء .
- (١١) ابن هشام - ج ٢ ص ١٢١ ، ١٢٢ .
- (١٢) ٢٩ - التور .
- (١٣) ابن هشام ج ٢ ص ١٢٠ .
- (١٤) ابن هشام - ج ٢ ص ١٢١ .

- ١ - ٥٨ ، ٥٩ - النحل .
- ٢ - رواه البخاري .
- (١) ٥٨ ، ٥٩ - النحل .
- (٢) رواية البخاري .
- (٣) ٢٠ - الأنفال .
- (٤) ٩ - نوح .
- (٥) ٩٧ - النحل .
- (٦) ٣٥ - الأجزاء .
- (٧) ٧١ - التوبة .
- (٨) المسيرة النبوية لابن هشام ، الجزء

مشكلة العزوبة

للدكتور احمد الحجي الكردى

كله ايضا انه بدأت تظهر مشكلة جديدة مضافة الى مشاكله الكثيرة تتهدد الأسرة في اصل وجودها وهي مشكلة (العزوبة) او عزوف الشباب عن الزواج ، حيث يبلغ عمر الواحد منهم الخامسة والعشرين والثلاثين بل الاربعين احيانا قبل أن يتزوج ، وفى هذا تهديد كبير واضح للأسرة ونذير بخرابها دون شك ، وهي ركن المجتمع وأساسه - كما تقدم - وهذه المشكلة وإن كانت في جذورها قديمة ترجع الى سنوات كثيرة ماضية إلا انها لم تكن تشكل في الزمن الماضي ظاهرة اجتماعية ، بل كانت حوادث فردية تقع احيانا تحت تأثير بعض الظروف الخاصة .

ولكنها اليوم أصبحت تشكل ظاهرة خطيرة تهدد اركان المجتمع وتهز كيانه ، أصبحت ظاهرة كبيرة تثير اهتمام المشتغلين بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية ، وتفرض عليهم دراساتها واقتراح الحلول المناسبة لها ، وإلا زادت تعقيدا واستعصمت على الحل .

ومعلوم ما للزواج من قيمة كبرى في بناء المجتمع إذ هو حجر الأساس فيه ، يبنى الأسرة ويلطف الطباع

الأسرة عماد المجتمع وأساسه ، بل هي المجتمع كله ، منها يبدأ وعليها يعتمد ، ويقتدر ما تكون الأسرة متراسمة مبنية يكون المجتمع قويا متماسكا .. وهذه الاهمية القصوى للأسرة بالنسبة للمجتمع تفسر لنا الاهتمام الكبير الذي توليه الشرائع الإلهية والتشريعات والقوانين الوضعية للأسرة حفاظا على تماسكها وتناسقها ومثابقتها إن من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية على حد سواء ، لأن أى مشكلة سوف

تتعرض لها الأسرة (المجتمع الصغير) لا بد وأن ترتد على المجتمع الكبير كله بكل ثقلها ، تنفض مضجعه وتهذ كاهله ، ولذلك نرى العلماء والمختصين في الحقول الاجتماعية والتشريعية والدينية يسارعون فور حدوث أى مشكلة للأسرة بالدراسة واقتراح الحلول خشية أن يتفاقم الأمر ويشهد الخطر سبيها وأن المشاكل الاجتماعية عامة والمشاكل الأسرية خاصة هي مشاكل معقدة في أغلب الاحيان تحتاج في حلها الى مزيد من الدراسة والبحث .

ويلاحظ العلماء والباحثون في العالم العربي والإسلامي بل العالم

يمكن أن تحل المشكلة . . ؟
أعتقد أن شيئا من ذلك لم يكن
مطلقا ، وإن عزوف الشباب عن
الزواج لم يكن متسببا عن غلاء
المهور ، ذلك أن العزوف عن الزواج
منتشر بين الشبان الأغنياء أكثر منه
بين الشبان الفقراء وهذا أمر لا مراء
فيه ولا شك وتثبته الإحصائيات ، ثم
إن القضاء على غلاء المهور إذا سلمنا
جدلا بسببته لهذه المشكلة لا يمكن أن
يحل بالتشريعات أبدا ، ذلك أن الزواج
لا يتم ولا يجوز أن يتم إلا بالرغبة
النفسية والانسجام العاطفي بين
الزوجين ، وهذا أمر لا مدخل للتقنين
فيه ، ولا تأثير لقصر السلطة عليه .
وما دام هذا الحل عاجزا عن
معالجة مشكلتنا هذه فلا بد من اقتراح
الحلول المناسبة لها .

وطبيعى أن المشكلات الاجتماعية
مشكلات معقدة كما أسلفت ، تحتاج
الى تضافر جهود المخصصين لأن أى
حل خاطئ لها سوف لا يكون عاجزا
عن حلها فقط بل سيكون له مردود
عكسى عليها يزيد بها تعقيدا
وجسامة .

ولكن الى أن نتاح الفرصة لحلها
على الوجه المذكور لا يجوز تركها
من غير حل تزداد خطورة وشدة ،
بل الواجب العمل على دراستها
وتقديم الاقتراحات المناسبة لحلها عسى
أن تكون هذه المقترحات نبراسا
ومنها لمجموعات المخصصين فى
البحث الاجتماعى الى خطورة هذه
المشكلة ومن ثم العمل على حلها .
وإننى وأنا أدرس هذه المشكلة
أرى أن سببها الرئيسى ليس ارتفاع
المهور أبدا لما أسلفت ، وليس الجهل
بمعنى الزواج وقيمتها فى المجتمع
أيضا — كما يدعى البعض — بدليل
أن هذه الظاهرة عامة فى الفئات
المتنفة أكثر منها فى الطبقات الجاهلة
أو هى متساوية بينهما على الأقل .

ويشبع الحاجات النفسية والجسدية
ويقمع توترها وينسج الانحراف
والشذوذ ، ويؤمن للناس جميعا حياة
الوداعة والهدوء والسكن النفسى ،
وما الى ذلك من المعانى الكثيرة التى
يحققها الزواج . وتحت وطأة هذا
الإلحاح الشديد الذى تفرضه هذه
الظاهرة المشكلة على العلماء يطلع
علينا بعض الناس بحلول لهذه
المشكلة تكاد تكون مرتجلة أو غير
عميقة فإذا بهم يزيّدونها تعقيدا
وإشكالا ، لأن هذه الحلول ليست
حلولاً جذرية مدروسة دراسة كافية ،
لكنها كالسراب يبدو للناس غير
بالقرب منه حتى إذا جاءه لم يجده
شيئا .

ومن هذه الحلول مسألة تحديد
المهور ، حيث يذهب البعض الى أن
سبب هذه الظاهرة الخطيرة هو
ارتفاع المهور حيث تصل فى بعض
البلدان العربية الى ثلاثة آلاف جنيه
أو أكثر ، وهو أمر يعجز عن توفيره
الشباب فى كثير من الأحيان
فيضطرون الى التمسك بالعزوبة
البغيضة التى يتسبب عنها تلفت
المجتمع وعموم الانحراف فيه — فى
بعض الأحيان — وغير ذلك . ولذلك
فهم يقترحون إصدار قوانين من
السلطات المختصة تحدد بموجبهما
مهور النساء على وجه يتيسر لهن
الأكثر الأسباب دفعا ، فتتأمن
المصلحة ويقبل الشباب على الزواج
وتختفى هذه الظاهرة .

وإننى وأنا أدلى بدلوى فى بحث
هذه المشكلة ، أتساءل : هل درس
هذا البعض من الناس هذه المشكلة
من جميع جوانبها دراسة عميقة
فاحصة وانتهوا الى أن السبب الوحيد
أو الرئيسى لها هو غلاء المهور . . ؟
وهل حللوا ظاهرة غلاء المهور الى
عناصرها وانتهوا الى أنها لا تحل إلا
بإصدار التشريعات المحددة لها . . ؟
وهل توقعوا أن التشريعات هذه

تحفظ لهذه الشهوة الجنسية قوتها وشدهتها عند الحد اللازم لها ، أو عند الحد الذى يضمن لها استمرارها بالعمل الذى خلقت من أجله .
فقد سن الإسلام لذلك الحجاب للمرأة وجعله عليها فرضا لازما ، وسن آداب النظر للرجل والمرأة معا فقال جل من قائل : « يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن » . وقال تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » « قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن » .

كما منع الإسلام الاختلاط بين الجنسين وخلوة كل منهما بالآخر فى غير الحالات المأمونة (المحارم) أو حالات الضرورة ، فقد جاء فى معنى الحديث الشريف عن النبى — عليه الصلاة والسلام — قوله : « ما خلى رجل بإمرأة أجنبية عنه إلا كان الشيطان ثالثهما » ، كما منع النساء من السفر وحدهن من غير زوج أو محرم حتى لأداء غريضة الحج الى بيت الله الحرام عند جمهور الفقهاء . الى غير ذلك من التبريعات المتعددة التى تضمن أن لا يطفح الكيل وتزداد الشهوة ، أو تقتل من حدها المفروض لها فتخرج عن الغاية التى خلقت لها .

هذا وإن الاختلاط بين الجنسين الذى نراه يوم الآن — للأسف — فى مجتمعاتنا المسلمة والعربية منها وغير العربية ، وانحسار الحجاب السائر للمرأة ، وعموم التبرج يل التهلك أحيانا بين النساء ، وتدنى أخلاق الرجال الى حد لم يعودا معه يتورعون عن اللعب بالمرأة لعبهم بالكرة فضلا عن استراق النظرة المسمومة منها استهتاما بجبالها وانوثتها الى غير ذلك مما يجل عن الوصف ويعلمه كل فرد منا .

كل هذا سبب زيادة حادة فى قوة هذه الشهوة خرجت بها عن الحد

وليس سببها أيضا كثرة متطلبات الحياة وارتفاع أثمان الحاجيات ، لأن هذا الارتفاع يهين بالحالة المادية لكل أمة يتناسب معها طردا وعكسا ، فترتفع الأسعار حيث يكثر الدخل ، وتقل حيث ينزل مستوى الدخل ، ولكنه فى الواقع قلة الرغبة ، وضعف الميل الجنسى من كل من الجنسين نحو الآخر .

فإن الله سبحانه وتعالى قد خلق فى كل من الجنسين رغبة وميلا نحو الجنس الآخر ، وهذه الرغبة مقدرة بمقدار معين يضمن توفيق كل من الجنسين نحو الآخر توقانا منتظما يحمله على تخطى كل الصعاب فى سبيل الوصول إليه والتزوج منه ، وذلك لضمان استمرار الحياة البشرية على وجه الأرض .

فالزواج مسؤولية كبرى تحتاج الى توضحيات جلى من كلا الزوجين ، إذ فى الإنفاق على الزوجة والأولاد ، وفى خدمة البيت والأولاد والزوج مسؤولية صارغة غالبا لكلا الزوجين عن تحملها لولا ذلك التوفيق النفسى الذى أودعه الله — جل شأنه — فى كل من الجنسين .

ولكن هذا التوفيق ، أو هذه الشهوة الجنسية لا بد لها أن تقف عند حد لا تغادره ، فلا تزيد عليه ولا تنقص عنه ، لأنها إن نقصت عنه عرّف الأسباب عن الزواج فرارا من المسؤولية الكبرى التى يفرضها عليهم إن مادية أو معنوية . . وإن زادت عن حدها هذا انفجرت بركاتها بحرق الأخضر واليابس ويقوض أركان المجتمع من أساسه ، وهو ما يحصل فى الدول النامية عندما تنفتح على الحضارة أو على (ما يسمى حضارة اليوم) فجأة ، فيكثر فيها اختلاط الجنسين بعد ما كان ممنوعا فيها منعاً يكاد يكون كاملا .
ولذلك نرى أن الإسلام راعى هذه الناحية وسن شرائع ونظما متعددة

المقرر لها ، ولكن الروح الاسلامية والعادات الاسلامية العريقة في بلادنا ، والفئة القليلة المحافظة على تعاليم دينها بفننا ، كل ذلك حال دون اندفاع هذه الشهوة المتلججة لتعميت في الأرض الفساد في بلاد الاسلام ، أو في بعضها على الأقل ، فانكبت هذه الشهوة في وكرها وضاق عليها جرابها ، دون أن تستطيع تمزيقه فمرضت وانكشمت على نفسها وشعرت بخيبة الأمل فعادت أنكاسا ترجع الى الوراء وتضعف وتذبل حتى نزلت نزولا سحيقا عن الحد المقرر لها ، والذي تستطيع معه القيام بمهمتها في التغلب على كل معوقات الزواج الصالح المنتج الذي يبني الأسرة والمجتمع السليم . فقلت الرغبة وضعف التوقل والتفتت انظار الشباب والشابات معا عن الزواج ، وبدأت المعوقات تقتل من كل منهما انتحالا بغية الابتعاد عن الزواج فرارا من مسؤولياته من حيث لا يدرون ، غفلت المهوور وجلت الشروط الى غير ذلك مما نراه من العقبات الكثيرة التي تنتحل اليوم لتعويق الزواج ، واستعاض الشباب (أو حاولوا ذلك) عن الزواج بالنظرة العابرة ، والجلسة المختلطة والمشية الهادئة في الشارع والمهرة المشينة في النادي و .. وفي ذلك من الدمار والخراب للمجتمع الاسلامي الذي نرثناه اليه ما فيه .

هذا هو السبب الرئيسي في نظري لظاهرة العزوف عن الزواج في بلادنا ، قلة الرغبة والتوقل الجنسي الناتجين عن الاختلاط غير المأمون وتبرج النساء المشين ، الى جانب ضعف الوازع الخلقى . وليس غلاء المهوور وكثرة متطلبات النساء . لأن ذلك ما هو إلا قشة من ثبن تخفى وراءها الاسباب الرئيسية الهامة التي قديمتهما .

ثم إن حظ البلاد الاجنبية من

مساوىء هذا التبرج والاختلاط لم يكن بأدنى من حظنا منه ، نعم إن الشهوة الهيمية قد انطلقت في نفوس الشباب لديهم نتيجة ما تقدم ولم تنكبت كما حصل في بعض بلادنا الاسلامية ، إلا أن النتيجة كانت واحدة وهي عزوف الشباب عن الزواج أيضا .. ذلك أن هذه الشهوة انطلقت انطلاقا عشوائيا تحصد الأخضر واليابس وتنتج الأولاد غير الشرعيين بالألوف تلقىهم حالة على المجتمع تقف بهم كرامته وعزته .. فوجد الشباب في ذلك غنى عن تحبل مسؤوليات الزواج الكثيرة فاكثروا بذلك الاتصال المحرم الميسور لهم عنه .

لذلك كله انتهى الى أن السبب الرئيسي لظاهرة العزوف في العالم كله على وجه العموم وفي مجتمعاتنا الاسلامية على وجه الخصوص هو ضياع القيم الاخلاقية ، وتبرج النساء واختلاطهن بالرجال بطريقة لا تتفق وما شرعه الله - جل شانه - نظاما للمجتمع .

ثم إن الحل الوحيد في نظري لهذه الظاهرة المعقدة هو الرجوع بالمرأة المسلمة الى الحجاب الاسلامي ، ومنع اختلاط الجنسين إلا بالطرق والشروط التي وضعها الاسلام لذلك ، والعمل على توعية الشباب المسلمين بأخطار الاختلاط العشوائي ، ومضار اطلاق النظر اللاهي العايب .. وإن كان هذا الحل صعبا وقاسيا ويحتاج الى وقت طويل لسكته الحل الوحيد الذي لا يمكن أن يحل غيره محله أبدا .

أما عن حدود الحجاب الاسلامي وكيفية الدعوة اليه ، ومن حدود الاختلاط المباح بين الجنسين وشروطه في الشريعة الاسلامية فهو مما لا يتسع له المقام الآن ، وأرجو أن أوفق في تقديم موجز عنه في مناسبة أخرى .



تخليص الإبريز في تلخيص باريز

وموقفنا من الحضارة الغربية

الأستاذ إبراهيم محمود عوض

حاجت التاريخ رفاعة الطهطاوي كتباً عدة في كثير من الموضوعات والفنون . بعضها من وشبهه ، وبعضها الآخر قام بترجمته . ومن شبه التي أمينا هو كتابه المشهور "تلخيص الإبريز في تلخيص باريز" . قال يقول فيه على منار في خطه ١٢٨٦ من ١٥٢ : « وأوصاه شيخه الموصى إليه بقصد التلخيص حسن الخطار - قبل سفره بأن يعيد إليه يعمل رحله فتجمع ما عليه المصلحة المتساوية عموماً . ونفسه طأوا له خصوصاً » . ويجازي ما ذكره به هذه الجملة بقوله في نفسه التمام المذكور من ٥٦ طأوا له التقمة والأرشاد القوم : « لما رسم أسس في حمله المسامرين وعرضت على الفوحة آثار بعض الأقارب والحبس لا سيما شجيرة العذار - فانه مولع بمساجع عجائب الآثار والإطالع على غرائب الآثار - أن أنه لم يبق ما يقع في هذه السيرة . ومن ما أراه وما صادف من المشهور المعروف والأشياء العجيبة ولما أتت في القفا في كشف القناع عن حياء هذه الآثار التي يقال فيها أنها مراكس الآثار . وليتقرر دليل يهتدي به إلى السفر إليها فلا بد الأسفار » . وفي (ص ٥٧) يراه يفر مراداً من الصوت على هذا الأمر مبتدئاً . ونلاحظها - الرحلة - بحث دار الإسلام على البحث عن العلوم الدينية والآداب والصنائع . وان كان ذلك . والفرنج أمانيات شائع . والحق أن لا يتبع . ولعمري الله ليس مدة أقام في هذه البلاد في حيرة على تتبعها بذلك . وقلو ممالك الإسلام منه .

فإن ما يلفت النظر حقاً في الكتب - بالنسبة لهذه الزاوية التي نتناولها منها - هو اهتمام الشيخ رماحه بهذه العقيدة عظيم وقسمه كل رأى أنداه على أساس منه سواء كان ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة .

أن ما يلفت النظر حقاً في الكتب - بالنسبة لهذه الزاوية التي نتناولها منها - هو اهتمام الشيخ رماحه بهذه العقيدة عظيم وقسمه كل رأى أنداه على أساس منه سواء كان ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة .

أن ما يلفت النظر حقاً في الكتب - بالنسبة لهذه الزاوية التي نتناولها منها - هو اهتمام الشيخ رماحه بهذه العقيدة عظيم وقسمه كل رأى أنداه على أساس منه سواء كان ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة .

أن ما يلفت النظر حقاً في الكتب - بالنسبة لهذه الزاوية التي نتناولها منها - هو اهتمام الشيخ رماحه بهذه العقيدة عظيم وقسمه كل رأى أنداه على أساس منه سواء كان ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة .

فهو في تقسيمه لملاذ العالم وتفصيله بعض الملاد على بعض انمسا بفعل ذلك بناء على انتشار الاسلام في هذه الملاد أو لا . فالدول الاسلاميه تأتي في المقدمة وعبرها بليلها ، يقول ص ٧٨ : اقسام الدنيا خمسة يتبعها تفصيل بعضها على بعض بحسب مزمه الاسلام ونمفاته ، فحينئذ تكون اسما افضل الجميع . ثم نلها امريقيه لعمار - الاسلام والاولاد ، والصلحاء ، خصوصاً منسبائها على مصر القاهرة ، ثم منها ملاذ أورب تقو الاسلام ووجود الاسام الاظم امام الحرمين الشريفين منسب الاسلام منها . . الخ .

ولا شك أن كثيراً من القراء سيدهشه هذا الترتيب ، وبعضاً آخرين سيمكرونه . إذ كيف يفصل الشرق الاسلامي على أورب . وهو - في نواح كثيرة - مختلف بالنسبة اليها على حسب ما يمس منه رماحه بمفه في أكثر من موضع من كتابه آ والحواب - هي . أمر - لا يصوبه منه . حال رفاعه حين أقام تفصيله أما كان على أساس : المفسدة التي يحددها من نفسه مكتناً عليها . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى غير أساس الاشارة لا على أساس الواقع ، أو بتعبير آخر على أساس القوة لا على أساس الفعل . فهو يبرى أن بلاد الاسلام ان كانت مختلفة اليوم شواها في ميدان العلوم العظميه وواقعها المادي فإن مهيا للاسلام مهيا مثليها من الاكدار والاقدار التي حافظته على نكر الادهار وبناء حياتها على نسبه مؤنثال - منسورة - في أن منو مكان الصدارة التي كانت منوزة قديماً ، فهو يرى أن نهضة دولة ، وانسا قد ساهما فيها دهرًا طويلاً وبخاصة انه المسمى له كذا . كما يقول ص ٦٢ .

ثم يمسئ الزماني في دورته حاناً تنوكة الترميم قد قويت برأعته

وتدبيرهم وعدلهم ومعرفتهم في الحروب وتنوعهم واختراعهم فيها .
ومما له صلة بهذا أورده (ص ١٢٤) قائلا « ومن عقائدهم الفبيحة تفضيلهم
الفلاسفة على الأنبياء ، وأنكار بعضهم القضاء والقدر وأنكار خوارق الماديات »
غينا نرى - من هذا النص - كيف ينظر رفاة الى الحضارتين : حضارة الاسلام
وحضارة أوروبا ، فالأولى في أصلها تقوم على وحى السماء ، بينما الثانية
تقوم على النظر العقلى الذي يخطئ ويصيب ، ان العقيدة عندنا يتلقاها الرسول
من الله ، أما عندهم فيتوصل اليها الفلاسفة بتفكيرهم وتأملاتهم التى مهما ارتقت
وقامت على ثقافة واسعة وعميقة نهى معرضة - لا محالة - لكثير من
الأخطاء .

على أن الامر - في مقابل الحضارة الاوربية المقلانية - ليس امر دين
على الاطلاق ، انها هو دين الاسلام ، فهو (ص ١٠١) حين يستطرد الى الحديث
عن نصارى مصر والشام الموجودين في مارسيلى وكانوا قد خرجوا مع
الحملة الفرنسية حين جلت عن بلادنا يقول « ونذر وجود أحد من الاسلام الذين
خرجوا مع الفرنسيين ، فان منهم من مات ، ومنهم من تضرر - والعياذ بالله - » .

ونمضى معه حتى ص ٢١٠ فاذا به - في أثناء حديثه عن الخزانة السلطانية
في باريس وما فيها من الكتب العربية والمصاحف - يقول « وبعضهم - أى بعض
المفكرين الفرنسيين - لخص من القرآن العظيم سائر الآيات التى اختارها
للترجمة ، ثم ترجمها وضم اليها قواعد الاسلام وبعض شعبه ، وقال في كتابه :
انه يظهر له أن دين الاسلام هو أصفى الأديان وأنه مشتمل على ما لا يوجد في
غيره من الأديان » .

إلا أن الذى يجب أن نضعه في الاعتبار هو أن رفاة لا يضطاد مثل هذا
الرأى الذى يبدیه بعض المفكرين الاوربيين في الاسلام ويفضله على سائر
الأديان - لا يضطاد مثل هذا الرأى اصطيادا ، لاننا نراه في الصفحات الاولى
من الكتاب يرتب بلاد العالم على اساس من اعتنائها الاسلام ومدى انتشاره
فيها ، إن رفاة مقتنع بمقيدته ودينه وفضلها على ما عداها كل الاقتناع ، وإن
إتاقته في فرنسا وأطلاعه على جوانب الحضارة الاوربية فيها لم يجعله يغير
رأيه هذا ، فهو مستمسك به أشد الاستمسك ، مستمسك به بقوة وجهاة ،
لا على ضعف واستخذاء ، فهو يقف (في الفصل الثالث عشر « في دين أهل
باريس ») موقف الحكم عليهم في دينهم ، فهم - في نظره - ليس لهم من دين
النصرانية الا الاسم ، فلا يعترفون بها حرمه دينهم أو أوجبه . . . تراهم ما دامت
حياتهم لا يهتمون الا باكتساب الاموال بأى وجه كان ، وإذا حضرهم الموت ماتوا
كالبهائم » . ثم إنه ينتقل إلى الحكم على رجال الدين انفسهم ، إذ يعيب على
القسس عدم زواجهم لان عدمه يزيدهم فسقا على فسقهم ، كذلك يستنكر
طقوس الاعتراف ، ويذكر أن للقسيسين بدعا لا تحصى ، وأهل باريس يعرفون
بطلانها ويهزعون بها (انظر ص ٢٠٣) .

لكن هل معنى هذا أننا غير محتاجين الى الغرب ؟ انرفض الغرب وكل
ما يتعلق به بالكلية ؟ يجيب الشيخ رفاة (ص ٦١) « بأن البلاد الاسلامية قد
برعت في العلوم الشرعية والعمل بها والعلوم العقلية وأهملت العلوم الحكيمية
(بقصد العلوم الطبيعية) بجملتها ، فلذلك احتاجت الى البلاد الغربية في كسب
ما لا تعرفه وجلب ما تجهل صنعه ، ولهذا حكم علماء الاورنج بأن علماء الاسلام

انها يعرفون شريعتهم ولسانهم ... ولكن يعترفون لنا باننا كنا اساتذهم في سائر العلوم وبقدمنا عليهم . الذي نحتاجه إذن من أوربا ليس شيئا آخر غير العلوم الطبيعية ، ولا صحة — كذلك اذن — لما حاول د. لويس عوض أن يوهنا به في كتابه « تاريخ الفكر المصري الحديث — الفكر السياسي والاجتماعي » (ص ١١١ هلال) من أن رفاة قد تصدى لمهمة الدعوة الى الأخذ بالفلسفات الحديثة لتجديد الحياة الفكرية على أرض مصر « أية فلسفات حديثة دما إليها رفاة لتجديد الحياة الفكرية على أرض مصر ؟ أشهد الله أن ذلك غير موجود الا في خيال الكاتب وأوهامه ، والا فمن أين استقى تلك الفكرة ، وهذا رفاة — فضلا عما تقدم — يعدد (ص ٦٦) « العلوم والفنون والحرف والصنائع المطلوبة » فيذكر « الرياضيات والتاريخ والجغرافية والرسم والحربية والبحرية والمياه والقناطر والأرصعة والميكانيكا وسبك المعادن والطب والمبصرة والفلاحة والتاريخ الطبيعي والنقاشة وترجمة الكتب » ثم يعقب قائلا « سائر هذه العلوم المعروفة معرفة تامة لهؤلاء الأفرنج ناقصة أو مجهولة بالكلية عندنا ، ومن جهل شيئا فهو مفتر لن اتقن ذلك الشيء . » ؟ فالأمر اذن واضح لا يحتاج الى اختلاف ولا يحتاج ايضا الى تأويل . لقد سبق أن ذكرنا كيف عد رفاة من عقائد الفرنسيين القبيحة تفضيلهم للفلاسفة على الانبياء ، فكيف يجوز أن ينسب لرفاة أنه تصدى لمهمة الدعوة الى الأخذ بالفلسفات الحديثة لتجديد الحياة الفكرية على أرض مصر ، ليس هذا فقط ، بل أن رفاة — في رأى الدكتور — حينما تصدى لهذه المهمة « كان نعم المفكر ونعم البشير » ! أية جرأة هذه ؟ ان هذه شنشنة معروفة عن الدكتور لويس عوض ، فهو يستنبط من النصوص آراء واحكاما انزل الله بها من سلطان ، وأحسب أن رفاة لو تقيض له أن يقوم من قبره ويطلع على ما نسب اليه د. لويس لغفرناه دهشة واستغرابا ، ولو حاول أن يعترض على ذلك لسد د. عوض يده فأغلق فيه بهواؤذره بالويل والثبور وعظائم الامور ، وقال له ما قاله رئيس ديوان التفتيش — في رواية الإخوة كرامازوف لدمستوفسكى — للسيد المسيح بعد عودته الى الأرض في طوفة عابسة ونزوله في اثبيلية أيام محنة التفتيش وعظائمه ، فإن السيد المسيح — عليه السلام — أخذ يعظ الناس ويصنع المعجزات ، والشعب والحزاني يقبلون عليه ويثبثونه شكواهم ومخاوفهم ، حينئذ أقبل رئيس ديوان التفتيش في حرمه وقبض عليه وأودعه حجرة السجناء ، ثم عندما دخل عليه في المساء ليحقق معه قال له « إني أعرفك ولا أجعلك ، ولهذا حبستك ، لماذا جئت إلى هنا ؟ لماذا تعوقنا وتطغى العثرات في سبيلنا ؟ » .

ويزداد عجبنا ودهشتنا حينما نجد د. لويس عوض في موضع آخر من كتابه يقول عن رفاة : « لم يكن طريقه التماس حق الثورة في الشريعة لإثبات شرعية أو وجوب الخروج عن طاعة الخليفة العثماني ، وانما كان طريقه تحقيق استقلال مصر بفصل الدين عن الدولة ، وهذا معنى قوله « فلنقل إن أحكامهم — أي الفرنسيين — القانونية ليست مستنبطة من الكتب السماوية ، وانما هي مأخوذة من قوانين أخر أغلبها سياسي ، وهي مخالفة بالكلية للشرائع ، وليست قارة الفروع ، ويقال لها : الحقوق الفرنسية ، أي حقوق الفرنسية بوضعهم على بعض ، وذلك لان الحقوق عند الأفرنج مختلفة » هو اذن يريد أن يصرر

المصريين بموجب حقوق الإنسان وليس بموجب سنن السلف الصالح . ثم ترتفع
 نبرته العقلانية فيكاد يحض الناس حضا على العقلانية أساسا للعدل والحضارة
 الإنسان . أن العدل والحضارة مترابطان ، فالعدل مسبيل الحضارة ، وقيم
 الدين جوهرها العدل . ولكن العقل أيضا يمكن أن يؤدي إلى العدل ومن ثم
 الحضارة ، فهو يقول في دستور ١٨١٨ المعروف في فرنسا بالشرطة أي الميثاق ،
 أن غالب ما فيه ليس من تعاليم الدين ولكنه من إلهاء العقل لتعرف كيف حكمت
 عقولهم بأن العدل والإنصاف من أسباب تمييز الممالك وراحة العباد ، وكيف
 انتادت الحكام والرعايا لذلك حتى عميت بلادهم وكثرت معارفهم وتراكم غناهم
 وارتاحت قلوبهم ، فلا تسمع عنهم من يشكو ظلما أبدا ، والعدل أساس العمران»
 (ص ١٣٣ ، ١٣٤ تاريخ الفكر المصري) .

ونحب أن نقف أمام هذا النص قليلا لنرى ما الذي يقوله رفاعة وما السدى
 يحاول الدكتور أن يستنبطه منه ؟ أن رفاعة — كما هو واضح تمام الوضوح —
 يقرر أمرين ، الأمر الأول أن غالب أحكام الفرنسيين ليست مأخوذة من الشريعة ،
 والأمر الثاني أن العقل قد أدى بهم إلى معرفة أن العدل أساس الملك . أن
 موقف رفاعة هنا لا يزيد عن أنه يقرر ما يراه ولا يخرج عن التقرير إلى التقدير ،
 أنه لا يصدر حكما وإنما يصف الوقائع ، فمن أي النصين اللذين أوردهما الدكتور
 لرفاعة الطهطاوى يمكننا أن نفهم أن رفاعة يدعو إلى فصل الدين عن الدولة ؟
 ثم هل مجرد كون الفرنسيين قد عرفوا — بمقولهم — أن العدل أساس تمييز
 البلاد وراحة العباد أمر خطير ؟ هل معرفة أن العدل أساس الحضارة والسعادة
 يحتاج إلى ذكاء كبير ؟ فالدكتور هنا شأنه هناك يلوى رقبة النص إلى الجهة
 التي يريد هو . ولكن النص — كما يرى القارىء — يسير القياذ لا يسلمه مقوده
 لا بسهولة ولا بصعوبة ؟

إن بتر النصوص وفصلها عن سياقها هما دين د. لويس عوض ، ذلك
 لأنه يدخل على النص بهواء وأغراضه وشهواته وأحقاده ، محاولا أن يرضيها
 عليه ، متصورا أن كشف ذلك أمر عسير . إلى هنا وأنا لم أذكر تعقيب الشيخ
 رفاعة على القانون الفرنسي بعد أن نقله مترجما إلى كتابه ، قال (ص ١٥٤) :
 « أن أحكامهم القانونية ليست مستنبطة من الكتب السماوية ، وإنما هي مأخوذة
 من قوانين أخر أغلبها سياسى ، وهي مخالفة بالكلية للشرائع » ، ثم ذكر بمسد
 ذلك ببيتين من الشعر يعبر بهما عن موقفه من قضية : « الفصل بين الدين والدولة »
 الذى ادعى السيد الدكتور — كيف ؟ علم ذلك عند علام الغيوب ! — أن رفاعة
 قال به ودعا إليه ، والبيتان هما :

من ادعى أن له حاجة تخرجه عن منهج الشرع
 فلا تكون له صاحباً فإنه ضر ببلا نفع !

أظن أن كنهة التأويل — هنا — يجب أن يخرموا ، اللهم إلا إذا كانوا
 يرون أنهم أحق من الكتائب بفهم رأيه والتعبير عما يريد أن يقوله !!

والشرع الذى يذكره الشيخ رفاعة فى بيتيه هو الشرع كما هو لا كما
 نسربت إليه الانحرافات التى القوت به عن قصد السبيل وانعكس ذلك على واقع
 المجتمعات الإسلامية ، فهذا الواقع يشنؤه رفاعة نفسه فى أكثر من موضع وبينه

على فسادهم ، كما يظهر من هذه النصوص التي يقارن فيها بين الحال هنا والحقائق عندهم . قال (ص ١٦٨) : عن الرقص الثنائى عند الفرنسيين بالنسبة الى رقص الموازى عندنا « انه غير خارج عن قوانين الحياء ، أما عند النماء عندنا فلهيئته الشهوات » ، ولكنه يعود فيستدرك (ص ١٦٩) حين يتكلم عن بسس الرجل الفرنسي للمرأة أثناء الرقص قائلا : « وبالجملته فبسس المرأة أيضا ما كانت في الجهة العليا من البدن غير عيب عند هؤلاء النصارى » ، فهو ان كان يرى الاخرى على الحياء في الرقص الثنائى الذي لا يئلاصق فيه الراقصان ولا يئناصران يرى غير ذلك في الرقص الذي يمس فيه الرجال النساء .

ويقول (ص ٧٢) عن المغاطس : « والحمامات في باريس متنوعة » وفي الحقيقة هي انظف من حمامات مصر ، غير أن حمامات مصر انفع واتقن واحسن في الجملة . . وليس عندهم مغطس عام في مصر ، ولكن هذه العادة اسلم بالنسبة للمورة « ، ان حماماتهم انظف ، غير أن حماماتها — في نفس الوقت — اتقن وانفع وأحفظ للحياء .

ويقول (ص ٢٤٦) : « والمعلوم في مدينة باريس تتقدم كل يوم ، فانهم قد يكتشفون في السنة عدة فنون جديدة او صناعات جديدة او وسائل أو تكييلات » .
الخ .

اظن انه قد وضع تماما الآن موقف رفاة الطهطاوى من الحضارة الاوربية . . اننا — على المستوى الروحى — لا نحتاج الى شيء من اوربا ، لا بل نحن نتلوق عليها في هذا الجانب بلا جدال ، ذلك أن عندنا ديننا ، وهو حسبنا وكفايتنا . أما على المستوى المادى فلا شك اننا على تخلف مريع ، وهذا التخلف طارئ ، بمعنى أن الحضارة الاسلامية أيام أن كانت زاهرة كانت مكتملة الجوانب ولم تكن تعرف هذا التخلف في نواحي الحياة المادية . وقد رأينا عقب نظرة رفاة الطهطاوى في رؤيته دورة الحضارة وأن الأيام دول بين الامم والشعوب ، كذلك رأينا حساسته للتنبيه على النقص الذى نعمانيه في ميدان العلوم الطبيعية ، ولتسد كان رفاة في هذا الموقف متفقا مع استاذة العظيم الشيخ حسن المطار الذى كان يشكو من اهبال علوم الحكمة واللغة ، ويذكر أن الأئمة الاعلام كانوا يطلعون على غير علوم الدين ويحيطون بها ، ويتجاوزون ذلك الى مؤلفات غير المسلمين ، مع اهتمامهم بالذوق والأدب ومطارحات الشعر . (عبرى الإصلاح والتعليم محمد عبده ، للعقاد ص ٥٦ ، ٥٧) .

أما ما يزعجه الدكتور لويس موز من أن الشيخ رفاة كان يرى فصل الدين عن الدولة ، فقد رأينا أنه — اعتمادا على ما كتبه رفاة نفسه لا جريا وراء الشهوات ولا ليا لأغناق النصوص — ليس له أساس من الصحة ، بل أن رفاة نفسه يرى عكس ذلك على خط مستقيم ، اليس هو القائل (ص ٥٨ من التخليص) : « ومن المعلوم أنى لا استحسن الا ما لم يخالف نص الشريعة المحمدية ! » .



بين خرائب برلين

الأستاذ محمد المجذوب

كانت

قد تحولت الى خرائب وركام تلك العاصمة التي كانت قبل خمس سنوات فقط تخطط لفرض سلطانها على الدنيا ..

لقد انقطع القصف الجوي الذي استمرت طائرات الحلفاء تصببه على برلين طوال عام او اكثر دونما انقطاع ، وسكنت المدافع التي ظلت منذ اشهر تلك انحاءها من كل جانب .. وصار يوسع بقية سكانها ان يفادروا اقبيتهم الى اى مكان شاموا ، دون ان يخافوا الفارات او يتوقعوا الشسظايا ، ولكنهم مع ذلك قلما يفادرون مخابئهم لولا الضرورات القاهرة التي لا يمكن مقاومتها ، وذلك لما احدى ببلدهم من رزايا جديدة لا تقل هولاً عن ذلك الجحيم الذى طغى عليه اثناء اشد معاركه ، اذا لم تنفقه اصصافا مضاعفة ..

كان جنود الاحتلال - على اختلاف جنسياتهم - ينتشرون فى كل بقعة وفى كل زاوية ومنعطف ، وكان منظرهم بخودهم الفولاذية ، وباسلحتهم المعدة للاطلاق ، وبالصراخ الرهيب الذى تنشى وجوههم الكالحة ، مصدر رعب لا يوصف لأولئك المساكين ، الذين باتوا بعد سقوط عاصمتهم الشبه بقطيع من الغنم اقتيل رعاته ، وانطلق خلاله الذئاب الجائعة ، فتمزق جميعه ، وتناثر اشئاته لا يدري اين يجرى ..

ولعل مما ضاعف البلاء على هؤلاء أنهم فلول من الشيوخ والنسباء والاطفال ومشوهى الحرب .. لا تكاد المعين نضع بينهم على شأب فوق الرابعة عشرة ، لأن الحرب قد أكلت الملايين من غنائمهم ، وذهب الأسر بالملايين الأخرى .. وعميقت الأنباء عن كل من أولئك هؤلاء فلا يدرى الأسير شسيتها عن مصير أهله ، ولا يعلم هؤلاء خبرا عن مفقوديههم . وعلى كل واحد من هؤلاء وأولئك مع ذلك الا يفكر إلا بنفسه ، لأن دوى المحنة لا يدع له مجالا للتطلع الى ما وراء حدود الآله .. !

وشاء الله ان يشارك في تجرع هذه المرائر عدد غير يسير من شباب البسلاد العربية ، الذين وفدوا الى أوروبا للالتحاق بجامعاتها ، فلما تفجرت براكين الحرب العالمية الثانية أحيط بهم فلم يستطيعوا من شرورها فرارا ، واستحال عليهم ان يجدوا قرارا ، فكانت حياتهم سلسلة من العذاب الثقيل .. وكان هؤلاء الذين احتجزهم شرقي برلين من أولئك الطلاب ، أثناء تلك الحرب الضروس ، من أسوئهم حالا ، اذ كان عليهم ان يشاطروا أولئك المستضعفين من بقايا سكانها الرعب والجوع وتوقع ما كان ويكون من جديد السكوارت والملمات ..

وكان المنزل الذي يضم جابرا العراقي وعبد الله الدمشقي — اللذين حصلا على الدكتوراه في السياسة والطب الباطني — قد استتحال معظمه انقاضا تحت اثقال القنابل التي صبت على ذلك الحي المجاور لجامعة برلين .. وهما انما آثاره على السكن في سواء لقربه من الجامعة قبل الحرب ، ولتوقعهم ان يكون أبعد عن الفارات أثناء الحرب ، ظنا منهم ان المتقاتلين يظلون — مهما يبلغ انحطاطهم الفرزى — أحرص على دور العلم من ان يعرضوها للأرهاب أو الإيذاء .. غير أنهم سرعان ما تبددت أحلامهم عندما شاهدوا نصيب ذلك الحي من تلك الأحوال ، فتعلموا ان المحارب كمدفعه حين يتحرك للذخاف لا يفرق بين مكان ومكان ولا بين انسان وانسان .. !

وتقلص ما ادخره المساكين من مواد الغذاء ، فلم يسعهم الا الخروج من جحورهم للالتماس ما يقيمون به أودهم ، ويسسكتون صراخ صفارهم .. وما أهول ما كان يكلفهم ذلك من غناء وأرزاء ! .. فالأقاوات مفقودة ، وإذا عثروا بشيء منها بعد جهد طويل عجزت طاقتهم الثرائية عن تحصيـله .. وكان المعقول الذي تفرضه القوانين الدولية في الأمم المتحضرة ان يقوم المحتلون بتأمين حياة الشعوب المغلوبة فيحصوا عددهم ، ويقدروا حاجتهم ، ثم يمدوهم بما ييسر عليهم الرقي على الأقل .. ولكن هذه التقديرات النظرية تصبح من الأوهام المحضة في ظلال الاحتلال العسكري .. حتى لكان ارادة المحتلين مقيدة بشيء واحد ، هو التخلص نهائيا من هذه الشعوب ، وانجح وسيلة الى ذلك هو التجميع الجنود حدا لا يبلغه التصور ، وهكذا بلغت القسوة في قلوب أولئك الجنود حدا لا يبلغه التصور ، اذ كانوا يسامون المرأة على عرضها ، فلا يمنحوها الرغبة الا ان تمنحهم جسدها ! .. وأوليل لها اذا رغضت ، لأن وراء ذلك موت الاطفال والقضاء على الشيوخ والعجزة ، ومع كل ذلك فهيهات ان تسلم هي مما يراد بها اخيرا .. !!

وتسلل الثلاثة — جابر وزميله والمرأة صاحبة الحطام الذي كان منزلا — يتلمسون في حذر بالغ طريقهم بين الخرائب ..

أما الفتيتان .. فقد اعتادا القيام بمثل هذه المفامرة حتى ألفا مخاطرها .. ولم يعودا يابهان بما يواجهانه من فظاظاة الجنود فى كل مرة ، اذ بانا مدركين لما يجب أن يفعلاه لينتخفا من هذه المتاعب .. فهما لا يفادران وكهرهما الا عند الضرورات التى لا قيل لهما بدفعها ، وقبل ذلك لا بد لهما من خلع ساعتيهما وأفراغ جيوبهما من كل شيء ذى قيمة ، الا ما لا مندوحة عنه من نقود تكفى لشراء ما يفيان من أغذية . ولكي يسهل خلاصهما من ايدي الجنود على كل منهما أن يتحقق من الهوية المثبتة لشخصيته ..

على أن مخرجهما الآن كان أكثر حرجا ، لأن وجود المرأة معهما سيسبب لهما جديدا من المعناء لم يجرباه من قبل .. ولو استطاعا أن يدفعاه عنهما فعلا ، ولكنهما رضيا مرافقتها مضطرين لقرط ما ألحت عليهما ، ولما عرفان من حاجتها الى هذا الخروج ، الذى كانت تتجنبه ما دام لديها ما تقدمه لطفليها الصغيرين ، اللذين فقدا والدهما ، ولم يبق لهما من عائل سواها .. وهى انما تخرج اليوم للاتصال بمركز « الصليب الأحمر » الذى أقيم حديثا للحصول منه على بطفلة تتبحر لها بعض المعونات الضرورية بين الحين والآخر .. ولكن أخبار التصرفات الزهيبية التى يتناقلها النسوة امثالها عن أولئك الجنود كانت تملا قلبها رعبا وتدفعها الى التريث ما استطاعت اليه سبيلا .. حتى اذا ضاقت بها الحيل لم تجد مندوحة عن المفامرة .. ووجدت فى مرافقة التسابيين العربيين ضربا من الأنس الذى تتوقع أن يخفف عنها الكثير من الإعباء .. !

وواصل الثلاثة سيرهم فى كثير من الأثناء ، حتى لو استطاعوا لحبسوا أنفاسهم .. وتعهدوا أن يجنبوا المرور بكل مظنة للجنود .. وكادوا يصيرون الى مكتب (الصليب الأحمر) بسلام .. لولا تلك المفاجأة غير السارة .. كانت الدورية مؤلفة من خمسة جنود من الروس يتقدمهم ضابط منهم .. ولم يكن أمام الثلاثة متسع لى محاولة تجنبهم فلك التلاقي ، الذى تم عند رأس المنعطف المواجه للمكتب الذى يقصصون .. وبمثل ارتدادة الطرف صوبت المسدسات الرشاشة الى صدور الثلاثة جميعا ، وانطلق صوت الضابط يأمهم برفع الأيدي .. ثم تقدم بعض الجنود يفتشون التسابيين ، فى حين أخذ الضابط بيد المرأة فجعلها الى جانبه ، وما هو الا أن تحققوا من هويتهما حتى سمحا لهما بالعبور دونها ! .. وفى حركة عفوية تحركت يد الدكتور عبد الله بالإشارة الى المرأة كأنه يدعوها للحاق بهم ، ولكنه ما أن فعل ذلك حتى جاءته لكمة كادت تحطم فكه الأيمن ، ثم تبعته ركلة من حذاء تشديد الصلابة أكرهته على الالتواء .. !

وواصلت الدورية مسيرتها فى الشارع الآخر ، خلف الضابط الذى راح يجر المرأة وهى تصرخ بكل ما ترك لها الذعر من طاقة .. ! وضغط الدكتور جابر على يد زميله وهو يشد به ، يريد ألا يدع له مجالا للتفكر ولا للتردد .. ويهيس فى صوت مجروح : « عبد الله .. حذار أن تلتفت .. دعنا نسلم بارواحنا .. أن دينك لا يكلفك أن تقضى على نفسك وعلى .. أسالك بالله أن تضبط عواطفك وتفلح أنفك ! .. »

وتتابع استقفاة المرأة المسكينة ، وتهتف بالتسابيين تستحلفها الا يدعاها .. ويتعذر على الدكتور عبد الله أن يصم سمعه عن ذلك النداء ، فإذا هو يلتفت ليراه وقد انهارت أعصابها ، وجعل الجنود يدفعونها بأعقاب مسدساتهم ، هـى لا تنفك عن البكاء والصراخ .. !

ويغلب على الفنى الدمشقى هول المشهد ، ويتذكر الطفلين اللذين ينتظران عودة والدتهما ، فلا يتمالك الا أن يتخلص من زميله ، ليتجه نحو الجنود الفلاظ ، ويخلط من الالفاظ الالمانية والروسية يخاطبهم شارحا لهم ماساتها ، محاولا اثارة الرحمة فى قلوبهم عليها وعلى طفلها .. وحاول جهده أن يسبغ على لهجته لبوس الرقة والاستعطاف ، غير أن جفاف فمه ، وارتجاف اطرافه ، وجحوظ عينيه ، كانت توحى بكل ما فى قلبه من نفقة وكراهية واحتقار .. !
وبإشارة من الضابط الروسى اقبل أنان من جنوده على الفتيين العربيين يكبلان يديهما بالقيود ، ثم يسوقانهما تحت الضرب الى المصير المجهول ..



كانت الحجرة التى القى فيها الدكتوران العربيان غير رديئة اجمالا ..
فهي جزء من بناء جبيل وسليم ، اختير لاحدى المفاوز الروسية .. ولكنها عارية الجوانب ، الا من فرائسين ضيقين محشوين قشبا .. أو ما يشبه القش ، وعليهما قطاوان من الصوف يصلحان لدراء البرد الذى كان محتلا .. وقد سرهما ارتفاع الغل عن أيديهما منذ دخلها ، اذ اتبع لهما أن يتحركا فى حرية ولكن ضمن الحدود التى تفرض على سجناء المعسكرات الحربية ، فلا يحدثان أية ضجة ، ولا يتكلمان الا همسا .. وقد نبههما الى ذلك الجندى الذى كلف حراسة محبسهما قبل أن يفلق عليهما الباب .. وشد ما ضايق هذا الوضع جابرا ، الذى كان فى صدره الكثير مما كان يريد أن يقوله لصاحبه ..

وغرق الشابان هنيهة فى غمرة الصمت ، واطرق عبد الله بنظره الى ما بين يديه ، يستعيد فى خياله صورة المشهد المثير الذى سبب لهما هذه الورطة ، وترك لتصوراته أن تلاحق شبح المرأة وهي مدفوعة بقبضات الجنود ، أو مجرورة على أرض الخرائب .. ثم يقصر ادراكه عن متابعتها ، فينقطع حبل تفكيره من هذه الناحية ، لينقل به الى الناحية الأخرى ، ناحية الصغيرين اللذين ألف أن يداعبهما كل صباح ليزيل عنهما وحشة اليتيم ، وليزيل بهما عن نفسه وحشة القرية .. ودون وعى منه أو ارادة يتمتم : « هل يعملان بمصير أمهما .. ! وهل يحتلها الجيران الى غير نهاية .. !! » وتلامس هممته سمع جابر فينتفض كأنه أزعج من سبات ، ثم ينظر الى وجه زميله فى نفقة عارمة ، وهو يقول بصوت خفيض ولكنه جاف لأذع : « أرايت .. أرايت الى أين حرنا فضولك ! .. اهذا ما يأمرك به أسلامك .. ايها المؤمن .. الصالح .. ! »

ويرفع عبد الله الى صاحبه عينين مبتلتين ، وبعد طويل من الصمت ، وتركيز عميق من النظر الذى يتجاوز مقلتي جابر الى ما لا يعلم ، يتمتم مرة ثانية وكأنه يخاطب نفسه : « أجل .. ذلك هو واجبى الاسلامى .. أن قلب المؤمن لا يستطيع الصبر بازاء تلك الجريمة .. لأنه ليس حجرا .. ليس حجرا .. »

ويهم جابر بالرد ، ولكن حركة المفتاح ، وهو يدار فى جوف القفل ، تحول بينه وبين ذلك ، وما هى الا لحظات حتى أنشق الباب ، ودخل الجندى الحارس

باتاعين من الصفيح ، يضمهما على مقربة من المدخل ، ثم يشير الى الفتيين بما فيها منه أن في أحدهما ماء للشرب ، وأن الثاني فارغ يستطيعان أن يستعملاه لفضلاتهما .. ! ثم لم يلبث أن عاد من حيث أتى مغلقا وراءه الباب كما كان ..

وتتلاحق الساعات عليهما بطيئة كثيفة ، وقد جلس كل منهما على فراشه مشيحاً بوجهه عن زميله ، مقبلاً على تكرياته يحترها في مرارة .. ولعل جابراً كان أضيّق الاثنين صدرا واشدهما قلماً ، إذ كان لعبد الله ما يسرى به بعض أوهامه ، وذلك بالصلاة ينهض إليها بين الحين والحين ، وبالقرآن يسترجع ما يحفظ منه ساعة بعد ساعة ، وبالدعاء والذكر يهمس بهما خلالهما .. على حين ظل جابر هيبس انفعالاته تتقاذفه كالريشة فلا يستقر على حال .. !!

وانقضى النهار ثم تبعه الليل ولم يلق إليهما بطعام ، فاكنتها بجرات الماء يمتصانها كلها استسعرا لذعة الجوع .. وخشياً أن يقطع عنهما الماء أيضاً ، فخصما على الإقتصاد بالموجود منه إلى أقصى حد ممكن .. واجتراً عبد الله بالتيميم عن الوضوء لكل صلاة .. حتى إذا جاء ظهر اليوم التالي فتح الحارس الباب ليستبدل بالإثنين غيرهما ، ثم ارتد لينسحب ، ولكن عبد الله لم يتمالك أن وثب نحوه ليسأله بالإشارة وباللأمانة عن الطعام .. فلم يفعل الحنّدي سوى أن قلب كفه وشفتيه كأنه يعتذر لهما عن ذلك .. ثم مضى في طريقه دون كلام ..

والنفت جابر إلى زميله يقول : « ما أحسب سؤالك إلا جاراً علينا بعض المصائب الجديدة .. »

وأجاب عبد الله : « إن يضيئنا إلا ما كتب الله لنا » .
وفي غضب همس جابر : « وهل بقي ما يكتبه لنا إلا الموت .. ؟ ! » .
ويرد عبد الله في ثقة لا توصف : « إن بيده الموت والحياة والضئلك والفرج .. غلّمْ تتوقع يا صديقي شر الأمرين ؟ .. أما أنا فقد غضبت له ، وسترى أنه لن يضيعني .. » .

قال هذا وأخذ سمته باتجاه القبلة ودخل الصلاة .. وقبل أن يفرغ من الركعة الرابعة تحرك مفتاح القفل ، فانخلع قلب جابر ، وقفز نحو عبد الله يشد به وهو يقول : « ألا تسمع ؟ .. دع الصلاة لتلاّ تزيد في محنتنا ! .. » .
ولكن عبد الله كان في شغل عن حركة صاحبه ، فلم يبال ما سمع منه ، وظل في مناجاته أكثر ما يكون اطمئناناً .. حتى فتح الباب ، وأنقذ منه الحنّدي يحمل طبقاً صغيراً ليضعه في وسط الغرفة .. على أنه لم يكّد يلمح وضع عبد الله حتى جهد مكانه ، وراح يحدق في حركاته وسكناته .. ثم عاد من حيث دخل دون أن ينبس ببنت شفة .. !

واقبل جابر على صديقه يقرعه : « لقد رآك هذا الشيعوى تصلى .. وما اظنه إلا قد ذهب ليخبر رؤسائه .. ! وسترى عاقبة ذلك .. ألم أقل لك أنه الموت ! .. » .
وفي هدوء عجيب يعقب عبد الله على ذلك التفرع : « قلت لك أنه لن يضيعني .. وسترى .. » .

ونظر الفتيان الى محتويات الطبق فاذا هى نبت من الخبز وبقايا من
ارز خلط بمرق البطاطس ، فلم يشكأ انه حثالة من طعام بعض الجنود ..
وكادت نفساهما تفتيان لما تصوراها من اشيء واثياء ، من شأن كل منهما أن
يبعث التقرز .. ولكن سلطان الجوع انساهما كل ذلك ، واخذتا فى التهام هذه
المبعثرات حتى أتيا على آخرها ..
واقبل الليل على الفتيين بأفضل من غفوة الأمس ، اذ شبعما بعد جوع ،
وكادا يامنان عاقبة ما توقع جابر ، اذ لم يأتها احد فيسألها عن دينهما ، او
يحاسبهما على عقيدتهما ! .. غير انها ما كادا يفييان عن وعى اليقظة حتى
احسا حركة القفل ، ثم شاهدا الحارس داخلا وفى احدى يديه طبق أكبر من
سابقه .. وبخلاف ما افاء منه اغلق خلفه الباب ، وتقدم منهما وهو يقول فى
صوت منخفض لا يخلو من الرعدة : « السلام عليكم .. » وكانت مفاجأة
أبيست الحروف فى حلقبهما قليلا فلم يتمكن من الرد الا بعد لحظات ، غاجبا
معا : « وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .. » .

ودون تردد جلس الجندى على طرف احد الفراشين ثم اخذ يتكلم بلغة
عربية تكاد تكون غريبة عن مسمعيهما لبعدها عن لغاتهما الدارجة ، ولما يخالطها
من آثار المعجزة : « أنا مسلم مثلكما والحمد لله .. وأبى من شيوخ المسلمين
فى الققاس .. وطبأخنا مسلم ، وكذلك ضابط المفزة .. » .
وكان الجندى يفيض بعباراته هذه فى نغمة تفيض بالهفة والفرح والخوف
جيبعا .. وفى همس يكاد لا يصل الى سمع الفتيين الا بجهد .. .
واقبل عبد الله على الجندى يعانقه ويقبله وهو يردد : « الحمد لله ..
الحمد لله ! .. » وفعل جابر مثله .. واستأنف الجندى يقول — موجها كلامه
الى عبد الله — : « لقد فوجئت بك تصلى فبنت ، ثم مضيت فاخبرت أخوى
المسلمين غاهما بكما كثيرا ، واوصيانى بالمبالغة فى رعايتكما .. ومنذ اليوم
ستناولان أفضل الطعام ، وتقضيان حاجتكما خارج الحجرة .. وسأظل على
صلة بكما أتفقكما حتى يتاح للضابط الإفراج عنكما .. » .
وهمس جابر : « ومتى تراه يتم هذا الإفراج ؟! .. » .
قال الجندى : « قريبا ! .. قريبا ان شاء الله .. » .
ولم يستطع البقاء بعد فصاح كلا منهما ثم انسحب من الحجرة فى هدوء
وحذر بالفين ..

وصدق الجندى ما وعى ، واستمر على صلته بالتسابين ، يقدم اليهما
اطياب الطعام والأفككة ، ويهكنهما من الخروج لحاجتهما كلما أمكنه ذلك ..
حتى كان ظهر اليوم الرابع ، فاذا هو يقبل عليهما بوجه يفيض بشرا ، ثم ييلفهما
نبا الإفراج عنهما ويقول : « بعد اليوم لن يكون بيننا لقاء ، ولكننا لن ننساكما
أبدا ، فلا تنسيانا أنتما من دعائكما .. » .
وقبل أن يبارح الدكتوران المفزة همس عبد الله فى اذن الجندى احمدوف
يسأله : « والراة المسكينة .. أم اليتيمين .. أين أصبحت ؟ .. وهل أخلى
سبيلها ؟ .. » فيرسل الجندى احمدوف زفرة حزينة ثم يقول : « يستحيل على
أحد أن يعرف مصيرها .. لأن النسوة اللاتي يخطفن أولئك الكافرون كل يوم
أكثر من أن يستوعبن الإحصاء ! .. » .

الفتاوى

ميراث المتبنى

السؤال :

كان في بلدنا رجل غني معروف بالاستقامة ولكنه لم ينجب ، وتبنّى ، ثم مات وورثت عنه عقاراً ومالاً ، فهل هذا الميراث حلال شرعاً ؟
سـ د - الأردن

الإجابة :

الإسلام هدم التبنّي لأنه تزوير على الحقيقة قال تعالى : « وما جعل آدمياعكم أبناءكم فلكم تولكم بأنفواهم والله يقول الحق وهو يهّدى السبيل . ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم » . وكل ما يترتب على هذا التبنّي من الإرث وغيره لا يقره الشرع وبناء على هذا فالأموال الموروث حرام ، ولا يحل منه شيء ، وعلى من أخذ المال والعقار أن يردّه إلى الورثة الشرعيين فهم أصحابه ، فإن تنازلوا عنه له كان منحة منهم .

ميراث ابن الزنا

السؤال :

هل يرث ابن الزنا من أبويه ، وهل يرثه إذا مات ؟
نـ غ - العراق

الإجابة :

ابن الزنا وهو المولود من غير زواج شرعي لا توارث بينه وبين أبيه بلجاع المسلمين فإذا مات الابن أو مات الأب لا يرث أحدهما الآخر وإنما التوارث بينه وبين أمه وقرابتها ، فإذا مات ورثته ، وإذا ماتت ورثتها .

في الصيد

السؤال :

خرجت للصيد ، ورميت طائراً وأصنّته ، وقد بحثت عنه طويلاً ، فلم أعثر عليه إلا بعد يوم ووجدته ميتاً ، فهل يحل لي أكله ؟
محمد موسى - الشارقة

الإجابة :

إذا رمى الصائد الصيد فأصابه ثم غاب عنه ، ثم وجدته ميتا ، فإنه يكون حلالا بشروط ثلاثة :

الأول : ألا يكون قد تردى من جبل أو وجدته فى الماء لاحتمال أن يكون موته بسبب ترديه أو غرقه .

روى البخارى ومسلم عن عدى بن حاتم قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا رميت بسهمك فاذكر الله ، فإن وجدته قد قتل فكل إلا أن تجده قد وقع فى ماء ، فإنك لا تدري المَاء قتله أو سهمك .

الثانى : أن يعلم أن رميته هى التى قتلته ، وليس به أثر من رمى غيره أو حيوان آخر .

عن عدى قال : قلت : يا رسول الله أرمى الصيد فأجد فيه سهمى من الغد قال : « إذا علمت أن سهمك قتله وليس فيه أثر سبيع فكل » وفى رواية للبخارى : « إنا نرمى الصيد فنقتنى أثره اليومين والثلاثة ، ثم نجده ميتا وفيه سهمه قال : يأكل أن شاء الله » .

الثالث : ألا يفسد فسادا يبلغ درجة النتن ، فإنه حينئذ يكون من المستقذرات الضارة التى تمجها الطباع .

عن أبى ثعلبة الخشنى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا رميت بسهمك فغاب ثلاثة أيام وأدركته فكل ما لم يفتن » أخرجه مسلم .

وقت الأضحية

السؤال :

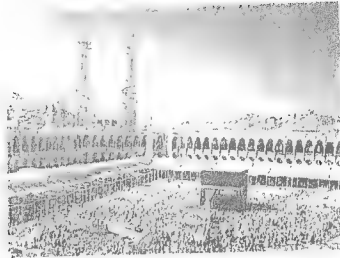
أشتريت أضحية لأذبحها يوم العيد ، ولكن طواف ظروف عائلية لم أتمكن معها من الذبح فى هذا اليوم وذبحتها فى اليوم الثالث ، فهل تجزئ هذه الأضحية ؟

على صالح - القاهرة

الإجابة :

يبدأ وقت الأضحية بعد طلوع الشمس من يوم العيد ومرور وقت يسمي صلاة العيد ، ويصح ذبحها فى أى يوم من الأيام الثلاثة فى ليل أو نهار وينتهى وقتها بانقضاء هذه الأيام .

عن البراء رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أن أول ما نبأ فى يومنا هذا أن نصلى ، ثم نرجع فننحر ، فمن فعل ذلك فقد أصاب مستنأ ومن ذبح قبل فأنما هو لحم قدمه لأهله ليس من النسيك فى شيء .
وبناء على هذا فإن أضحيتك تجزئ لأنك ذبحتها فى اليوم الثالث .



حدث خطأ في طبع غلاف العدد ٩٦ . ونعبد الله طبع الصورة في الوضع الصحيح ، وذلك تحقيقاً لرغبة كثير من القراء الذين كتبوا للجمعية في هذا الموضوع .

رود قصيرة :

● وردت للجمعية عدة رسائل من مختلف البلاد الإسلامية يستفسر فيها أصحابها عن (الجزء الأول) من كتاب (المطالب العالية) بزوائد المسانيد الثمانية للحافظ ابن حجر تحقيق الأستاذ / حبيب الرحمن الأعظمي والذي سبق أن أصدرته الوزارة ، وبالرجوع إلى المسؤولين تبين أن هذا الجزء نُسِد ، كما يطلب منا كثير من الهيئات والأفراد كتباً إسلامية ، ففضطر إلى إحالتها لإدارة الشؤون الإسلامية بالوزارة للاختصاص ، ولهذا نرجو من أصحاب هذه الطلبات أن يكتبوا مباشرة للإدارة المختصة ، وكذلك الأمر بالنسبة للمساعدات المادية في بناء المساجد والمراكز الإسلامية .

● نظراً لنفاد عدد (محرم) من المجلة وتحقيقاً لرغبة القراء الذين يطلبون زيادة الكميات المطبوعة منها حتى يمكنهم الحصول على الأعداد وانتهام المجموعات التي يحرصون على اقتنائها ، نعددهم مستقبلاً بعون الله أننا سنوفر لهم الأعداد المطلوبة .

● طلب بعض الناشرين الإذن لهم بجمع (الفتاوى) المنشورة في المجلة وطبعها ، ولما كانت المجلة ستقوم بطبع هذه (الفتاوى) في كتاب وتوزيعها (هدية) مع بعض الأعداد فأتينا نعتذر عن تحقيق هذه الرغبات .

الإيمان هو العلاج

ابتليت منذ شبابي بشرب الخمر - عافاك الله والمسلمين منها - وقد لحقني من أم الخبثات أضرار مادية وآلام جسدية ، وويلات عائلية ، تفوق الوصف ، ومع هذا فانا احافظ على الصلاة ، وقد حاولت كثيرا الاتلاع عن الشرب ، ولكن الآلام والانفعالات التي تتابى أثناء تركها كثيرة ، وقد لجأت الى الأطباء للاستشفاء ، فامادوا بانني وصلت الى حالة الادمان ، وأن علاجي منها يحتاج الى دخول مصحة فترة طويلة ، ولكني عامل ورزقي يوم بيوم فماذا أفعل ؟؟
س . م :

اعتقد أنك لست بحاجة الى معرفة أدلة تحريم الخمر ، ولا الى بيان أضرارها ولا حكمة تحريمها ، ويكفيك ما حل بك من الآلام ، أو ما تستشعره من الندم ، والعلاج لا يحتاج الا الى قوة الإيمان التي تشد العزم والارادة ، فالإيمان بالله تعالى أقوى من كل القوانين الوضعية ، وقد لجأت دول كثيرة بعد ما تبين لها أضرار الخمر وتأثيرها على الصحة والإنتاج الى وضع القوانين لمنعها ، ولكن كان ينقصها الإيمان الصحيح بالله .

وإذا تارنا بين العقيدة والخوف من الله ، وبين اثر كل المحاولات التي تبذل لمنع الخمر وجدنا الفرق كبيرا ، جاء في كتاب التفريحات لأبي الأعلى الماورودي ما يأتي :

منعت حكومة أمريكا الخمر وطارتها في بلادها ، واستعملت جميع وسائل الخفية الحاضرة كالجلات والمحاضرات والصور والسينما لتهمجن شربها ، وبيان مضارها ومنافدها ، ويتقنون ما انفقت الدولة في الدعاية ضد الخمر بما يزيد على ٦٠ مليون دولار ، وأن ما نشرته من الكتب والنشرات يشغل على ١٠ ملايين صفحة ، وما تحصلته في سبيل قانون التحريم في مدة أربعة عشر عاما لا يقل عن ٢٥٠ مليوناً من الجنيهات ، وقد أعدم فيها ٣٠٠ نفر وسجن ٥٣٢٣٣٥ نفساً وبلغت الغرامات الى ١٦ مليوناً من الجنيهات ، وصارت من الأملاك ما يبلغ ٤٠٠ مليون وأربعة ملايين من الجنيهات .

إن أمريكا قد عجزت عجزاً تاماً عن تحريم الخمر بالرغم من الجهود الفضخة التي بذلتها ولكن الإسلام الذي ربي الأمة على أساس من الدين ، وغرس في نفوس أفرادها غراس الإيمان الحق ، وأحيا ضميرها بالتعاليم الصالحة والأمور الحسنة لم يصنع شيئاً من ذلك ، ولم يتكلف مثل هذا الجهد ، ولكنها كلمة صدرت من الله استجابات لها النفوس استجابة مطلقة . روى البخاري ومسلم عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال :

ما كان لنا خبر غير فضيخكم هذا الذي تسمونه الفضيخ ، إني لقائم أسقى أبا طلحة ، وأبا أيوب ورجالا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في بيتنا إذ جاء رجل فقال هل بلفكم الخبر ؟ فقلنا لا فقال : إن الخمر قد حرمت ، فقال يا أنس أرق هذه القلال ، قال فما سألوا عنها ، ولا راجعوها بعد خبر الرجل . وهكذا يمنع الإيمان بأهله .

بأقلام القراء

من أمراض اليهود

كتب الدكتور فاروق محمود مساهل تحت هذا العنوان يقول :

لا بد من الإشارة في البداية أنه لا يوجد مرض يقتصر بالمسلمين دون غيرهم ، على العكس ففي تادبة الأمراض الالوية وانهاج السنة المحسنية وقاية وعلاج من مسديد من الأمراض ، وعلى سبيل المثال فان تادبة فريضة الصلاة وما يصحبها من حركة لعضلات ومفاصل الجسم ركن من أركان علاج مرض الانتهاب العظمى المتصلب المزمن . كما وان سنة الختان للذكور تمنع الإصابة بسرطان القضيب . كذلك فان اجتناب شرب الخمر والامتناع من اكل لحم الخنزير والاقتصاد عن الزنا حسنية من شروء كثير من الأمراض التي تسبب في تدمير صحة الانسان ومجتمعه الذي ينتمي اليه .

وهناك مجموعة من الأمراض تصيب اليهود ، بعضها مقصور عليهم وبعضها شائع بينهم ، ويرجع السبب الرئيسي في ذلك أن اليهود يشكلون ما يسمى « بالمجتمع المغلق » الذي لا يسمح بالاختلاط ولا بالاتصال بباقي الانساني و « أهياء اليهود » مثل على ذلك حيث يجتمعون في مناطق مغلقة بهم داخل المدن ، ولا تزال الأوساط اليهودية تعيش الضيقة المعروفة حول عدم اعتنيساره يهوديا من كان أحد أبويهم ليس يهودي ، وهذا دليل على تمسكهم بالانتمائية واستعلائهم أن يحتفظ هم اليهود بعدم سواهم ، مهيمنة عليهم أوهاهم بأنهم « شعب الله المختار » وأنهم « أبناء الله وأحباؤه » « ... قل فليعلمكم بنوكم بل أنتم بشر ممن خلق يفتر أن يشاء ويعطب من يشاء .. »

المسألة : ١٨ .
أما المجتمع الإسلامي فلا يقتصر تركيزه على جنس واحد ، كما وان مقذور المسلم الزواج من أهل الكتاب .

وكل صفة يتميز بها الانسان - كالطول والقصر والبدانة والنحافة وغيرها - تكون من جزئين : واحد من الأم والأخر من الأب ، ومثلهم صفة المرض الوراثي تأتي من الأبوين أحدهما أو كليهما ، وهذه الصفة إما أن تكون سائدة أي أن الجزء الذي ينتقل إلى النسل من أحد الأبوين ويكون هليلا للمرضي يتغلب على الجزء الآخر والذي لا يحمل المرض ومن ثم يظهر المرض على المولود .. وإما أن تكون صفة المرض متنحية ، وفيها ينقل الجزء الحامل للمرض من أحد الأبوين متنحيا ويحمل المولود المرض في خلاياه ولكنه لا يظهر عليه ، وعند التقاء زوجين حاملين لهذه الصفة المتنحية فان المولود (من الأم والأب) يتحذان ويظهر المرض في الذرية ، وقد وجد أن هذه الذرية تنقسم إلى : ربع مريض وربع سليم والنصف الباقي من الأولاد يحمل المرض ولكنه لا يظهر عليه وإنما يقوم بنقله إلى نسله .

وأمراض اليهود في غالبيتها من نوع الصفة المتنحية ، وهي أمراض خطيرة وأنها :

- | | | |
|--|--|--|
| وهي من أمراض اضطراب التمثيل الخلوي للدهن . ويصيب الأوعية الدموية . | 1 - مرض جوش Gaucher's disease | |
| | 2 - مرض نيمان - بك Niemann-Pick disease | |
| | 3 - البله والعمى المسائي Amaurotic Familial idiocy | |
| | 4 - مرض برجر Buerger's disease | |
| | 5 - مرض السكر Diabetes mellitus | |

وهذه أهم خصائص كل من هذه الأمراض :

١ - مرض جوشر : ويحدث فيه تجمع كثيف للدهن غير الطبيعي في الطحال والكبد ونخاع العظام والعقد الليمفاوية ، يعقبه تضخم عظيم في حجم الطحال الذي سرعان ما يمارس نفسا زائدا عن حده العادي ممثلا في تضخم أعداد هائلة من كريات الدم الحمراء ومسببا نقصا بالدم . وحيث أن كريات الدم الحمراء والبيضاء الضرورية لحياة الإنسان يتم إنتاجها في نخاع العظام فإن غزو الدهن للنخاع يقضى على مصدر صناعة كريات الدم فترزاد شدة فقر الدم Leuco-erythroblastosis وتتضخم الكبد من تجمع الدهن فيها ، وتترسب بها مادة الحديد وأيضا في البنكرياس والكلى والقلب والجلد الذي يصطبغ باللون المني ، وتظهر بالميتين بقع ملونة مميزة . وضحايا هذا المرض هم الأطفال الذين نادرا ما يتجاوز السن الأولى من أعمارهم .

٢ - مرض نيمان - بك : وهو لخطر من مرض جوشر ويقتل الإناث من أطفال اليهود خلال السنتين الأوليتين من حياتهن ، ويحدث فيه التجمع الدهني بالطحال والكبد والعقد الليمفاوية ونخاع العظام والفخذ السماء والرتين والأمعاء والمخ ، وتتميز الإصابة به بالناظر العظمي .

٣ - البله والعمى العائلي : ويعيب أطفال اليهود ابتداء من الشهر الخامس وتكون الوفاة عند السنة الثالثة أو الرابعة ، وهذا المرض يؤثر على الجهاز العصبي ويؤدي إلى العمى والشلل والجنون .

٤ - مرض برجر : يسبب هذا المرض بخاصة يهود روسيا وبولندا ويقتصر على الرجال دون الأرمن ولا يعرف سببه على وجه التحديد ، لكنه قد يكون ناتجا عن الإصابة بغيروس (ميكروب دقيق الحجم جدا) أو زيادة حساسية الجسم للنفثين أو تهيج زائد بالجهاز العصبي السمبثاوي Sympathetic يؤثر على الأوعية الدموية الصغيرة التي تغذي الشرايين . وفي هذا المرض يحدث التهاب بالشرايين والأوردة والانسجة المحيطة بها وبخاصة في الساقين ، ومراحل المرض أربعة :

أ - التهاب بالأوعية الدموية السطحية مع ورم الضيق والتساقين .

ب - آلام مبرحة بالساقين عند المشي تزول بالراحة Claudication .

ج - تسوء الحالة ويصبح ألم الساقين مستمرا حتى أثناء الراحة ، ويزداد برفع الساقين ويقل عند خفضهما مما يضطر المريض أثناء النوم إلى تدليك ساقيه دون مستوى الفراش .

د - شغرتنا القدمين والساقين Gangrene وتحدث من سنة إلى عشر سنوات من بداية آلام الساقين ، وعلاجها بتر الساق كلها أو جزئها .

٥ - مرض السكر : المعروف طبيا أن مرض السكر يميل نحو إصابة اليهود أكثر من غيرهم .

هذا بالإضافة إلى إصابتهم بجميع الأمراض التي تسبب باقي الأجناس .

وعليه فلا تعجب أن يكون عدد اليهود في العالم حبيب أكثر الإحصائيات تسامحا هو ١٥ مليوناً ، بينما يبلغ من عددهم من أي جنس عشرات أو مئات الملايين .

وصدق فيهم قول الله سبحانه وتعالى : « ضربت عليهم الذلة أين ما تقفوا إلا بهيل من الله وهيل من الناس » وبما هو يغضب من الله ، وضربت عليهم المسكة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » . آل عمران : ١١٢ .

قالت صحف العالم

« الحادث الأكبر »

تمد هجرة النبي عليه الصلاة والسلام من مكة الى المدينة اخطر حادث في تاريخ الدعوة الاسلامية ، وتمد بالنسبة لتاريخ العالم انخفاة أساسية فيه ، هولت مسيرته من طريق الى طريق ففي مدى سنوات قليلة بعد الهجرة طلع من قلب الجزيرة العربية شعب بهر العالم بقوته الناهضة من ايمانه ، وقدر له أن يبلغ سلطان الدعوة الجديدة بشارق المحيط الاطلسي ، واواسط أوروبا ويقيم حيثما بلغ مجتمعا يعلى من كرامة الإنسان ويدعو الى التحرر من الخرافات والأساطير ، ويمجد العقل ويعضى على النظر في الاتاق في مساواة بين الناس ، ولا تفرق بينهم ولا تميز بسبب الجنس أو اللغة أو اللون أو الثروة والجاه « ان اكرمكم عند الله اتقاكم .. »

قاوم الدعوة الجديدة الأباطرة والأكاسرة والمتحيزون ممن اذلوا الشعوب وجعلوا كلهم في العلياء ، فابى الله الا أن يتم نوره ويجعل كلمته هي العليا . وكان الصراع بين الدين الصاعد والمفاهيم السائدة ، مرا قاسيا ، يريد الماديون ممن سيطروا على الشعوب والعقول بالقهر والفسب وقوة السلاح ، أن يذودوا عن انفسهم شر هذا الدين الجديد ، ولكن سحر الإيمان وروظته وجلالته انسدت ما كانوا يبنهون ..

وقد حاول الكثيرون من الحكمين والباحثين أن يفسروا سر تلك الظاهرة غير المسبوقة بمثل والتي مكنت لقوم من الهدى في الأرض شرقا وغربا في عدد من السنين قليل ، وذهبوا في التفسير طرائق شتى ، ولكنهم اجمعوا على أن الإيمان الذي لا يتزعزع كان الأساس الذي انطلقوا منه في المسيرة الناجحة ولجأوا اليه واستعانوا به اذا أظلمت امامهم السبل ..

ولم تكن هجرة النبي من مكة الى المدينة ايلارا للأيسر على الاثني الأصعب ، وانما كانت تعديلا في الأسلوب وتجميعا للانصار حيث يوجد الانصار ، وتهيئة للمعركة الفاصلة بين الإيمان والشرك ... لم تكن عدولا عن الحركة الفاصلة مع قريش ولكن كانت استمدادا لها وهرسا عليها وتاكيدا لأسباب النصر فيها .. لقد كانت قريش مدلة بقوتها وثروتها وأحسابها وأنسابها وميراثها القديم ، تحسب أن كل أولئك لن يهزم ، فلذا بكل أولئك يلوب امام قوة الإيمان والصبر والمصابرة ، واذا بها تسلم وتسسلم ، واذا بالأنبي الكريم يطرق أبواب مكة ويهدم أنصابها وأزلامها والتهتها واذا به يؤمن بعد النصر أهلها ، واذا بالناس يدخلون في دين الله أفواجا .. واذا بالجزيرة العربية تدخل عهدا جديدا واذا بالدعوة تنطلق الى العالم كله ، تنشر ، أينما ذهبت ، الألسنة والمساواة ، وتعلى كلمة الله .

ولولا الهجرة ما كان هذا كله ، ولولا الحركة والجهاد ما اتحد النصر للمؤمنين . وهذا هو الدرس الأكبر والعقصة الكبرى .. وعلى هديها سار الإسلام والمسلمون عبر التاريخ الطويل ..

« عن صحيفة أخبار اليوم »

حول ظاهرة احتشام الفتيات

الذى المحتشم للفتيات أخذ هذا المام طاميا يكاد يكون عاما في القاهرة وفي جميع المحافظات وإذا كان قد قوبل باستحسان كل فيور على الدين والأخلاق إلا أنه يطول للبعض من الرجال والنساء أن يجعلوا منه مادة للسخرية سواء بالرسم أو بالتطبيق ..

ومن الجماعة الدينية بكية البنات الإسلامية بهجمة الأزهر جاحا هذا البيان :
يسوء البعض أن تنتشى هذه الظاهرة بين فتيات في مقتبل العمر أصبح مددهن الآن يزيد على عشرات الألوف في طول البلاد وعرضها بوازع من ضميرهن لا ينظمن جمعية نسائية ولا جمعية دينية ولا يوهي الصحف اليومية ولا المجلات الأسبوعية أو الشهرية بل استنورن في ارتداء هذا الزي الإسلامي رغم استهزاء المستهزئين من الرجال والنساء الذين أزعمتهم هذه الظاهرة والتي كانت رد فعل قوى أرواح التدين والجوء إلى الله سبحانه عقب النكسة التي وقعت في حرب سنة ٦٧ ولقد كانت هذه الظاهرة مصدر قلق لكثير من أعيان الدين حتى أنهم سفروا السنهم وأقلامهم للنبيل من الإسلام وأظهاره بظهر الجود والتخلف ونراهم عندما كتبوا ورسبوا لم يسلكوا طريق العقل والمنطق في هجومهم وإنما طاشت منهم العقول وجاتبوا المنطق السليم وتمسكوا بالمشعكات في تنفير الناس من هذه الظاهرة (يريدون أن يلقفوا نور الله بأقواهم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرين) نيا أيها الفتيات أن ليسكن لهذه اللابس الطويلة الساترة لفتن الماتمة للأبصار من التعتيق والتعتيق قد جن منه جنون اللعدين واللعادات وأنن بالخيار بين دعوة إلى لبس اللابس القصيرة التي يدعون أنها لا تعوق قدما حتى تكن متعشرات نظفرن بالأزواج وبين الاستجابة لدعوة الإيمان ولامر الله سبحانه في دعائه إلى أن يهيكن حياة طيبة في الدنيا والآخرة ..

ولقد رسمت سورة التور للمرأة المسلمة طريق الهداية والنور وفشى البصر وصيانة المسرة من الإبتذال فنصت على أنه يجب على المرأة المسلمة أن تغشى من بصرها وأن تحفظ نفسها إلا من زوجها وطلب إليها خالقها أن تنشى على الأرض مشية طييمية « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضرن بخبرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبيوتهن .. » وقال سبحانه « يا أيها النبي قل لأزواجك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما » ..

أيها الفتاة المسلمة أحدى دعوة الشيطان والشيطانة أن تسلكي سبيلها وانظري بعين العقل والفكر هل أدى هذا العرى إلى سعادة المرأة العربية وهل انظفرتها بطمأنينة النفس وسكون البال واستقرار الحياة أم أن هذا العرى الفاضح اغراء باتخاذ الخيليات ذوات الممد ..
: « يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يجر بالهشاش والمكر » .

أيها الفتاة تفكري والكرى أن كان منك فيما مضى شيء من اظهار مفاتن جسدك فخذ كسان انبا كبيرا ، ومن أجل ذلك طلب الله منك التوبة ومن كان قد رضى بهذا التبديل هيث يقول « .. وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » .

« عن مجلة الاعتصام القاهرية »



إعداد : فهمي الإمام

الكويت : احتفلت البلاد بالعيد الوطني في اليوم الخامس والعشرين من فبراير الماضي ، وعطلت فيه الأعمال في الوزارات والمؤسسات ، ونظرا للظروف التي تمر بها الأمة العربية فقد صدر بيان عن الديوان الأميري بعدم إقامة احتفالات رسمية فيه .

● قرر مجلس الوزراء الإسلام في عمليات التوطين في جنوب السودان بـ ٢٥٠ ألف دينار على مدى عامين ، وستقام في مخيمات الجنوب مساجد ومدارس ومستوصفات وآبار ارتوازية .

● توافدت على البلاد وفود الدول العربية لحضور مؤتمر وزراء الأوقاف الأول الذي تقرر عقده في الكويت في الفترة من ٢٦ فبراير إلى ٣ مارس سنة ١٩٧٣ م ، وقد قامت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية باتخاذ الاجراءات ووضع التنظيمات لهذا المؤتمر ، وستنشر في العدد القادم كل ما قدم عليه من حديث ، وما دار فيه من مناقشات ، وما اتخذته من قرارات وتوصيات .

● أصدرت الوزارة الجزء الأول من كتاب معجم الفقه الحنبلي وهو مستخلص من كتاب المغني لابن قدامة ، كما عرغت من إعداد الجزء الثاني وسيصدر قريبا .

● أصدر مجلس الجامعة قرارا بتشكيل لجنة لإعداد دراسة وافية عن مشروع إنشاء كلية للطب بمختلف تخصصاتها .

مصر : قررت مصر وليبيا إنشاء لجنة مشتركة تتولى الإشراف على صناعة الأسلحة وتطوير هذه الصناعة في البلدين .

● قرر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية تسجيل تفسير القرآن الكريم باللغتين الإنجليزية والفرنسية على أسطوانات وطباعته ، وذلك تلبية لطلب الهيئات الإسلامية في أفريقيا وآسيا ، وحتى يسهل فهم القرآن الكريم وتداوله .

السعودية : تمت الموافقة على افتتاح أربعة مراكز إسلامية لتنظيم حملات توعية للدعوة والإرشاد في كل من - الدمام - وعمر - وأبها - وجدة .

● تبرع جلالة الملك فيصل بـ ٢٥٥ ألف ريال لدعم جمعية النهضة الإسلامية بحلب وجمعية المقاصد الإسلامية الخيرية في بيروت .

الصراة : عثر في مدينة البصرة على المدخل الرئيسي لمسجد البصرة الكبير الذي بنى في عام ١٤ هـ في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وظل قائما

الى العصور العباسية المتأخرة .

لبنان : دعا سباحة مفتي لبنان محيي العدالة والسلام في العالم الى مساندة الذين يدافعون عن الحرية والمقدسات في فلسطين .

● تمتد مؤتمرات دورية في المحافظات لبحث موضوع إقرار عطلة يوم الجمعة في لبنان .. وقد طالبت اللجنة التنفيذية للمتابعة المنبثقة عن الهيئات الإسلامية باتخاذ قرار حاسم حول العطلة الأسبوعية في لبنان .

سورية : تصدى الطيران السوري لطيران العدو الاسرائيلي عدة مرات وأرغمه على الفرار .

● صرح رئيس مجلس الشعب السوري خلال زيارته للكويت بأن الأرض العربية لن تتحرر إلا عن طريق العرب وبأيديهم فقط .

القدس المحتلة : انهار حائط داخل القبة المشرفة في المسجد الأقصى ..

وقد أعلن المجلس الإسلامي الأعلى أن ذلك لن يؤخر أعمال ترميم المسجد .

ليبيا : تلقى المركز الإسلامي في أوغندا مبلغ مليون دينار ليبي بالإسائة

الى ١٠ آلاف نسخة من القرآن الكريم باللغة العربية مع التفسير باللغة الانجليزية لتوزيعها على المسلمين في أوغندا ، وسيفق المليون دينار على إنشاء المدارس والمساجد في أنحاء أوغندا .

● أصدر مجلس الوزراء الليبي قرارا بإنشاء لجنة عليا للتربية والتعليم مهمتها اقتراح برنامج تربوي في ضوء تعاليم الإسلام بحيث تراعى فيه كل مظاهر التقدم العلمي الحديث .

عمان : صادقت سلطة عمان على ميثاق المؤتمر الإسلامي . وبذلك ارتفع عدد الدول التي صادقت على الميثاق حتى الآن ١٧ دولة .

أخبار متفرقة

بريطانيا : تلقت وزارة الاوقاف والشئون الإسلامية من هيئة المدينة المنورة في بريطانيا عدة رسائل تناشدها فيها تزويدها بكميات كبيرة من الكتب الإسلامية باللغة الانجليزية لمواجهة الإقبال الهائل عليها ، ولنشر الإسلام في بريطانيا .

ماليزيا : من المقرر أن يشيد في ماليزيا خلال العام الحالي مجمع إسلامي كبير ، يشتمل على مسجد ، ومقر للشئون الدينية ، ومركز أبحاث إسلامية ، ومعاهد لدراسة القرآن الكريم ، وتخريج الدعاة الى الإسلام ، وتبلغ تكاليف المشروع ١٥٠٠٠٠ ر.جنيه استرليني .

موريشيوس : تلقت الوزارة من الجمعيات الإسلامية في جزيرة موريشيوس الواقعة في المحيط الهندي شرق جزيرة مدغشقر عدة رسائل تعرب فيها عن حاجتها الى الكتب الإسلامية باللغتين الفرنسية والانجليزية ، وعدد المسلمين في الجزيرة ١٢٠ ألفا .

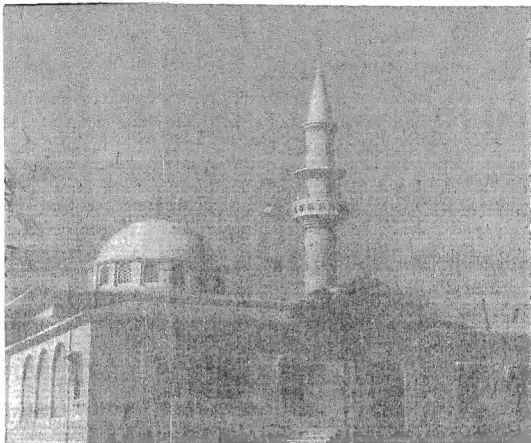
كوالالمبور : أعلن تنكو عبد الرحمن الأمين العام للمؤتمر الإسلامي في كوالالمبور أن الاجتماع الخامس لوزراء خارجية الدول الإسلامية سيعقد في بنى غازي بليبيا في شهر مارس القادم .

أوغندا : أمر الرئيس الأوغندي بترحيل المبشرين الأجانب الذين يقدر عددهم بحوالى ٥٠٠ مبشر ، جميعهم من الأوروبيين ، وذلك منعا لأي محاولات للتخريب تقوم بها الإرساليات الأجنبية .

ومما هو جدير بالذكر أن قرابة ٤٠٠ مواطن أعلنوا إسلامهم في جنوب أوغندا ..

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحامي لدولة الكويت

المواقيت الشرعية بالزمن الفرجي					المواقيت الشرعية بالزمن الرومي					مارس ١٩٧٢ م		أيار ١٩٧٢ م		الأيام الأسبوعية	
عشاء	عصر	ظهور	شروق	فجر	عشاء	عصر	ظهور	شروق	فجر	س	د	س	د	س	د
١١٨	٩٣	١١١	٢٢١	١٠٥١	٧	٧	٥٤٩	٣٢٠	١٢٠٠	٦١٠	٤٤٠	٥	١	الاثنين	
١٨	٣٠	١٠	١٩	٤٩	٨	٥٠	٢٠	٠٠	٩	٣٩	٦	٢	الثلاثاء		
١٨	٣٠	٩	١٧	٤٧	٩	٥١	٢٠	٠٠	٨	٣٨	٧	٣	الأربعاء		
١٨	٣٠	٨	١٦	٤٦	٩	٥١	٢٠	١١٥٩	٧	٣٧	٨	٤	الخميس		
١٨	٢٩	٧	١٤	٤٤	١٠	٥٢	٢١	٥٩	٦	٣٦	٩	٥	الجمعة		
١٨	٢٩	٧	١٢	٤٣	١٠	٥٢	٢١	٥٩	٥	٣٥	١٠	٦	السبت		
١٨	٢٩	٦	١١	٤١	١١	٥٣	٢١	٥٩	٤	٣٤	١١	٧	الأحد		
١٨	٢٨	٥	٩	٣٩	١٢	٥٤	٢١	٥٩	٣	٣٣	١٢	٨	الاثنين		
١٨	٢٨	٤	٨	٣٨	١٢	٥٤	٢١	٥٨	٢	٣٢	١٣	٩	الثلاثاء		
١٨	٢٧	٣	٦	٣٦	١٣	٥٥	٢٢	٥٨	١	٣١	١٤	١٠	الأربعاء		
١٨	٢٧	٢	٤	٣٤	١٤	٥٦	٢٢	٥٨	٥٥٩	٣٠	١٥	١١	الخميس		
١٨	٢٦	١	٢	٣٣	١٤	٥٦	٢٢	٥٧	٥٨	٢٨	١٦	١٢	الجمعة		
١٨	٢٥	٠٠	٠٠	٣٠	١٥	٥٧	٢٢	٥٧	٥٧	٢٧	١٧	١٣	السبت		
١٨	٢٥	٥٥٩	١٥٨	٢٨	١٦	٥٨	٢٢	٥٧	٥٦	٢٦	١٨	١٤	الأحد		
١٨	٢٤	٥٩	٥٧	٢٧	١٦	٥٨	٢٢	٥٧	٥٥	٢٥	١٩	١٥	الاثنين		
١٨	٢٤	٥٨	٥٥	٢٥	١٧	٥٩	٢٣	٥٧	٥٣	٢٤	٢٠	١٦	الثلاثاء		
١٨	٢٣	٥٧	٥٢	٢٣	١٧	٥٩	٢٣	٥٦	٥٢	٢٣	٢١	١٧	الأربعاء		
١٨	٢٣	٥٦	٥١	٢١	١٨	٦٠٠	٢٣	٥٦	٥١	٢١	٢٢	١٨	الخميس		
١٨	٢٢	٥٥	٤٩	١٩	١٩	١	٢٣	٥٦	٥٠	٢٠	٢٣	١٩	الجمعة		
١٨	٢٢	٥٤	٤٧	١٧	١٩	١	٢٣	٥٥	٤٨	١٨	٢٤	٢٠	السبت		
١٨	٢١	٥٣	٤٥	١٥	٢٠	٢	٢٣	٥٥	٤٧	١٧	٢٥	٢١	الأحد		
١٨	٢٢	٥٢	٤٤	١٤	٢٠	٢	٢٣	٥٤	٤٦	١٦	٢٦	٢٢	الاثنين		
١٨	٢٢	٥١	٤٢	١٢	٢١	٣	٢٣	٥٤	٤٥	١٥	٢٧	٢٣	الثلاثاء		
١٨	٢٤	٥٠	٤٠	١٠	٢٢	٤	٢٤	٥٤	٤٤	١٤	٢٨	٢٤	الأربعاء		
١٩	٢٥	٤٩	٣٨	٨	٢٣	٤	٢٤	٥٣	٤٣	١٣	٢٩	٢٥	الخميس		
١٩	٢٦	٤٨	٣٦	٦	٢٤	٥	٢٤	٥٣	٤١	١١	٣٠	٢٦	الجمعة		
١٩	٢٧	٤٧	٣٤	٤	٢٥	٦	٢٤	٥٢	٤٠	١٠	٣١	٢٧	السبت		
١٩	٢٨	٤٧	٣٣	٢	٢٥	٦	٢٤	٥٢	٣٩	٨	أبريل	٢٨	الأحد		
١٩	٢٩	٤٦	٣١	٠٠	٢٦	٧	٢٤	٥٢	٣٨	٧	٢	٢٩	الاثنين		



مسجد أبو بكر الصديق بالشاهية — الكويت

أبو بكر الصديق

اسمه : عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي التميمي ، أبو بكر الصديق بن أبي قحافة ، أول من آمن برسول الله من الرجال ، وأول الخلفاء الراشدين .
موالده : ولد بمكة بعد الفيل بستين سنة وستة أشهر ، ونشأ سيداً من سادات قريش ومن كبار موسريهم وكانت العرب تلقبه بعالم قريش .

صحيفته : استمر مع النبي طول مدة إقامته بمكة ورافقه في الهجرة وفي المشاهد كلها ، وكانت الراية معه يوم تبوك ، حج بالناس في حياة الرسول سنة تسع .

خلافته : بويع بالخلافة بعد وفاة النبي سنة ١١ وحارب المرتدين والمناعبين للزكاة ، وافتتحت في عهده بلاد الشام وقسم كبير من العراق ، ومدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر ونصف شهر .

وفاته : توفي يوم الاثنين في جمادى الأولى سنة ١٣ هـ وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وله في الصحيحين (١٤٢) حديثاً .

« إلى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وفناديا لنشباع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات متفنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راسا مع معهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالتمهدين :

مصر : القاهرة : شركة توزيع الاخبار / شارع الصحافة .

السودان : الخرطوم : دار التوزيع — ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى — ص.ب : (١٣٢) .
بنغازى : مكتبة الخراز — ص.ب : (٢٨٠) .

تونس : مؤسسات ع بن عبد العزيز — ١٧ شارع فرنسا .

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عمان : مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٧) .

الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص.ب : (٣٧٥) .

جدة : مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٧) .

الرياض : مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٢) .

السعودية : الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب : (٧٦) .

الطائف : مكتبة الثقافة — ص.ب : (٢٢) .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العراق : بغداد : وزارة الاعلام — مكتب التوزيع والنشر .

البحرين : المكتبة الوطنية : شارع باب البحرين .

قطر : الدوحة : مؤسسة العروبة — ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

نابلى : مؤسسة دار العروبة .

الكويت : مكتبة الكويت المتحدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد المسابقة من المجلة

اقراء في هذا العدد

ذكرى الجهاد العظيم	لعالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية	٤
من هدى السنة	للدكتور على عيد القمم	٨
الاباحة عند الاصوليين	للدكتور محمد سلام مذكور	١٢
المركز الثقافي الاسلامى باسكندنافيا		١٩
الحدود فى الاسلام	للاستاذ عبد الكريم الخطيب	٢٠
قضايا قرآنية	للاستاذ أحمد محمد جمال	٢٩
خطر اهمال التبشير فى ديار الغرب	للاستاذ محمود مهدى استانبولى	٣٢
الاتحاد ليس تطورا	للشيخ محمد الغزالى	٤٠
كيف نحارب الغزو الثقافى ؟	للشيخ عبد العزيز بن باز	٤٤
المتكلمون فى الدين	للواء الركن محمود شيت خطاب	٤٨
قبل الزحف والتصدى	للاستاذ يوسف حسن نوفل	٥٢
نظرات فى سورة الاخلاص	للاستاذ عبد العزيز العلى المطوع	٥٧
وحدة الدين ومميزات الاسلام	للاستاذ محمد محمد ابو خوات	٦٠
منهج التربية فى الاسلام	للاستاذ على القاضى	٦٦
وعد الله ليس لبنى اسرائيل	للاستاذ محمد عبد الرحمن عبد اللطيف	٧١
المائدة	التحرير	٧٨
اسماء والهجرة	للاستاذ وسام القطان	٨٠
مشكلة العزوبة	للدكتور احمد هجى الكردى	٨٦
تخليص الابريز فى تخليص باريز	للاستاذ ابراهيم محمود عوض	٩٠
بين خرائب برلين (قصة)	للاستاذ محمد المجذوب	٩٦
الفتاوى	التحرير	١٠٣
بريد الوعى	اعداد : عبد الحميد رياضى	١٠٥
باقلام القراء	التحرير	١٠٧
قالت الصحف	التحرير	١٠٩
الاخبار	اعداد : فهمى الامام	١١١
مواقيت الصلاة	التحرير	١١٢
مسجد ابى بكر	التحرير	١١٤